

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الأول - السنة الرابعة
جمادى الاولى 1380 - اكتوبر 1960
ثمن العدد درهم واحد

العدد الأول
السنة الرابعة
جمادى الأولى 1380
أكتوبر 1960

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط ـ المغرب

صورة الغلاف



منظر لمدينة فاس العاصمة العلمية حيث اقيمت ذكرى مرور احد عشر قرنا على تأسيس القرويين .

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تلفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

حول أهداف المجلة

استقبلت مجلة « دعوة الحق » بهذا العدد عامها الرابع في حياتها المباركة ــ بحول الله ــ وهي كما عهدها القراء تحاول جهد الاستطاعة ان تكون مصداقا حقيقيا لاسمها . فللمجلة دعوة في الدين تنشرها باقلام من يحفظون اصوله ، ويحررون قواعده وفصوله ، من المجددين الذين قال الرسول عليه السلام في حقهم " يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين . فيعرضونه على الخاصة والعامة خاليا من الاوهام والاباطيل ، والتدجيل والاضاليل ، عرضا سليما يبينون فيه اخلاقه ويجلون به احكامه العادلة وآفاقه ، عرائس تستلفت الانظار ، وتستهوي الابرار والاحرار ، بما فيها من قيم روحية ، ومبادىء سامية ، تبعث الهمم ، وتحفظ الذمم ، وتتكون منها خير الروابط الاجتماعية بين الافراد والامم ، وغرض المجلة من نشر هذه الدعوة هو حفظ المجتمع المسلم من تيار هذه الموجة الكاسحة من الاباحية والانحلال ، حتى يعم الاعتراف من جديد بفضل تشريع هذا الدين واخلاقه ، وآدابه على المجتمع .

ولهذه المجلة رسالة في عالم الثقافة تريد اداءها فتكون صفحاتها معرضا تتجلى فيه بحوث علمية وتاريخية واجتماعية من مختلف العلوم والفنون القديمة والحديثة

ترفع المستوى الفكري وتفتح الآفاق العلمية والادبية امام روادهما وتربط ماضينا المجيد بمستقبلنا السعيد ، وتظهر مالنا من تراث فكري وادبي ورصيد روحي ، ومساهمة جلى فى مضمار الحضارة الانسانية بمعناها الاوسع ، كما تبين مالنا من استعداد وامكانيات لمسايرة التطورات العلمية والادبية والانسانية فى العصر الحديث.

ولهذه المجلة الرغبة الصادقة فى احياء اللغة العربية لغة الدين والوطن ، التي تنتظم بلاد العروبة جمعاء ، وتحتضن جميع التراث الاسلامي فى مختلف الانحاء ، فتعمل المجلة على الدعوة الى تعميم تلك اللغة فى كل المدارس والمعاهد ، والمصالح العامة والدواليب الحكومية والشعبية ، حتى تعود الى ما كانت عليه فى سالف عهدها ، لغة الدين والعلم والفلسفة والادب والحضارة ، وستداب المجلة على نشر ادبها الرفيع ، وقصصها البديع ، الذي يحتفظ بالطابع الاخلاقي الجميل وتكون مغازيه ومراميه ذات قصد نبيل ، دون ادب المجون السخيف ولهو الحديث وتهييج الغرائز ، واستهواء النفوس المريضة ، الذي هو من اكبر العوامل فى هذا الانحلال والالحاد ، اذ المجلة تعتبر الادب خادما للمثل العليا ، لا معولا هادما للمجتمع .

وقد ساهم بالفعل كثير من العلماء والمفكرين من اصحاب الاقلام العالية فى تجلية هذه الاغراض السامية ، بكل عناية واهتمام، فسدت هذه المجلة فراغا كبيرا فى مجتمعنا من هذه الناحية حتى ذكر بعض كتاب الشرق انها وجه العرب فى المغرب ، على اننا نعتبرها وجه عرب المغرب فى المشرق اذ بواسطتها وبمثيلاتها يرى اخواننا العرب بعض مزايا المغرب ، فهي ترجمانه الصادق .

وان وزارة الاوقاف التي تبنت هذا المشروع فى وسطنا الاسلامي وانفقت عليه بسخاء انما تنفذ اوامر مولانا صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله . ذلكم الملك الصالح والامام العظيم الذي لا يريد غير الاصلاح الكامل لاحوال رعيته الدينية والاجتماعية والذي اقام الدليل تلو الدليل بارشاداته وتوجيهاته على عنايته وحبه ووفائه لهذا الشعب الذي يبادله حبا بحب ووفاء بوفاء ، وان وزارة الاوقاف والارشاد لتشعر بالغبطة فى نجاح مشروعها ، الذي انما هو تدعيم لقيم الامة الروحية التي تحرص هذه الوزارة على اسنادها وتقويتها فى الامة ، لان ذلك من اجل المقاصد فى اعمالها المختلفة الميادين الا انها لا تزال تؤمل مزيدا من التقدير والتشجيع المعنوي والمادي لهذا المشروع فان هذا البلد اتسع لجميع الوان الحياة الاجتماعية فى العصر الحاضر بما فيها من كماليات ولهو ومجون ولكنه ضاق عن المشاريع العلمية والادبية التي هي المظهر الرائع لكل الامم الراقية ، والعنوان البارز لمبلغ حضارتها ، ولا يمكن لاي امة ان تسعد فى الحياة ماديا ومعنويا الا اذا عاش العلم فى كنفها ، وانزلته منها منزلة الروح من الجسد ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي خطه لها الاسلام ، صراط العمل المثمر النافع الذي يكفل حياة العزة والكرامة تحت راية العلم والاخلاق ، وسائر الاعمال الصالحة الخالدة .

وان وزارة الاوقاف اذ تريد مزيدا من التشجيع المعنوي والمادي لهذه المجلة ولغيرها من مشاريعها الحيوية التي تستعد لها حتى تستطيع القيام بها على اتم الوجوه انما تريد المساهمة فى رفع المستوى العلمي والديني والادبي لهذا الشعب العزيز ؛ فان كثيرا من الناس رغم اعترافهم بفضل هذه المجلة لا يساهمون بانتاجهم فيها على غناهم الفكري وتوفر طاقتهم الانتاجية فى هذا الموضوع كما ان الاقبال على اقتنائها لا يزال غير تـــام وغير مناسب للمجهودات التي تبذلها الوزارة فى هذا الســبيل ، فقلة رواج الكتـــب ومنها المجلات العلمية يشكو منه كثير من المفكرين فى هذا البلد ، فمتى يخرج المغرب من هذه العزلة الفكرية عن العالم ؟

وان هذه المجلة تدعو من جديد علماء الدين بما فيهم من رؤساء المعاهد للمشاركة فى تزويد المجلة بآراء ناضجة ومعلومات قيمة تبين مزايا الدين وتحببه الى النفوس، كما تدعوهم لانتقاد ما يرونه مستحقا للنقد من الوجهة الدينية والعلمية حسب اصـــول الاسلام وقواعد شريعته واصول المناظرة العلمية ، وتدعو المجلة كذلك اقطاب العلـــم والادب وخصوصا الذين وقع تعيينهم سفراء للمغرب فى الخارج أن ينشروا ملاحظاتهم عن احوال تلك الامم التي يعيشون فيها من اجتماعية وعلمية واقتصادية من كل مـــا يعتقدون فيه مصلحة وفائدة للمغرب ، فان هذا العمل من اهم ما يقومون به لفائـــدة المغرب ، ولاننكر ان بعض رؤساء المعاهد وبعض الســفراء يساهمون ويقومون بمجهودات يشكرون عليها ، ولكننا نرجو مشاركة الباقين من هؤلاء جميعا فى هذا الموضوع واخيرا تشكر المجلة المفكرين والكتاب الذين اصبحت المجلة بفضلهم مجلة دعوة دينية وابحاث ادبية واجتماعية راجية من المولى سبحانه ان يديمهم مصدر خير وبركة على هذا البلد الامين وان يجعل خصب افكارهم كالشجرة الطيبة توتي اكلها كل حين باذن ربها ؛ وتكون ظلالها وارفة وقطوفها دانية ، يتفيأ ظلالها وينعم بثمراتها كل راغب وطالـــب وباحث ومستهد ، والله يحب المحسنين .

دعوة الحق

خطاب جلالة العاهل في ذكرى تاسيس القرويين

فـي 10 اكتوبر 1960 القى صاحب الجلالة سيدى محمد الخامس اعزه الله الخطاب التالي فى القروين بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الحادية عشرة لهـذه المؤسسة العلميـة التي حجت اليها الوفود الغفيرة من العلمـاء والاساتذة وممثلـي الجامعات والهيئات العلميـة فى مختلف الاقطـار لتشارك فى الاحتفـال بمرور أحـد عشر قرنـا على انشـائهـا .

حضـرات السـادة :

يسرنا كثيرا ان نفتتح فى هذا اليوم العظيـم الحفـلات والمهرجانات المقامـة بمناسبة ذكرى مرور أحد عشر قرنا على تاسيس جامعة القروييـن .

ويطيب لنا ان نرحب بحضرات الممثلين الجامعيين وكافة الاساتذة المحترمين الذين تجشموا عناء السفر ووفدوا على بلدنا لحضور هذه الحفلات والمهرجـانـات مجددين بذلك ما بيننا من صلات علمية وممهدين السبيل لتعاون اقوى بين بلدنـا وبلـدانهـم فى الميدان الثقافـي .

حضـرات السـادة :

ان عظمة الشعوب وتفوقها ونباهتها تعرف من خلال مالها من تعلق بالروحانيات وتمسك بالاخلاق وجنوح الى العلم والآداب والفـن واقتباس مـن اشعـاع الفكـر والعقل ، اذ افضل ما استعمله الانسان اقامة الدين الذي تصفو بـه السرائر وتزكو النفوس واقامة الدنيا التي يتعايش فيها الناس ويتعاملون .

ولقد اثر عن المغاربة فى ماضيهم ــ ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان متميز بتشبثهم بالدين الحنيف وهيامهم بكل فضيلة وتقديسهم للعلم وتقديرهـم

للعلماء ويرجع الفضل في اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين التي كانت لها ءاثار بعيدة المدى في تكييف الحياة المغربية وتوجيهها باستمرار اذ هي التي مكنت للاسلام في نفوس المغاربة واطلقت السنتهم بالعربية وخطت لهم النهج الذي ساروا فيه زهاء الف عام كما يتبين ذلك من الابحاث والدراسات التي اعدت بهذه المناسبة ، فمنذ تاسيسها سنة 245 هجرية اصبحت المعهد الذي تدرس فيه الحضارة الاسلامية والمنبع الذي تتفجر منه الثقافة العربية في غرب العالم الاسلامي ٠

وصارت لها رسالة سامية وقفت نفسها على ادائها في المغرب وما وراءه من اقطار وامصار فلا عجب ان صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار ، واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتاييدهم ، حتى رجعت مدرسة



جلالة الملك يلقي خطابه التاريخي

شهيرة ذات انصار ومريدين ومذهب معروف ومنهج واضح في البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء تسارع الى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والاندلسية وتسابق الطلبة من القارة الافريقية ومن اوربا لطلب العلوم التي كانت تقرأ بها والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وادب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم ٠

ولئن اتت على الجامعة القروية فترة من الزمان تخلفت فيها عن مماشاة التطور العلمي فانها لم تتخلف ف وقت من الاوقات عن اداء رسالتها الاصلية اذ انقلبت الى حصن تلوذ به حضارة الاسلام وتعتصم به ثقافة العروبة ف هذا الجانب الغربى من بلادهما وصارت تقف موقف الذائد عن حماهما الحافظ لكيانهما .

ولما وضعت الخطط ف عهدنا لانقاذ المغرب مما كان يكابده ويعانيه لم يعزب عن احد اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم بـه جامعة القرويين ف نهضة المغرب الجديدة لذلك اوليناها عناية خاصة رغم العراقل والاشواك التى بثت ف طريقنا فوضع لها نظام جديد وادخلت على برامجها ومناهجها تحسينات سعيا ف احياء مجدها واسترداد عظمتها واعدادها لـدور جديد .

ولما استعاد وطننا حريته واستقلاله صار من الضرورات الوطنية الاكيدة القضاء على الفوارق المحدثة ف التعليم واتجهت الانظار الى توحيد وتوجيه الثقافة ف كافة ارجاء البلد نحو هدف جامعة القرويين أي منح المكانة المرموقة للثقافة الاسلامية وتكييف التعليم بها وقد ابينا الا ان نركز شخصية القرويين الفذة فامرنا باضفاء حلة جديدة عليها تجعل منها جامعة مجهزة بكل المقومات التي تمكنها من مسايرة واقع العالم الحديث ومواصلة اداء رسالتها وضمان مستقبل المتخرجين منها.

ومن مظاهر العناية بها والتجديد الذي ادخل عليها انشاء حي جامعي مجهزا احسن تجهيز نقلت اليه الدراسة من جامعها العتيق وتعليم جميع العلوم باللغة العربية الى جانب العلوم الاسلامية ورفع مستوى الدراسة بها مما يعين متخرجيها على الاضطلاع باعباء المامورات الاسلامية والوطنية التي تنتظرهم ويجعل الثقافة ف البلد وحدة منسجمة .

حضرات السادة :

انا لمغتبطون بهذه الفرصة السعيدة التي اتيح فيها لعدد من مشاهير الجامعيين ، وكبار الاساتذة والمربين ، ان يجتمعوا ف مدينة فاس الفيحاء احدى حواضر الاسلام الكبرى ، وقواعد العروبة العظمى التي ظلت زمنا طويلا المنار السامق الذي يهدى رواد المدنية والمورد العذب الذي ينهل منه طلاب المعرفة ف اقطار المغرب والقارة الافريقية ، ونشكر السادة العلماء على الابحاث والدراسات التي اعدوها بمناسبة هذه الذكرى ونخص منهم علماء الاقطار الاسلامية ، التي اشتركت جامعاتها ومعاهدها مع جامعتنا القروية ف خدمة العلوم والفنون ونشر الثقافة الاسلامية العربية كما نشكر اعضاء اللجنة المشرفة على تنظيم هذه المهرجانات على ما بذلوه من جهود .

الذين سيوضع لهم الدستور

للأستاذ عبد الله كنون

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاستدعى نخبة من رجال العلم والفقه والسياسة واناط بهم مهمة وضع دستور البلاد الذي يدعم كيان الدولة وينظم شؤون الحكومة ويحدد حقوق الشعب الاساسية ، والمهمة عظيمة جدا ، ولذلك فان الفكر العام قد شغل بها غاية الشغل ، ولم تفتأ الصحافة تتناولها بالكتابة والتعليق منذ نشر نبأ هذا الاستدعاء، وقد كان فى الكتاب والملقين من عرف قدره فتناول الموضوع بما يلقي بعض الضوء على المبادىء والاصول التي يجب ان ينبني عليها الدستور ، ومنهم من ركب راسه فصار يملي افكاره الخاصة بل ارادته على الناس كانما الدستور له وحده دون سائر المساكنين فى هذا الوطن .

والذي يجب ان يعرفه كل واحد هو ان المغرب قطر يسكنه اثنا عشر مليونا من الناس كلهم يدينون بالاسلام ويقدسون العروبة ويتمسكون بمغربيتهم اعظم تمسك ، وهذا باستثناء اقلية صغيرة من اليهود كانت قبل هجرة الكثير منهم الى فلسطين المغتصبة تعد بمائتي الف نسمة ، وبعض ذوي الافكار المضادة لهذه المبادىء وهم مهما بالغنا فى تعدادهم تصديقا لدعواهم فلن يتجاوزوا بضع مئات .

اما اسلام المغاربة وايمانهم القوي فلا نحتاج الى اقامة الادلة العديدة عليه من الماضي ، وتاريخهم فى خدمة هذا الدين الحنيف معروف ، وانما ننظر الى واقعهم الحالي فنجد انهم من اعظم شعوب الاسلام تمسكا به وغيرة عليه ودفاعا عنه وقياما بشعائره وخضوعا لشرائعه ، ويكفي المرء ان يدخل الى المساجد العديدة التي لاتخلو منها قرية ولا بلدة ليرى افواج المصلين فى الاوقات الخمسة تكاد تغص بهم هذه المساجد ويرى الذين تفوتهم الصلاة فى هذه الاوقات لمانع من شغل وغيره يتعاقبون على المسجد ويؤدون ما عليهم من فرائض فيما بين ذلك ، اما صلاة يوم الجمعة فان المساجد لاتكفي بالفعل لاستيعاب المصلين لها مهما اتسعت وكثرت ولذلك فان الجماهير الغفيرة من المومنين تصليها فى الساحات والرحاب المتصلة بالمسجد على مراى ومسمع من المارة ، ولا تتركها بحال لانها تعلم ان الجماعة فيها واجبة . . وبدافع هذا الشعور الديني القوي يبني المغاربة كل عام فى مختلف المدن والقرى عشرات المساجد من مالهم الخاص ولا سيما فى الاحياء الجديدة التي لايكون فيها مسجد للاوقاف ويقومون بتكاليف تسيير هذه المساجد مدة تقصر أو تطول حتى تتسلمها منهم الاوقاف .

ومثل الصلاة وهي العمود الفقاري للدين الزكاة والصيام والحج فان المغاربة يؤدون هذه الواجبات كلها ولا يتهاونون بها مطلقا ، اما الزكاة وهي اثقلها على النفس لتعلقها بالمال فان من لايخرجها من المغاربة اقلية ضئيلة ، نعم الكثير منها يذهب فى غير .
ولو نظم امرها وتكلف بها من يقبضها ويصرفها فى مصارفها الحقيقية لما ام-
احد ، واما الصيام فلا يخفى ما

الاحتفال ، واعتبارهم شهره عيدا من الاعياد ، وانه لم يكن احد منهم يخل به حتى طفت علينا هذه الحرية الموبوءة التي نرجو ان يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفتاكة ، واما الحج فالبرغم من اتعابه ونفقاته الباهضة حتى قال بعض العلماء انه ساقط عن اهل المغرب ، فان حجاج المغاربة كل عام يعدون بالآلاف . ولولا العراقيل التي توضع في سبيله واستغلال شركات النقل لضعفة الحجاج لكان عددهم اضعافا مضاعفة عما بلغ اليه لحد الآن .

هذا بالنسبة الى اركان الدين العظمى ، واما السنن والفضائل وادب السلوك العام ، فان المغاربة ما برحوا يزنون جميع اعمالهم بميزان الشرع الشريف ويحرصون اشد الحرص على عدم مخالفته في قول او فعل ، ومن ثم نرى هذه الثورة التي تضطرم بها جوانحهم على ما شاع في العهد الجديد من الفسق والفجور ، ومعاقرة الخمور ، والاستهانة بامور الدين في كثير من المظاهر والاعمال لما ان القوانين العصرية لاتتعرض لذلك بنفي ولا اثبات ، والشرع الذي يعاقب على ذلك قد عطل او لم يبق بيد اهله نفوذ ، والى هذا فان المجتمع المغربي لا يزال في عوائده وتقاليده اسلاميا صميما الا عند بعض المتحرفين الذين اشرنا اليهم فيما قبل

على ان اعظم حجة على تدين المغاربة وتمسكهم بالعقيدة الاسلامية هو ما نراه ونسمعه من تملق بعض الساسة للعاطفة الدينية عند الشعب المغربي وتظاهرهم باحترام شعائر الاسلام ، وان كانوا في باطنهم يستخفون بها رغبة في تايد الجماهير الشعبية لهم وكسب اكثر ما يمكن من الانصار .

واما تعلق المغاربة بالعروبة وانتماؤهم الى القومية العربية فلا ادل عليه من هذه الصيحات المتوالية من جميع الطبقات بوجوب تعريب التعليم وتعريب الادارة على العموم ، ومن تايد فكرة المغرب العربي الذي هو الجناح الايسر للجامعة العربية ، ومن الحماس المنقطع النظير الذي قابل به الشعب المغربي الانضمام الى هذه المؤسسة العتيدة بعد ما تشوف اليه منذ فجر الاستقلال ، ومما يبديه في كل مناسبة من التضامن مع الشعوب العربية لنصرة قضاياها المختلفة ، ولا سيما قضية فلسطين الشهيدة ، واستعداده للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل تحريرها وانقاذها من الاستعمار الصهيوني الغاشم ، الى غير ذلك مما هو خبير بمعلوم .

واما تشبثهم بمغربيتهم وما لها من خصائص ومقومات فيظهر في قوة عاطفتهم الوطنية ومحافظتهم على عوائدهم الاجتماعية وفي نظام بيوتهم ومعيشتهم وما الى ذلك .

نعم هذه هي المثل العليا التي من اجلها يعيش كل مغربي مغربي ، وعلى هداها يسير ، وفي سبيلها يعمل ، ثم هي من حيث حرصه عليها وتعلقه بها وتقديسه لها على هذا الترتيب الذي ذكرت به ، فالمغربية تلي العربية واذا تعارضتا فرضا وتقديرا فهو عربي فكرا وشعورا وانف الوطنية الاقليمية الضيقة راغم ، تماما كما لو تعارضت العربية — وهي لا تتعارض — مع الاسلام فهو مستعد للتضحية بها والتنكر لها احتفاظا بعقيدته وتمسكا بدينه الذي لايبغي به بديلا ، فالذي يريد ان يسوس المغرب ويحظى بثقة المغاربة عليه ان يرعى هذه المبادىء الثلاثة في كل عمل يعمله وكل سياسة ينتهجها ، والا فانه سيبوء بالفشل الذريع والخذلان الشنيع .

ان اول انطلاقة تحررية جدية باجماع الآراء ، هي التي انبعثت من خطاب طنجة التاريخي سنة 1947 وهي التي اعلن فيها جلالة الملك ان اتجاه المغرب الطبيعي نحو الشرق الاسلامي والبلاد العربية ، فالذين يقولون اليوم ان المغرب من الغرب او انه واسطة بين الشرق والغرب انما يحاولون فصم العرى المتينة التي بينه وبين اخوانه المسلمين والعرب تمهيدا للانزلاق به نحو التبعية الغربية والانسلاخ من قوميته العربية الاسلامية ، ولو كان من الشعوب العربية من يصح له ان يدعي هذه الدعوى لكانت مصر التي سبقتنا للاتصال بالحضارة الغربية بقرن ونصف والتي تعد اليوم من علمائها وخبرائها وفنييها عشرات المئات ان لم نقل الآلاف ، على ان خديويها الذي لم يفهم نفسية شعبه وقال ان بلادي قطعة من اوروبا قضى بقية حياته منفيا في اوروباه ! . . فكيف نحن ببضع (الليسانسات) في الحقوق الفرنسية ، من غير عربية ، او ببعض أفكار (شيوعية) يخلب بها السياسيون الفاشلون عقول

البسطاء من الناس ، تكون واسطة بين الشرق والغرب، والشرق قد اتصل قبلنا ولم ينتظر وساطتنا ، والغرب يرى تنكرنا لتراثنا الفكري والحضاري الضخم فيتأهب لالتهامنا حين لايبقى لنا رصيد روحي ولا خلقي يثير حفاظنا ويبعث نخوتنا ؟ . . .

اننا اذن مقبلون على معركة حاسمة بالنسبة لمستقبل المغرب ، فاما ان يكون عملنا عملا بناء هادفا يرتكز على اسس متينة من مقدساتنا وواقعنا الاجتماعي وحياتنا البيئية المبنية على النظافة والطهارة وعدم الاثارة وحينئذ فان المغرب سيسير في طريقه نحو النمو والتقدم والازدهار بخطى ثابتة وسريعة وبتعاون جميع العناصر والطبقات من المواطنين والمواطنات ، واما ان ننحرف ونميل ونترك الطريق السوي والنهج القويم فنضحي بالاثني عشر مليونا من اجل خاطر الاقلية التي لاتكون حتى اثنين في المائة فقط من اجل ان يقال عنا اننا تقدميون متحررون كما قالت جريدة اسبانيا الطنجية يوم استقبلت اول فوج من المسيحيين الذين اكتسبوا الجنسية المغربية في حين ان المسلمين الذين يولدون فوق التراب الاسباني لايسمح لهم القانون الا برعوية منقوصة (1) . . وفي هذه الحال فان دستور المغرب سيكون نسخة لاغير من دساتير الدول اللادينية ولا سيما القدوة العظمى فرنسا المطروبول ، وفي هذه الحال سنبقى وحدنا وستخسر الشعب باجمعه وان كنا سنكسب تصفيق الخوارج والمتملقين .

ان المغاربة الذين نحن في خدمتهم عرب مسلمون دستورهم الخالد هو القرءان وقانونهم العام هو الشرع الاسلامي فعلى هذا الاساس يجب ان يوضع دستور الدولة التي تحكمهم ومن هذين المنبعين الثريين يجب ان يستمد ذلك الدستور مبادئه واصوله ، وهذا ان لم يكن ايمانا بالقرءان ولا بالشرع الاسلامي فليكن ايمانا بالديموقراطية التي هي حكم الشعب من غير تحريف لها ولا تزييف ، وبموجب هذه الديموقراطية التي يتبجح بها الجميع لايكون الحكم الا للاكثرية ، واي اكثرية هذه ؟ انها الاكثرية الساحقة على حد التعبير المقتبس من اللغات الديموقراطية . .

وعلى كل حال فنحن لانطمع في ديموقراطية اكثر من ديموقراطية الانجليز الذين يقسم رئيس دولتهم بمقتضى دستورهم على حماية الكنيسة الانجيلية والمذهب البروتستانتي من غير ملاحظة لما يضمه الشعب البريطاني من ملايين الكاثوليك وغيرهم من اتباع الديانات الاخرى ، وفي نص الدستور على ضمان حقوق الاقليات مرضاة للجميع ، وفي نصه على المساواة القانونية بين جميع السكان نفي لكل حيف يحتمل وقوعه على الاقليات . . وما عدا ذلك فانما هو استخذاء من الاكثرية او انانية من الاقلية ، وكلا الوصفين لايليقان بالمواطن الحر ، والتوفيق من الله .

---

1) وقانون لانديجينا في الجزائر هو من قبيل هذه الرعوية عند فرنسا .

من ادعية الرسول في الصلاة

في المسند والسنن عن شداد بن اوس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته :
« اللهم اني اسالك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد واسالك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك لما تعلم ، انك انت علام الغيوب » .

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 8 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

التعليق

الجنس الابيض :

جاء في كتاب (ليس الانسان مهملا ، لكريس مورسن) ان الانسان يمكن ان يترقى باتساع دماغه وسمو فكره وحينئذ تتحقق فكرة المدنية الفاضلة التي ذكرها الفيلسوف المغربي ابن باجة في بعض تآليفه . ثم قال ان الجنس الابيض متفوق في الوقت الحاضر ، ولعله يلمح بذلك الى ان الانسان الكامل (سوبرمان) قد يكون من الجنس الابيض ويكون هو الصالح للبقاء وتنقرض الاجناس الاخرى كالصينيين واليابانيين والاندونيسيين والهنود السمر والحمر والافريقيين السود ، ويبقى الاشكال في الامم المتصفة بالبياض وليست اوربية ولا امريكية كالاتراك والفرس واكثر العرب والجراكسة والبلوجستانية بل وبعض الاوربيين المتصفين بالسمرة في جنوب اوربا ، لا يعرف مصيرهم ايقصر عليهم تطبيقا لقانون بقاء الاصلح ام يشفع لهم اخوانهم ويكون الحكم للغالب .

فاذا كان الامر كذلك فما المانع من دخول الامم المتصفة بالبياض وهي غير اوربية ولا امريكية فان كان سر الترقي كامنا في اللون وحده فلا فرق بين ابيض وابيض ، وان كان السر كامنا في كونهم اوربيين كيفما كان لونهم فلماذا لم يتفوقوا في الزمان الغابر حين ازدهرت المدنية الصينية والهندية والاشورية والبابلية والقبطية والفينقية واخيرا العربية ، وفي كل ذلك كان الاوربيون يغطون في نومهم ويتخبطون في اوحال جهلهم وتوحشهم واين كانت ادمغتهم الراقية المخلوقة من نور ؟ وكيف طرا عليها التبدل بعد مضي تلك الاحقاب والازمان المتطاولة ؟ فهل نزل عليها وحي خصها الله به دون سائر الخلق ؟ وهل احتقار الاجناس الاخرى كالاسيويين والافريقيين وهنود امريكا واختطاف الزنوج من ديارهم وجلبهم الى امريكا ومعاملتهم معاملة الحيوان الاعجم والاستعمار وما ادراكما الاستعمار قتل الشعوب الآمنة في عقر ديارها واستعبادها واغتصاب اموالها وتسخيرها في خدمة اللص المستعمر ، وتطبيق التميز العنصري كذلك من وحي هذه الادمغة العبقرية؟ وما احسن ما قال الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في الدين خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وهذه الفكرة الكاذبة الخاطئة مستولية على عقول الاوربيين ، عالمهم وجاهلهم وذكيهم وغبيهم وسادتهم وسوقتهم ، حتى ان العالم الشهير المؤلف كارل بروكلمان تورط فيها ، فنقل من ترجمة تاريخ الهند للعالم الفيلسوف الكبير ابي الريحان محمد بن احمد البيروني لمترجمه مارتين هارتمان أكاذيب اخترعها هذا الاخير منها ان البيروني كان مسلما في الظاهر فقط ولم يكن مسلما في الباطن لان علمه وعقله اجل من ان يقبل الاسلام ، ومنها انه كان شيعيا في اول الامر فلما اجتمع بالسلطان محمد بن الغزنوي صار سنيا ، ومنها انه كان فارسيا متعصبا لدولة الساسانيين التي قضى عليها العرب وكان يبغض العرب ، ويحتقر علومهم ، وهنا زاد الناقل كارل بروكلمان (بحق) انتهى كلامهما بنصه وفصه مترجما بحروفه ، وقد نقلت كلام هارتمان بنصه الانكليزي ، وكلام بروكلمان بنصه الالماني ، ورددت عليه في رسالتي التي قدمتها في جامعة برلين ، واحرزت بها لقب دكتور في الفلسفة على حد تعبير الاوربيين وفي الادب على حد اصطلاح العرب . وقد ناقش هذه الرسالة عشرة من علماء جامعة برلين احدهم استاذي المرشد رشارد هارتمان فوافقوا بالاجماع على ردي لتلك الترهات التي اخترعها مارتين هارتمان واستحسنها بروكلمان وسود بها صحائف كتابه (تاريخ الادب العربي) وزاد عليها تلك الكلمة الاجرامية وهي قوله (بحق) ، اقترف ذلك تزلفا

لحزب هتلر النازي ، وزعم بروكلمان ان البيروني كان يفتخر بآريته ، يعني لانه فارسي فهو يتصل بالنسب الآري الذي يعتز به هتلر وحزبه ، وكان بزعمه يبغض العرب ويحتقر علومهم (بحق) لانهم ساميون ، ولم يكن في امكاني حينئذ ان ارد عليه في هذا الزعم الاخير لاني كنت في عاصمة البلاد الالمانية في حكم هتلر الذي يدعي له مضلله روزنبرك ، ان البشر ينقسمون الى قسمين : قسم آري وهو الاعلى الكامل الذي انشأ المدنية ، واكتشف المكتشفات واخترع المخترعات ، وانشأ العلوم وحملها بجدارة واستحقاق ، وهو الذي يستحق ان يسود ويقود ، وقسم غير آري وهو بضد ذلك غير صالح لانشاء المدنية والعلم ولا لحملهما ، وحقه ان يستعمر ، ويجب على الجنس الآري ان يسخره ويقوم بتغذيته والمحافظة على صحته والعدل بين افراده ووضع مناهج العمل له .

وكان العلماء الالمانيون يكفرون بهذا الـــــراي ويستهجنونه ، ولما اشتدت وطأة الحكم الهتلري ما كان احد يستطيع ان يجهر بمعارضته ، كما انه لم يتنزل احد من العلماء لاظهار الموافقة عليه الا النادر ، ومن هذا النادر بروكلمان .

وكان الاستاذ باولكالي قد اقترح علي ترجمة مقدمة كتاب الجماهير في الجواهر للبيروني مع التعليق عليها ليكون ذلك موضوعا لرسالة امتحان شهادة الدكتورة التحريري فترجمت المقدمة وعلقت عليها ، ولما فر الاستاذ باول كالي من حكومة هتلر الى بريطانية في اول سنة 1939 انتقلت من جامعة بون الى جامعة برلين واتممت دراستي على يد الاستاذ رشارد هارتمان ، لم اجد في تلك المقدمة شيئا اولى بالتعليق من تلك المفتريات التي اختلقها عدو الاسلام والعرب مارتين هارتمان واقرها وزاد فيها بروكلمان فتجردت لردها وقضيت عليها بالبراهين القاطعة من كلام البيروني نفســــه في تآليفه ، فغضب علي بروكلمان لانه ظن ان الجو خلا له فاخذ يبيض ويصفر ، وينقر ما شاء ان ينقر وحسب ان المسلمين والعرب نائمون في غفلة عن مكايده ، ومكايـــد استاذه الذي نقل عنه ذلك الهراء (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ولهما الويل مما يصفان ويحق للعلماء الالمانيين العشرة الذين ناقشوا رسالتي وحكموا لي على اشهر مؤلف في هذا العصــر مــن المستشرقين لا في المانية وحدها بل في سائر البـــلاد الاوربية يحق لهم ان يفخروا بحرية الفكر ونشر الحق بقطع النظر عن قائله وهو طالب عربي غريب ، ولا مجال هنا لتفصيل ذلك الرد لطوله ، ولكني اذكر عبارة شاذة قالها البيروني في كتاب الصيدنة الذي الفه في شرح مفردات الادوية ، وقد قال فيه ، ان الصواب في هذه الكلمة هو الصيدنة بالنون لا باللام كما هو مشهـــور ؛ والكلمة التي قالها البيروني في تفضيل اللغة العربية على اللغة الفارسية هي قوله : (انا لا احسن اللغة العربية ولا الفارسية ولكن الهجو بالعربية خير لي من المــدح بالفارسية) يعني انه يفضل ان يهجى بالعربية على ان يمدح بالفارسية ، وهذه غاية المبالغة في حب العــرب ولغتهم حبا يزيد على حب العرب انفسهم للغتهـــم ، وخصوصا في هذا الزمان الذي طغى فيه الاستعمـــار الروحي بله المادي ولا سيما في هذا الوطن المغربي المنكوب الذي نرى ابناءه يتراطنون بلغة الاستعمار فيما بينهم بدون ضرورة ، شيء يدمي القلوب ويشمت الاعـــداء ويسوء الاصدقاء ، قبل شهرين كنت راجعا من فاس الى مكناس بعد القاء درس الوعظ في جامع الاندلس ، فبينما انا في اثناء الطريق اذا بجماعة من رجال الدرك قد استوقفت السيارات واخذت تجري عليها امتحانا دقيقا ، فمنها شقي وسعيد ، فبعض السيارات نجحت في الامتحان فسمحوا لها باستئناف السير وبعضها عثر جدها فرسبت وبقيت محبوسة تنتظر العقاب ، وكانت سيارتي من الناجحات فاستأنفنا السير في ذلك الليل البهيم ، فلم يمض الا قليل حتى اعترضت طريقنا جماعة اخرى من رجال الدرك وارادوا اجراء الامتحان مـــرة اخرى فاخبرناهم ان السيارة قد امتحنت بفحـــص اوراقها وادواتها قبل عشر دقائق فنجحت ، فلم يقبلوا واصروا على اعادة الامتحان فاعادوه فظهر لهم ان الضوء الاحمر الخلفي الذي يعطي الاشارات للسيارات الاتية من الوراء متوقف فقالوا اصلحوه او ادفعوا الف فرنك غرامة نقدا او تسجل عليكم قضية مخالفة ، فقلت لهم سجلوا وكان احدهم يتكلم مع صاحبه فاراد ان يودعه فقال له بالعجمية : (بون نوي) .

وكنت مغتاظا عليه فوجدت فرصة للكلام فقلت له : لغة الاستعمار حلوة لذيذة لا تستطيعون ان تفطمـــوا انفسكم عنها ؟ فقال لي : كيف كيف ؟ يعني ان الكـــلام بالعربية والفرنسية سواء . فقلت له : هذا مسخ ودناءة وخزي وعار ، وهـــل يوجد على وجه الارض شخص عنده شرف وذرة من الوطنية يسوي بين لغة قومه ولغة الاستعمار . فقال لي : ان هذه اللغة هي الرسمية عندنا في عملنا .

فقلت له : ان كلمة الوداع ليست من الاعمــال الرسمية ؛ الا يستطيع صاحبك ان يقول لك : اصبح بخير او ليلة سعيدة، اونحوذلك؟ فلما عجزعن الدفاع، قال لي : من انت ؟ فقلت له : قد رايت اسمي في اوراق السيارة وما حاجتك الى معرفتي ؛ اعمل بالقانون الذي عندك ، فاصر على ان اخبره فاخبرته باسمي فاعتذر وقال : سامحني . واخذ يصلح مع السائق ضــــوء السيارة . وانما اغتظت عليه في اول الامر لانه بدا الكلام بفظاظة وانتهت القضية بسلام . ورايت اختين مغربيتين صفيرتين تحدث احداهما الاخرى بالفرنسية .

واما في الدوائر الحكومية فالعربية اجنبية ؛ ولكن لابد لهذا الليل من آخر .

كنت اتكلم مع رئيس شركة التامين على السيارات وهو فرنسي قح في الرباط فقال : اني نصحت اولادي فقلت لهم : انكم ولدتم في المغرب ونشأتم في المغرب ، ولن تستطيعوا ان تعيشوا الا في المغرب ، فتعلموا العربيــــة فانكم ان لم تفعلوا فسيذهب احدكم الى دار البريد بعد عشر سنين او على الاكثر بعد خمس عشرة سنة ، فلا يستطيع ان يقضي حاجته الا بترجمان . فياليت المغاربة يفهمون هذه الحقيقة التي فهمها هذا الرجل الفرنسي البعيد النظر .

ورب قائل يقول لقد خرجت عن الموضوع اكثر من مرة وصيرت مقالك هذا كسفينة نوح في جمعها بين البشر وانواع الحيوان فاقول في الجواب : ان الاستطراد عادة لازمة لي ؛ لان الحديث كما قيل ذو شجون وكثير من الناس يجدون في المقال المشتمل على فنون يرتبط بعضها ببعض من المتعة ما لا يجدونه في المقال المنسق المنحصر في لون واحد ؛ والذي نعتقده وندين الله به ان البشر كلهم نوع واحد وان اختلفت اجناسه ، فــان العقل والتفكير الذي كرم الله به بني آدم لا يختلــف باختلاف الالوان والاشكال وان العلم والمدنية ليسا وقفا على جنس بعينه، الا ان حب السيطرة والاستعباد يحمل الظالمين على التنكر لهذا المبدا القويم وسيعلم الذيــن ظلموا اي منقلب ينقلبون .

دعاء المولى ادريس عند عزمه على بنــاء مدينة فــاس

قال في الانيس متحدثا عن المولى ادريس لما اراد الشروع في بنائها رفع يديه وقال اللهم اجعلها دار علم وفقه ، يتلى بها كتابــك وتقام بها حدودك ، واجعل اهلها متمسكيــن بالسنة والجماعة ما ابقيتها ، ثم اخذ المعول فابتدا بحفــر الاســاس فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنــة والجماعة بها قائمة قال وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهــم فهي في القديم دار فقه وعلم وحديث وعربية وفقهاؤها هم الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذلك كذلك على ممــر الزمــان .

توحيد هلال رمضان والاعياد

لفضيلة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله

كنت كتبت فى هذا الموضوع كتابة القيت فى اذاعة المغرب هذه مدة تقرب من خمسة اعوام .

وقد احببت ان انشر ذلك — مع زيادة على ماكتبته اولا ونقص منه وتغيير يسير — بمجلة دعوة الحق الغراء راجيا من الله التسديد والتوفيق .

اذا رىء هلال رمضان فى بلد فهل تلزم رؤيته اهل البلاد البعيدة ؟ فى ذلك خلاف .

وقد نسب بعض اصحاب كتب الخلاف العالى لزوم ذلك لهم فى مشهور مذهب مالك وممن نسبه لهم الحافظ ابن حجر فى الفتح .

وكذا نسبه لهم الامام شهاب الدين القرافى المالكى فقال فى الفرق الثانى بعد المائة من فروقه ان المالكية جعلوا رؤية الهلال فى بلد من البلاد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض ووافقتهم الحنابلة على ذلك وما ذكره صاحب الفروق هو ظاهر كلام خليل المالكية فى مختصره حيث قال وعم ان نقل بهما عنهما . قال بعض شراحه ، سائر البلاد قريبة او بعيدة ولا يراعى فى ذلك مسافة او اختلاف المطالع ولا عدمها . لكن قيد ذلك بعض شراح المختصر وحواشيه بان لاتبعد المسافة بين البلد الذي رىء فيه الهلال وبين البلاد التى لم ير فيها بعدا كثيرا كالاندلس من خراسان ونقلوا عن ابن عبد البر حكاية الاجماع على هذا القيد . غير ان هذا الاجماع الذى حكاه ابن عبد البر غير مسلم اذ كيف يسلم مع ان صاحب الاقناع فى فقه الحنابلة يقول واذا ثبتت رؤية الهلال بمكان قريبا او بعيدا لزم الناس كلهم الصوم وحكم من لم يره حكم من رآه ولو اختلفت المطالع — نصا ا هـ — المراد منه .

وحكى العلامة عبد الحكيم الافغانى الحنفى فى كشف الحقائق شرح كنز الدقائق فى فقه الحنفية الخلاف فى اعتبار اختلاف المطالع قائلا بعد كلام : وانما النزاع فى اعتبار اختلاف المطالع بمعنى ان كل قوم يعمل بمطلعهم ولا يلزمهم العمل بمطلع غيرهم ام لايعمل ويلزمهم العمل فيجب العمل باسبقهم رؤية فيعمل المغربى برؤية المشرقى اي مثلا فقيل بالاول لان كل قوم مخاطبون بما عندهم كما فى اوقات الصلاة وظاهر الرواية الثانى لتعلق الخطاب (كذا) ولعله اراد لتعلق الخطاب بالرؤية .

وقال العلامة الشيخ مرتضى فى شرح الاحياء وكلامه اوضح من كلام عبد الحكيم الافغاني : وقال اصحابنا (يعنى الحنفية) لاعبرة باختلاف المطالع فاذا ثبت فى مصر لزم سائر الناس فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب وقيل يعتبر .

فانظر كيف نسب الشيخ مرتضى القول بتعميم الرؤية لظاهر مذهب ابى حنيفة وعبر عن مقابله عند الحنفية بقيل الموذنة بضعفه .

وقد نسب كتاب الفقه على المذاهب الاربعة الذى وضعته وزارة الاوقاف بمصر بعناية هيئة من كبار علماء هذه المذاهب القول بوجوب الصوم على سائر الاقطار لافرق بين القريب منها والبعيد اذا رىء فى بلد دون باقي البلاد للمذاهب الثلاثة المذكورة .

واما مذهب الشافعى فقد وجد الخلاف عندهم كذلك فى هذه المسالة قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وهو من كبار الشافعية وقال بعض الشافعية ان

تقاربت البلاد كان الحكم واحدا وان تباعدت فوجهان لايجب عند الاكثر واختار ابو الطيب وطائفة الوجوب وحكاه البغوي عن الشافعي .

وقد نسب الخطابي القول بالتعميم للجمهور قال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه غاية السول شرح التاج الجامع للاصول وقال الجمهور اذا ثبتت رؤية الهلال في بلد وجب على كل المسلمين العمل بها وعليه الثلاثة قاله الخطابي .

ومما ذكرناه يتبين ان الاجماع الذي حكاه ابن عبد البر غير مسلم ويعلم منه ايضا صحة ما نقله العلامة بناني في باب الاجتهاد من مختصر خليل عن قواعدالمقري قال: قال بعض احذروا احاديث عبدالوهاب واجماعات ابن عبد البر واتفاقات ابن رشد وخلافات اللخمي

واما حديث كريب المبوب له في بعض شروح مسلم بما نصه (حديث لكل قوم رؤيتهم)

وهو ان ام الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية في الشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وانا بالشام فرايت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسالني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رايتم الهلال فقلت رايناه يوم الجمعة فقال انت رايته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رايناه يوم السبت فلا تزال نصوم حتى تكمل ثلاثين يوما او نراه فقلت اولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد قال فيه الامام ابن دقيق العيد كما في اختصار الشيخ كنون يمكن ان يكون مستند ابن عباس فيما ذكر حديث : اذا رايتموه فصوموا واذا رايتموه فافطروا وهو الظاهر عندي وهو حديث عام لايخص النازلة .

وفي الابي نقلا عن القاضي عياض عدم اعتداده برؤية معاوية يحتمل انه بناء على مذهبه ان لكل قوم رؤيتهم او لانه لم يقبل خبر الواحد او لامر كان يعتقده في ذلك او لاختلاف افقهم وقيل لان السماء كانت بالمدينة مصحية فلما لم يروه ارتابوا في الخبر ثم قال الابي وهي كلها خلاف قوله هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويكفي في قول رد الابي وهي كلها الخ قول ابن دقيق العيد وهو أي حديث صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته حديث عام لايخص النازلة ا هـ . ولو كان هناك حديث خاص لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله .

ثم اقول قد زرت العلامة الاكبر شيخ الجامع الازهر الاستاذ محمود شلتوت في ادارة الازهر بعد قفولي من حج سنة 1378 فتذاكرت معه في مسالة توحيد هلال رمضان والاعياد فذكر لي ان توحيده وعمل كل الامصار برؤيته في بعض البلاد دون بعض هو راي معظم فقهاء الامصار وامر باحضار قصاصة من جريدة اظنها جريدة الاهرام نشرت فيها الحكومة فتوى له تتضمن ان العمل بتعميم رؤية الهلال في سائر الاقطار اذا ريء في بعضها دون بعض هو راي جل الفقهاء

والمقصود مما تقدم كله البحث في الاجماع الذى حكاه ابن عبد البر اذ كيف يسلم الاجماع المذكور مع وجود ما يخالفه في المذاهب المتبوعة في الامصار ولهذا قال العلامة الشوكاني في نيل الاوطار بعد حكايته الخلاف في هذه المسالة ان الاجماع لايتم والمخالف مثل هؤلاء

واذا كانت المسالة خلافية وكان الاجماع الذى حكاه ابن عبد البر منقوضا غير صحيح وكان التعميم هو مذهب الجمهور كما قال الخطابي وشيخ الازهر فلا باس بتوحيد هلال رمضان والاعياد وغيرهما في الاقطار الاسلامية عملا بمذهب الجمهور من علماء الاسلام الذاهبين الى ان وجوب الصوم معلق على رؤيته لطائفة من الناس او اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة في الصحيحين وغيرهما صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين .

لا سيما والدول الاسلامية تسعى في سبيل توحيد مناهجها وخروجها من ظلمات التفرقة الى نور الاتحاد وان مما يتيح لها بلوغ هذه الغاية توحيد الاهلة خصوصا في عصرنا هذا عصر الهاتف والواحي .

اثر الكلمة الطيبة

للأستاذ محمد نمر الخطيب

قال تعالي وهو اصدق القائلين :

« قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لما حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

بهذه الموعظة الاولى ، وهذه الكلمات الساميات ، والآيات الرائعات ، خاطب الله سبحانه الاصول البشرية عند ما اهبطهم من السماء ، وأسكنهم هذه الارض ، وجعلها لهم مستقرا ومستودعا . وكما جعل سبحانه الشمس والقمر دائبتين وسخرهما لامداد العالم بالنور والضياء والحياة كذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين لامداد العالم والخلق بالضياء والنور والحياة .

فما خلت امة من رسول ، ولا جماعة من نبي ، من لدن ابي البشر آدم الى المبعوث بآخر هدايات السماء مولانا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

كل ذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولله الحجة البالغة .

ومن الواضح الجلي : ان اولى وظائف هؤلاء المختارين لهداية الخلق : الوعظ والارشاد ، ودلالة الناس على ربهم ، وادخال الايمان فى قلوبهم ، وتركيز الطاعة فى جوارحهم . سالكين فى ذلك سبيل الحكمة : من لسان عذب ، وكلمة طيبة ، ودعوة بالحسنى ، واسوة حسنة .

ومن حكمة الله سبحانه ان هذه القلوب ، وان قست ، فكانت كالحجارة او اشد قسوة الا ان الكلمة البليغة ، والموعظة الجميلة ، تجعله ينقلب رقة ، ويسيل لطفا ، ويطفو حنانا . كتلك الارض الجامدة الهامدة ، المغبرة الكالحة ، فاذا واكبها الغيث وامطرها السحاب ونزلت عليها رحمة الله، اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، وأصبحت جنة للناظرين .

ولما كان سيدنا محمد عليه السلام آخر الانبياء ، ولا نبي بعده امر علماء هذه الامة بوراثته وجعلهم كالانبياء ، فى واجب الابلاغ ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واقامة سوق الوعظ وبث صنف الهداية والارشاد وربطهم بخالقهم سبحانه . والآيات فى هذا الموضوع كثيرة ، والاحاديث اكثر من ان تحصى

ولقد كان المسلمون فى خير يوم كانوا يتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر .

وكانوا فى عزة يوم ان كان عالمهم يرشد جاهلهم ، وكبيرهم يأخذ بيد صغيرهم .

وكانوا خير امة اخرجت للناس ، لامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وكانوا امنع الامم جانبا ، يوم عرفوا سر قوله تبارك وتعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

ولهذا كانت عناية سلف هذه الامة بهذه الناحية عظيمة ، وعظيمة جدا .

ومن اليوم الذي اغفل فيه المسلمون ، هذا الامر الخطير ، تداعى بنيانه ، وذهب ريحهم ، وعلا واستبد بكرام الناس اسافلهم ، وذهب ريحهم ، واصبحوا غثاء كغثاء السيل .

واذا كان الناس فى حاجة الى الوعظ والارشاد ، فهم فى هذا الزمان اشد حاجة وامس ضرورة وذلك لكثرة المذاهب المظللة والسبل المعوجة والاهواء الجامحة ولما استحدث شياطين الانس من مغريات ومفاسد وشباك ومراصد .

ولقد اصبحت الدعاية اليوم فنا من الفنون القائمة بذاتها ، وعلما يدرس كبقية العلوم .

واصبحت الرسائل والصحف، والمجلات والاذاعات ودور السينما ودور التمثيل ، بعضا من وسائل الدعاية الحديثة ، فى هذا الزمان .

ولقد ترتب على اهمال قيمة الوعظ والارشاد فى بعض البلاد الاسلامية ان اصبحت ميدانا لغزو المبشرين، والدعاة المضللين من شيوعية وغيرها .

كما حصلت فجوة هائلة بين الآباء وابنائهم وبناتهم . واصبح البون شاسعا بين الدين وبين الجيل الصاعد بالاضافة الى انتشار الرذيلة وفشو الالحاد والاستهتار بالمثل والمبادىء العليا .

واصبح المتدينون اغرابا او شبه اغراب فى البلاد الاسلامية .

واعتقد جازما ، ان اصلاح الجيل ، وايقاف هذا التيار واعادة الدين الى شبابه ونضارته يتوقف الى حد بعيد على العناية بالوعظ والارشاد .

وذلك بايجاد طائفة مزودة بالثقافة الصحيحة من شرقية وغربية ، فاهمة لروح العصر مزودة بسلاح الزمن ، ومعارف العصر الحاضر ... والله الموفق .

وصية عقبة بن نافع لبنيه

لما خرج عقبة باصحابه وبكثير من اهل القيروان الى المغرب دعا باولاده فقال لهم اني بعت نفسي من الله ولا ادري ما يقضي علي فى سفري ثم قال يا بني اني اوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولاتضيعوها اياكم ان تمتلىء صدوركم شعرا وتتركوا القرءان ، املأوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب ما تهذبون بـه السنتكم ويدلكم على مكارم الاخلاق ثم انتهو عما وراءه . واوصيكم ان لاتداينوا ولو لبستكم العباء ، فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم واعراضكم وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم . ولا تقبلو العلم من المغرورين المرخصين يحملونكم دين الله ويفرقون بينكم وبين الله ولا تاخذوا دينكم الا من اهل الورع والحيطة فانه اسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ثم قال اللهم تقبل نفسي فى رضاك واجعل الجهاد رحمتي من دار كرامتي عندك ثم سار لا يدافعه احدا .

حول تيسير التعليم الديني بالمغرب

للاستاذ محمد الطنجي

يقول الرسول عليه السلام : (**علموا ويسروا ولا تعسروا واذا غضبتم فاسكتوا**) كررها ثلاث مرات .

بعث الله سيدنا محمدا (ص) معلما للاميين الكتاب والحكمة فزكى هذه الامة الامينة بتعليمه وتأديبه ، حتى سادت الامم بدينها وفضلها ، وسعدت الشعوب باخلاقها وعدلها ، وبكرمها وبذلها ، وامتن الله علينا ببعثه النبي الامي وتبليغ رسالته الخالدة حيث قال سبحانه : لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وفي آية اخرى : هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. فالتعليم اول مهمة من مهمات الرسول ، وقد تلقى عنه هذه المهمة شباب وكهول وشيوخ ، رجال ونساء فانتفع كل واحد من المتعلمين بهذا الخير العظيم ، كل واحد على قدر استعداده ، واذا كان التعليم في الصغر ارسخ في الذهن واثبت في النفس وامكن في قلوب آخذيه حتى قال النبي عليه السلام : من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر ، ومن تعلم العلم بعد ما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء ، رواه عبد البر ، وطور الشباب معلوم ما هو ، فان العلم كذلك مطلوب في الكبر ، وغير مذموم في اي حال ، وقد كانت عادة اسلافنا الترحيب بكل الشباب الذين يطلبون العلم ، قال الحافظ ابن عبد البر : روينا عن عبد الله بن مسعود من طرق انه كان يقول اذا راى الشباب يطلبون العلم : مرحبا بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، حبس البيوت ريحان كل قبيلة .

وكان مبدا الازدياد من العلم المستفاد من قول الله تعالى ، وقل رب زدني علما ، هو شعار النبي العربي العظيم في جميع اطوار حياته ، روى ابن عبد البر بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) : اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم . ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) ما اهدى المرء لاخيه المرء هدية افضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، او يرده بها عن ردى ،

وقال الفراء — من ائمة اللغة — لا ارحم احدا كرحمتي لرجلين رجل يطلب العلم ولا فهم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، واني لاعجب ممن في وسعه ان يطلب العلم ولا يتعلم . وقد سار اسلافنا الكرام على اثر مهمة الرسول في البداية بتعليم القرءان ونشره فكان التعليم الاسلامي في مختلف امصار المسلمين يبتديء بالقرءان الذي هو اصل الدين ، ومنه يأخذ الولدان طريقهم الى مختلف العلوم الاسلامية ، وهذا هو المذهب الواضح المعمول به في سائر المعاهد الاسلامية حتى الآن لا في خصوص معاهد المغرب كالقرويين وغيرها من المعاهد ، ولكن في غير المغرب ايضا ، وقد حدثني شيخ المعهد الاسلامي بام درمان فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله الذي يزور المغرب اليوم ان معهد ام درمان العلمي يقبل الطلبة في القسم الابتدائي في السنة الرابعة عشرة من عمرهم نظرا لتقديمهم حفظ القرءان ، اعانهم الله على حفظه . كما ذكر فضيلته ان 75 في المائة من مواد التعليم هي من العلوم الدينية و25 من العلوم المسماة بالحديثة بما في ذلك اللغة الاجنبية كما تحظى المدارس العصرية ب 25 في المائة من العلوم الدينية ، وفي صدد البداية بتعليم القرءان يقول المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون في مقدمة تاريخه « اعلم ان تعليم القرءان للولدان شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرءان وبعض متون الاحاديث وصار القرءان

اصـــل التعليـــم الـــذي ينبنـــي عليـــه ممـــا يحصل بعضا من الملكـات وسبب ذلك ان تعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعـده لان السابـق الاول للقلوب كالاساس للملكات . وعلـى حسب الاســاس واساليبه يكون حال ما ينبني عليه . انتهى . وعلـى هذه الطريقة درج اكابر علماء المسلمين الذين ضربت بعلومهم الدينية الامثال والى القارىء الكريم ما ذكره الامام الشافعي عن بداية تعلمه بحفظ القرءان فقـد روى ابن عبد البر عن الحميدي : قال محمد بن ادريس الشافعي: كنت يتيما في حجر امي فدفعتني الى الكتاب: ولم يكن عندها ما تعطي المعلم ، فكان المعلم قد رضـي مني ان اخلفه اذا قام ، فلما ختمت القـرءان دخلت المسجد ، فكنت اجالس العلماء ، وكنت اسمع الحديث او المسالة فاحفظها ، ولم يكن عند امي ما تعطينـي اشتري به قراطيس ، فكنت اذا رايت عظما يلـوح آخذه فاكتب فيه ، فاذا امتلأ طرحته في جـرة كانت لنا قديما . انتهى . وكذلك ذكر الحافظ بن العربـي طريقة تعليم الولدان في الاندلس فقال : وصار الصبي اذا عقل وسلكوا بـه امثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطا ثم الى المدونة الى آخر ما قال . وبالجملة فان اساس التعليـم الاسلامي الذي يبلغ العلماء درجة التضلع في الشريعـة المحمدية والتفوق في اللغة العربية انما يقوم علـى مدارسة القرءان قبل كل شيء ، وكذلـك دراسـة الاحاديث التي تبين مجمله ، وتوضح مراميه ومقاصده وتستقـل احيانا بتشريـع جديد .

ولن تكون الامامة في الدين الا كما نشات في الماضي على هذا الاساس المتين وان الجامع الازهـر الشريف ليتبوا الآن بسبب محافظته على شخصيتـه الفذة في التاريخ مكانة الصدارة بين معاهد الامـم الاسلامية شرقا وغربا ، وذلك لمزيد اختصاصه بالعناية بالقرءان والحديث وعلومهما ، وباللغة العربية كذلك ؛ ونرجو ان تتبوأ القروييـن مكانتها في التاريخ بفضـل رعاية جلالة ملكنا الصالح لها حتى تبقى لها شخصيتها التقليدية ، وتقوى موادها الاسلامية الى جانب العلوم الحديثة لتـؤدي رسالتها الخالـدة ، اذ لا يخفـى ان التضلع في اللغة العربيـة رهيـن بمدارسـة اساليب القرءان وحديث سيد البلغاء الذي اوتي جوامع الكلم عليه السلام منذ الصغر . حتى يكون رصيد الطالب العلمي من هذه المواد موفورا ، وبذلك ترقى ملكـات العلماء في العلوم الدينية كما تسبق معارفهم ويجـود انتاجهم فياللغة العربية لغة الدينوالوطن ، ولقد سجل ابن خلدون بكل اعجاب تحسـن اسلوب الادباء الذيـن مارسوا اساليب القـرءان واحاديث الرسول عليـه السـلام حيث قال في مقدمته : ان كلام الاسلاميين مـن العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهلية في منظومهم ومنثورهم . فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدرا من الدولة العباسيـة في خطبهم وترسيلهم ومحاورتهم للملوك ارفع طبقـة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ، ومن كلام الجاهليـة في منثورهم ومحاوراتهم ؛ والطبع السليم ، والـذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصيـر بالبلاغـة ، والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة العاليـة من الكلام في القرآن والحديث اللذيـن عجز البشر عن الاتيان بمثلهما ، لكونها اي تلك الطبقة من الكلام ولجت في قلوبهم ، ونشات على اساليبهـا نفوسهـم ، فنهضت طباعهـم ، وارتقت ملكاتهـم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها ، فكـان كلامهـم في نظمهم ونثرهم احسـن ديباجة ، واصفى رونقا مـن اولئك ، وارصف مبنى واعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ، وتأمل ذلك يشهـد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والتبصر بالبلاغة . انتهى .

وبناء على هذا نرى ان الترحيب في المعاهـد الدينية بالشبان البررة الذين حفظوا القرءان وان وقع التساهل معهم في السن انما هو تقدير لمـن يحمل في المستقبل لواء اللسان العربي المبين ، ومشعل الهداية المحمدية القرءانية في هذا البلد الامين ، لتؤدي معاهدنا الدينية رسالتها الروحية الخالدة والله ولي المتقين .

جدول عجيب لعلم الفرائض

ان دعوى البراعة العلمية فى معهد القرويين تحتاج الى بعض المستندات ولذلك رأينا ان نثبت هذا الجدول الجامع الذي هو خلاصة الخلاصة لعلم الفرائض على مذهب الامام مالك، ان هذا الجدول شاهد ببراعة واضعه وتضلعه فى علم الفرائض والعدد وناقل هذا الجدول المرحوم ج. محمد راغون التطواني بخطه لم يعرف واضعه فكتب عليه ما نصه قيل انه ينسب لحافظ المذهب المالكي الامام ابن عرفة ، ولكن يغلب على الظن انه من وضع شيخ ابن عرفة وشيخ ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب الذي هو رئيس مشيخة فاس الحافظ سليمان السطي وذلك للاسباب الآتية : اولا ذكر تلميذ بن عرفة الرصاع شارح حدود ابن عرفة ان ابن عرفة قرا على السطي كتاب الحوفية فى الفرائض لما وصل الى تونس مع السلطان ابى الحسن المريني وانه بين له المواضع التي توقف فيها ابن عبد السلام المشهور محمد بن شيخ ابن عرفة. ولو كان لابن عرفة جدول مثل هذا لنوه به شارح حدوده الفقيه الرصاع الذي لا يترك نكتة من نكت ابن عرفة ولا منقبة الا ذكرها . ثانيا : ان ابن خلدون فى مقدمته التاريخية ذكر من علم العدد علم الفرائض ومايقتضيه من صناعة حسابية ثم قال وقد الف الناس فى هذا الفن قديما وحديثا واوعبوا ومن احسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابى القاسم الحوفي وكتاب ابن المنمر والجعدي والصردي وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله سليمان السطي كبير مشيخة فاس فاوضح واوعب . ثالثا : ان الاستاذ عبد الله كنون حفظه الله ذكر فى كتابه النبوغ المغربي ان السطي المذكور له جداول على فرائض الحوفي دلت على طول باعه وتضلعه من علم الحساب . — ونحن نلفت نظر اصحاب المكاتب العلمية الى هذا الجدول راجين افادتنا عن واضعه بالتحقيق لا بغالب الظن فقط ان كان لديهم علم بذلك ولهم خالص الشكر سلفا . — . التعريف بالجدول واصطلاحه ان هذا الجدول يشتمل على الوارثين الثلاثين وما يجب لكل واحد منهم حالة انفراده وحالة اجتماعه مع غيره مع ذكر المحجوبين من الارث والحاجبين لهم . — . اما كيفية استخراج حظوظ كل وارث من مراجعة الجدول فهي ان تدخل فى قطر الجدول حيث اسم الوارث الذي تبحث عن ارثه فما تجده فى المحاذي له هو الواجب له حالة الانفراد. واذا نزلت منه الى بيت يلتقي فيه مع غيره وجدت فيه علامة حكم اجتماعهما الا البيت الذي يلتقي فيه الزوج والزوجة فليس فيه علامة لعدم اجتماعهما فى ارث ، وكل بيت فيه علامتان فاعلاهما للوارث الاعلى وسفلاهما للوارث الاسفل وكل من ضلعي الجدول وقطره مشتمل على ثلاثين بيتا .

العلامات : 1) اللام للكل . 2) النون للثلثين . 3) الصاد للنصف . 4) الثاء للثلث. 5) الراء للربع . 6) ثم للثمن. 7) السين للسدس 8) الكاف للشركاء. 9) الميم للمحجوبين

بيت المال
المعتق
ابن عم لاب
ابن عم لابوين
عم لاب
عم لابوين
ابن اخ لاب
ابن اخ لابوين
اولاد الام
ولد الام
اخوات لاب
اخت لاب
اخوات لابوين
اخت لابوين
اخوة لاب
اخ لاب
اخوة لابوين
اخ لابوين
الجد
الجدة
الام
الاب
الزوجة
الزوج
بنات الابن
بنت الابن
ابن الابن
البنات
البنت
الابن

أبحاث ومقالات

معهد أم درمان العلمي

لفضيلة محمد المبارك عبد الله
شيخ علماء السودان

شرف ادارة مجلة دعوة الحق شيخ العلماء بالسودان فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله بمناسبة زيارته للمغرب لحضور ذكرى جامعة القرويين فتذاكرنا حول الوضع الاسلامي في البلاد الاسلامية وحول التعليم الديني بوجه خاص وهو حفظه الله من الشخصيات العلمية البارزة تخرج بالازهر ودرس بكثير من معاهد مصر وله عدة مؤلفات صغيرة الحجم غزيرة المادة ، ويتولى الآن رئاسة معهد ام درمان العلمي وقد اخبرنا بان المعهد المذكور يتوفر على : 75 في المائة من العلوم الدينية و 25 من العلوم المسماة بالحديثة وبالعكس من ذلك المدارس المدنية . فالمدارس الدينية تحتفظ بطابعها التقليدي ومناهجها الخاصة لتتوفر على اداء رسالتها الروحية والعلمية في آن واحد وقد طلبت من فضيلته تخصيص مجلة « دعوة الحق » بمعلومات عن جامعة السودان الاسلامية والحركة العلمية هناك فكتب لقراء دعوة الحق هذا المقال القيم فشكرا له ثم شكرا .

معهد ام درمان العلمي هو مركز الحركة العلمية الدينية في السودان ، وهو اكبر المعاهد الدينية ومنه انبثقت هذه المعاهد ، وهو جامعة السودان الاسلامية ، بدات الدراسة فيه عام 1912 على نظام الازهر القديم في العلوم الشرعية والعربية وبعض العلوم الحديثة ، وقد وضع لهذا النظام لائحتان احداهما سنة 1913 والاخرى سنة 1925 وتكاملت فيه الاقسام الثلاثة : الابتدائي والثانوي والعالي منذ سنة 1924 واخذ يعطي العالمية من هذا التاريخ وتخرج فيه عدد كبير من العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس في المعاهد ووزارة المعارف والقضاء الشرعي والوعظ والارشاد كما التحق عدد كبير من طلابه بكلية غردون وكليات الازهر ودار العلوم وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وبعض الجامعات الاوربية ، وقد سار المعهد على هذا المنهاج زمنا طويلا .

وفي سنة 1942 بدات استعارة كبار الاساتذة من كليات الازهر ومعاهده لرفع مستوى الدراسة في القسم الثانوي والعالي الذي اصبح اليوم معهدا لطلاب الدراسات العالية من المعاهد الثانوية السودانية جميعها ، وبه كليتان احداهما للشريعة الاسلامية على منهاج كلية الشريعة بالازهر الشريف والاخرى للغة العربية على منهاج كلية اللغة العربية بالازهر ايضا.

وفي سنة 1948 انشىء للمعهد مجلس اعلى يتكون من ثمانية عشر عضوا من كبار رجال وزارة المعارف وجامعة الخرطوم والمعهد والمصلحة القضائية ووزارة الاشغال والتجار والاعيان برئاسة قاضي القضاة فخطا المجلس بالمعهد خطوات واسعة ووضع لائحة دراسية للنظام الجديد الذي ابتدا تطبيقه من ذلك التاريخ وتخرج عليه الآن اربع فرق في الشهادة الثانوية تضمنت اضافة اللغة الانجليزية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والتوسع في الرياضة وشيد المبنى الثاني من مباني المعهد على هيئة تضارع مباني المؤسسات التعليمية العظيمة .

وفي سنة 1955 انشئت مصلحة الشئون الدينية فتسلمت الشعلة من ذلك المجلس واصبحت مشرفة على هذا المعهد تضع له ميزانيته وتشرف عليه فنيا واداريا بواسطة شيخه شيخ العلماء ومجلس ادارته العلمي ، وبالرغم من قصر مدتها ومسئولياتها الضخمة نحو انشاء وتطوير معاهد الاقاليم فقد قامت بعمل الشيء الكثير للمعهد فقد اعادت النظر في المناهج الدراسية سواء كانت للعلوم الدينية والعربية ام كانت للعلوم الحديثة ، وكونت اللجان لوضع هذه المناهج التي تحقق الاهداف الاساسية الجديدة ، وقد فرغت هذه اللجان من اعمالها واصبحت المناهج في طور التجربة والتطبيق كما انها اولت اوجه النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي المختلفة اهتماما خاصا، واعتمد لهذا النشاط من المال ما يكفل له السير بخطا سريعة ولاول مرة في تاريخ المعهد انشات المصلحة فرقا للتدريب العسكري ، وزودتها بالامكانيات تمشيا مع سياسة حكومة الثورة في اعداد شباب السودان ليكون قويا مستعدا للدفاع عن وطنه ، وكل من شاهد او سمع بالمهرجان السنوي الثقافي الرياضي الذي اخذ المعهد يقيمه منذ اربعة اعوام يدرك مدى التقدم الذي احرزه والخطوات الواسعة التي خطاها .

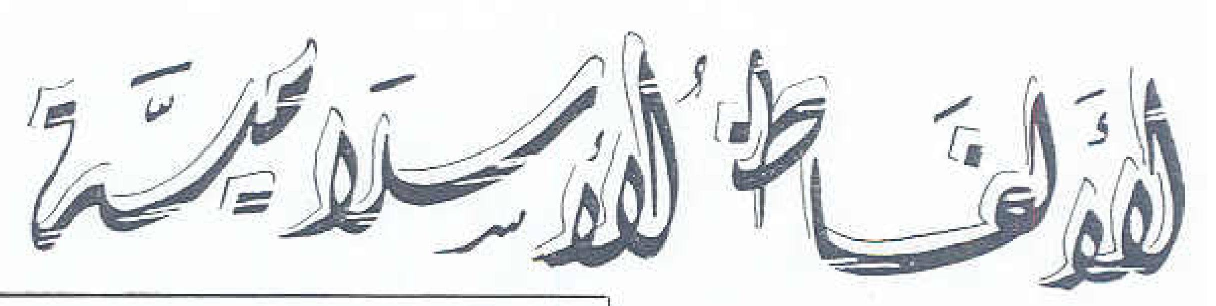
كما انها عنيت بتحسين احوال المدرسين فجاءت بعدد من الدرجات ذات المسؤولية الكبرى ورقت اليها عددا كبيرا من هؤلاء المدرسين وما زالت توالي المزيد من تحسين احوالهم وهي تجد من اولي الامر معاونة صادقة لتحقيق هذا الغرض .

وبهذا كله خطا المعهد في خلال المدة القصيرة التي لا تتجاوز اربع سنوات خطوات واسعة سواء اكان ذلك من حيث الزيادة في عدد الفصول او من حيث المستوى العلمي ، وذاع صيته فاقبل عليه طلاب العلم من مختلف انحاء السودان والبلاد الافريقية ، من شنقيط ونيجيريا ويوغندا واثيوبيا وارتيريا والصومال والسنغال وغيرها ومن عدن وحضرموت وغيرهما من البلاد الاسلامية الاسيوية ، حتى بلغ عدد طلابه هذا العام الدراسي 1250 وعدد مدرسيه نحو ستين مدرسا من الازهر ودار العلوم وجامعة القاهرة ووزارة المعارف السودانية من خريجيه وبه مساكن داخلية لاكثر من ثلاثمائة طالب من طلاب الاقاليم السودانية ومن البعوث الاسلامية وبه مكتبة ضخمة عربية وانجليزية تضارع اكبر المكتبات وتشتمل على اكثر التراث الاسلامي ويقوم الى جانب المعهد معاهد ثانوية في عواصم الاقاليم في الشمال والشرق والغرب والجزيرة ومعاهد ابتدائية نحو الاربعين مبثوثة في مدن السودان .

من عمل اللجنة الوطنية لليونيسكو

اجتمع المكتب الدائم للجنة الوطنية لليونيسكو مساء السبت 22 اكتوبر الجاري بقاعة جامعة الرباط وذلك لدراسة التدريبات التي يقوم بها الاقتصاديون والشغالون الافارقة تحت اشراف اليونسكو في الاشهر القادمة ، كما درس المكتب ترشيح بعض الدول لعضوية المجلس التنفيذي التابع لليونسكو ، ومسألة تمثيل المغرب في الدراسات الاجتماعية التي تجري في بعض البلاد الاروبية .

وقد علمنا بهذه المناسبة انه سافر الى باريز الاستاذ محمد الفاسي لحضور اجتماعات المجلس التنفيذي في انتظار ان يلتحق به الوفد المغربي في الدورة الحادية عشرة لمؤتمر اليونيسكو .



للدكتور: إبراهيم السامرائي

كان ظهور الاسلام حدثا خطيرا ، فهو تبدل حضاري للمجتمع البدائي العربي ، وهو لون جديد من الحضارة للشعوب غير العربية التي نشر الاسلام فيها لواءه . والحضارة الجديدة التي جاء بها الاسلام تقوم على ثقافة من نوع جديد ، تتلمسها في مصادر الاسلام من القرآن والسنة النبوية .

والباحث في الثقافة الاسلامية ملزم ان يتوجه الى علوم القرآن ؛ ولقد كان هذا سبيل هذه الثقافة الجديدة ولعل في علوم القرآن البداية لطالب الدرس والبحث حيث تؤدي به هذه الدراسة الى علوم ومجالات ثقافية عدة . ومن اجل ذلك عني جمهور العلماء الباحثين في علوم القرآن ، بموضوع الفاظ القرآن ؛ واكتسب هذا البحث مسالة « المجاز في القرآن » والمقصود بالمجاز في هذه الدراسة البحث في معاني القرآن . ولقد اتصف البحث في لغة القرآن باوصاف مختلفة ، فهو تارة يتجه نحو الغريب ، وذلك كما في الدراسات الكثيرة التي اتخذت غريب القرآن موضوعا ، كما في كتب « الغريب » المعروفة ، ومنهم من التزم « بالمشكل » من هذه الالفاظ ، ومنهم من بحث في « معاني القرآن » بوجه عام .

ويؤلف موضوع الفاظ القرآن بحثا فنيا في مادة « المصطلح العلمي » ولعل اول انتقال في اللغة من يسرها وسهولتها الى التعقيد والتركيب ، قد حصل في هذا الانتقال الاصطلاحي الاسلامي ، ومن هنا كان الحدث القرآني تبدلا عظيما في تاريخ اللغة العربية ، ذلك ان لغة القرآن ببلاغتها وبهذا الانتقال الاصطلاحي تؤلف مرحلة لغوية تاريخية عظيمة الاثر في حياة اللغة العربية .

ولقد ادى البحث في معاني القرآن الى البحث في الفاظ الحديث ، وحدث في هذه المادة ما حدث في القرآن : فقد الف العلماء في « غريب الحديث » ، ومنهم من الف في « الغريبين » معا ومنهم من كتب في «المجازات النبوية » ، ومنهم من بحث في معاني الحديث بوجه عام ، والمعروف ان الذين بحثوا في القرآن، عكفوا على الحديث الشريف في دراسات وبحوث مفصلة . وقد اتخذ البحث في الحديث سبيلا كالذي اعتمدوه في دراسة القرآن ، ومعنى ذلك ان الفاظ الحديث تعد تطورا جديدا في حياة اللغة العربية .

والبحث في الالفاظ هو بحث في الدلالة (Sémantique) وهذا النوع من البحث اللغوي الجديد ، وهو باب في « علم اللغة التاريخي » (Linguistique Historque) وقد بدأ هذا النوع من الدراسات بالرسالة التي نشرها العالم اللغوي الفرنسي (M. Bréal) وذلك في سنة 1897 وكان عنوان هذه الرسالة (Essai de Sémantique) ثم قامت السيدة الانجليزية ويلبي (Lady Welby) في الموسوعة البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) بتوسيع موضوع بحثها وسمته (Signifies) أي علم معاني الالفاظ ، وذلك انها ادخلت في ابحاثها هذه عناصر تطبيق نظريات العلم في جميع اطوار النشاط الفكري وفي لغة التخاطب والكتابة . ثم نشط علماء الغرب في هذا الميدان في القرنين التاسع عشر والعشرين فعنوا بدراسة تطور اللغات وعلاقاتها بالمدنية والحضارة ، ذلك ان اللغة من اهم الوسائل لتقدير حضارة من الحضارات ، وهذا النوع من البحث من البحوث التاريخية العامة لتفهم نشاط الانسان وانتقاله في الحضارات عبر العصور ، ومن اجل هذا تضافر على هذه البحوث نفر كبير من ذوي الاختصاص ، فيهم اللغوي ، والعالم الاجتماعي والمختص بعلم « الانثروبولوجي » والعالم النفساني .

وموضوع الدلالة وتطورها لم يكن واضحا بهذا الشكل في جهود الاقدمين ممن اهتم بمعاني الالفاظ كما بينا ذلك . وقد كتب الشيخ ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي المتوفى سنة 322 هـ كتابه الذي اسماه بـ (كتاب الزينة) ، وقد بحث فيه معاني الكلمات التي تغيرت مدلولاتها في العصر الاسلامي عما كانت في العصر الجاهلي ، فهو يبدأ احيانا بشرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب قبل الاسلام ثم يعود فيشرحها كما وردت في القرآن والحديث ، ويورد في ذلك آراء اللغويين والنحويين المتقدمين . وربما لم يتقيد بالتسلسل التاريخي ، بل يبدأ بمدلولها الاسلامي ويستشهد على ذلك القرآن والحديث قبل ان يحتج بالشعر واللغة ، وكثيرا ما يفسر الكلمات تفسيرا لغويا صرفا .

وصاحب الزينة في هذا الكتاب معني بالالفاظ التي شاعت في بحوث علماء العربية واهل التفسير والتي اخذت لون الاصطلاح العلمي ، وبهذا يكون من اوائل الذين بحثوا في تطور الدلالات في العلوم الاسلامية . ولا نريد ان نبحث في هذا الكتاب لانه لم يكن من غرضنا ان ندخل في هذا الباب .

ولكني مهدت بهذه المقدمة لاقول كلمتي التي اردت ان اعقد عليها هذه المقالة ، وذلك ان للاسلام مصطلحات والفاظا خاصة به التزم بها المسلمون وشاعت في اقوالهم وكتاباتهم . بيد ان الذي اثار استغرابي وعجبي الشديدين اني وجدت في مجلتكم العامرة « دعوة الحق » في العدد الثامن من السنة الثالثة ذو القعدة 1379 شيئا يبتعد عن هذا الالتزام بالالفاظ الاسلامية التي اخذ المسلمون انفسهم بها منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا . والمجلة تدعو للحق ، وتعنى بالدراسات الاسلامية وتصدرها وزارة الاوقاف في الرباط من بلاد المغرب العزيزة علينا . والشيء الذي وجدته هو في صورة الغلاف وكان ذلك صورة لمئذنة جامع الكتبية وقد كتب تحت الصورة (صومعة الكتبية) ، والذي اعرفه ان المسلمين ما اعتادوا في تاريخهم الطويل ان يستعملوا هذه الكلمة النصرانية كما سابين ذلك . والكلمة ما زالت بهذا المعنى عندنا معاشر المشارقة . ومن اجل ذلك احببت ان اكتب هذه الكلمة الموجزة لمجلتكم الزاهرة ان سمحتم بذلك ، وانا مدفوع بقوله تعالى : « فذكر ان نفعت الذكرى » ، وقوله جل شأنه « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » .

وقع بصري على هذه الكلمة مستعملة هذا الاستعمال فاستكبرت الامر ، ثم عرفت ان الكلمة مستعملة في جميع ديار الشمالي الافريقي ، وكنت اظن ان الكلمة من الكلمات السريانية التي استعملتها العربية وشاعت فيها ، ولكن البحث هداني الى انها عربية وان مادة « صمع » في معجمات اللغة المطولات تعني « العلو والارتفاع » . والكلمة من الكلمات التي استعملها القرآن ، فقد وردت في قوله تعالى « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد . . . » (1) والصوامع في هذه الاية هي صوامع الرهبان ، والبيع جمع بيعة وهي للنصارى ايضا ، اما الصلوات فهي لليهود على رأي الزمخشري (2) . والبيعة من الكلمات السريانية التي استعملتها العربية ، والكلمة مركبة من جزئين وهما (بيت عدنا) ثم حصل الادغام فصارتا (بيعة) والباء الاولى في كثير من الالفاظ السريانية تشير الى « البيت » وهو المعنى المعروف . اما «الصلوات» وهي كلمة سريانية وان نص الزمخشري على عبرانيتها ، وتعني اماكن العبادة عندهم .

وقد شاعت كلمة « الصومعة » وهي مكان الرهبان ـ في النصوص الادبية القديمة فقد جاء في ابيات لابن المعتز يذكر فيها دير العذارى والصوامع فيه ـ .

الا رب ايام مضين حميدة
بدير العذارى والصوامع والقصر(3)

ولابي نواس قصيدة يصف فيها دير فيق اذ يقول فيها :

بمريم بالمسيح وكل حبر
حواري على دين وثيق
برهبان الصوامع في ذراها
اقاموا ثم في جهد وضيق (4)

والقصيدة حافلة بالالفاظ السريانية التي استعملت في العربية .

ونصوص الادب القديم قد استعملت الصومعة في هذا المكان المشار اليه . ولعل في هذه الموضوعات فائدة لغوية ، والتفاتة تاريخية والسلام .

---

1) سورة الحج 40 .
2) الزمخشري ، الكشاف 3 / 160 (مطبعة الاستقامة 1946) .
3) الشابشتي ، الديارات 70 .
4) الشابشتي ، الديارات 131 .

هل اختصت الامامية بفتح باب الاجتهاد

للدكتور : تقي الدين الهلالي

من خطباء يوم الثلاثاء الباحثين فضيلة الاستاذ الشيخ محمد رضا مظفر عميد كلية الفقه بالنجف واحد اعضاء الوفد العراقي للمشاركة في الاحتفال بمرور الف ومائة سنة على تاسيس جامع القرويين ، وكان موضوع بحثه المقارنة بين جامعة القرويين ومدرسة النجف ، وقد اجاد في وصف مدرسة النجف وفصل القول فيها تفصيلا شمل جميع احوالها ، وقد جاء في خطبته ان الامامية ويقصد بهم هنا الاثنى عشرية خاصة ، وهم القائلون بوجوب امام معصوم بعد النبي (ص) مباشرة ، والائمة عندهم اثنى عشر اماما اولهم علي بن ابي طالب واخرهم محمد بن حسن العسكري المسمى عندهم بالمنتظر ، جاء في خطبته ان فتح باب الاجتهاد مختص بالاثنى عشرية ، وهم قرابة نصف سكان العراق واكثر سكان بلاد فارس التي يسمونها في هذا الزمان ايران ، وعددهم في الهند كثير ايضا ؛ ولما سمعت منه هذا الكلام تقدمت الى رئيس الاحتفال وطلبت منه دقيقتين اصحح فيهما خطا الشيخ الخطيب وابين بالبرهان ان الاجتهاد عند اهل الحديث المتمسكين بسنة الرسول من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين لم يقل احد منهم بسد باب الاجتهاد البتة ، وانما قال ذلك العوام الذين لا تحقيق عندهم فسدوا على انفسهم باب الاجتهاد فبقي مسدودا عليهم وحدهم . ومن شك في هذا فعليه بكتب الحديث . واختصرها له في كتابين فيما يتعلق بمسالة الاجتهاد احدهما كتاب جامع بيان العلم وفضله للامام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري وهو من اهل القرن الخامس الهجري طبعا ، وثانيهما كتاب ايقاظ همم اولي الابصار للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار وتحذيرهم من الابتداع الشائع في القرى والامصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الاعصار للامام المحقق المحدث الشهير صالح بن محمد بن نوح العمري الفلاني من سودان المغرب توفي سنة الف ومائتين وثماني عشرة للهجرة اي منذ مائة واثنتين وستين سنة فقط 162 . وازيدك كتابا ثالثا وهو كتاب الرد على من اخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض للحافظ المتقن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة تسع مائة واثنتى عشرة للهجرة . فمن قرا هذه الكتب الثلاثة لا يشك ابدا فيما ذكرنا من ان باب الاجتهاد لم يزل مفتوحا على مصراعية الى يومنا هذا وسيبقى مفتوحا ما وجد على وجه الارض مسلمون متبعون لسنة النبي (ص) .

ومن دواعي الاسف ان رئيس الاحتفال تلقى طلبي باستثقال ، ولكن الله سبحانه الذي تكفل بنصر الحق انطق احد الخطباء بمعنى ما كنت اريد ان اقول، وهذا الخطيب هو الاستاذ عبد الجواد مندوب المملكة الليبية فانه ذكر في بحثه ان الامام السيد بن علي السنوسي المغربي مؤسس الدعوة السنوسية في طرابلس وبرقة وبلدان اخرى درس في جامع القرويين ودرس فيه ودعا الى ابطال التقليد والف في ذلك ، فجاء الرد على الاستاذ مظفر ضمن المنهاج ولله الحمد.

وازيد على ما قال الاستاذ عبد الجواد ان الامام محمد بن علي السنوسي ابطل التقليد في جميع البلدان التي انتشرت فيها دعوته ولا يزالون على ذلك الى الآن والف في ذلك كتبا قيمة ، منها كتاب في اصول الفقه بخط اليد قراته في مدينة الرسول حين كنت مجاورا فيها ؛ ومنها كتاب المسائل العشر في احكام الصلاة رد

فيه على المقلدين من المنتسبين الى المذهب المالكي وبين مخالفتهم لكثير من السنن المحمدية ، وهو مطبوع متداول في ايد الناس . وقد جمعني مجلس في دار بالمدينة مع المجاهد البطل الاستاذ السيد احمد السنوسي الكبير فذكر بعض الحاضرين تقليد اقوال المذهب المخالفة للنص فغضب الشيخ وتكلم بحماس عظيم كأنه فحل هائج بلسان فصيح نحو نصف ساعة في رد التقليد والجمود على المذهب مع قيام الدليل على خلافه .

ولا يحسبن احد اني تألمت من عدم السماح لي بالكلام واني مصر على عدم قبول الاعتذار بضيق الوقت وكثرة الخطباء والباحثين وانما آلمني ذلك الجواب بالشكل المذكور .

هذا ونرجو ان يوفقنا الله جميعا للعمل بقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) وبقول النبي (ص) : (وخالق الناس بخلق حسن) وبقوله عليه الصلاة والسلام (لا تحتقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طليق) .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

نظر الحافظ بن الجوزي في التفضيل بين الغني والفقير

قال ابن الجوزي واما التفضيل بين الغني والفقير فظاهر النقل يدل على تفضيل الفقير ولكن لابد من تفصيل فنقول انما يتصور الشك والخلاف في فقير صابر ليس بحريص بالاضافة الى غني شاكر ينفق ماله في الخيرات، او فقير حريص مع غني حريص ، فلا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص ، فان كان الغني متمتعا بالمال في المباحات فالفقير القنوع افضل منه ، وكشف الغطاء في هذا انما يراد لغيره ولا يراد لعينه ، ينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى والفقير ليس مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم التشاغل عنه ، وكم من غني لا يشغله الغنى عن الله تعالى كسليمان عليه السلام وكذلك عثمان وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله فقره عن المقصود وصرفه عن حب الله تعالى والانس به ، وانما الشاغل له حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله تعالى ، فان المحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله ، بل قد يكون شغله في فراقه اكثر ، والدنيا معشوقة الغافلين فالمحروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها وان اخذت الامر باعتبار الاكثر ، فالفقير عن الخطر ابعد لان فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تجد ولما كان ذلك في طبع الادميين الا القليل منهم جاء الشرع بذم الغنى وفضل الفقر .

ثقافتنا القضائية يجب أن نوحدها

للاستاذ الحسن الحجوي الثعالبي

اذا كان من المسلم به بان الاستعمار الفرنسي قد قضى على وحدة التشريع ببلادنا وهدم كيان قضائنا وبعثر محاكمنا فان مما ينكر على المثقفين عندنا وخاصة منهم من ينتسبون الى العائلة القضائية من قريب او بعيد انهم لم يرتاحوا بعد للاصلاحات الهامة التي انجزت لحد الان في ميدان القضاء والتشريع فهم يعتبرون ان وجود قضاء مغربي وقانون مغربي يضمنان حقوق المواطنين امر لا سبيل الى تحقيقه ما دمنا لم تحدد بعد بكيفية واضحة لا تترك مجالا للشك والتردد المبادىء الاساسية والمبررات المعنوية التي يجب ان ينبني عليها قضاؤنا ويستند اليها تشريعنا ... فعلماؤنا الدينيون وقضاتنا التقليديون يرون ان كل تشريع وتنظيم لا يستمد اصوله وفروعه من الكتاب والسنة غير صالح لان يساير تقاليدنا الاسلامية ويفي بحاجياتنا المشروعة ويحافظ على طابعنا القومي . وقد لاحظ كثير من هؤلاء العلماء والقضاة على وزارة العدل اتجاهها لاصلاح المحاكم العادية وجعلها بمثابة النقطة المركزية في القضاء المغربي على حساب المحاكم الشرعية التي لم ينلها – كما يقولون – الا قدر ضئيل من الاصلاح فهم لا يلبثون يطلبون بان تصبح المحكمة « الشرعية » هي حجرة الزاوية في النظام القضائي وان يكون الفقه الاسلامي هو القانون الوحيد الذي تحكم به المحاكم في المغرب وان يكون (القاضي الشرعي) هو الحاكم المختص لتطبيق جميع قواعد التشريع وبعبارة فهم يريدون الرجوع الى الاصل مقدما ثم التطرق من بعد الى الاصلاح والتوسع والتوحيد في المحكمة والقانون .

ولا مجال هنا لانتقاد هذه النظرية او للتعريف بسياسة الوزارة في الخطة التي تنهجها لاصلاح القضاء (1) وانما اردنا ان نذكر باحدى طرق الاتجاه في ميدان بعث القضاء والقانون في بلادنا .

اما المثقفون الذين تلقوا دراستهم حسب المناهج العصرية ودرسوا القوانين الاجنبية فقد يرون ان لا سبيل الى اقرار نظام قضائي صحيح وتشريع يساير مقتضيات العصر ان نحن لم ننبذ قضاءنا التقليدي وتشريعاتنا (العتيقة) نبذا تاما ونستعض مكانها بنظام قضائي حديث وقوانين جديدة تنبني اسسها المعنوية على مبادىء فلسفية لا تمت بصلة الى الدين ولا تتصل في شيء بالتقاليد التيوكراسية وبعبارة فهم يريدون ان نقلد هنا بالمغرب التنظيمات القضائية والتشريعات الماخوذ بها في البلاد الغربية لا اقل ولا اكثر ذلك لانهم يرمون الفقه الاسلامي بالجمود والتحجر والقصور لاداء مهمة القضاء والتشريع الكفيلة بارضاء رغبات جمهور عصر الذرة والصاروخ . فقد قراوا فولتير وديكارت وتلقوا عنهما طرق التفكير ومناهج الاستدلال والاستنتاج ودرسوا (روح القوانين) لمنتسكيو وتشبعوا بنظرياته في نظام الحكم والدولة ومبادىء التشريع ولم يتجهوا لدراسة الفقه الاسلامي وتحليل مبادئه الاساسية واحكامه العملية وموقفه ازاء التشريعات الغربية قبل ان يحكموا عليه سلفا بالتحجر وعدم ملاءمته للحياة العصرية .

وهنا نحيط بمشكل من المشاكل التي خلفها لنا الاستعمار وهو مشكل التفرقة الثقافية لامن حيث تعدد اللغات فحسب بل وحتى من حيث تنوع المشارب والنزعات الفلسفية وتباين اساليب التفكير ووسائل العمل وحرية البحث ... فقد يصعب عليك ان تدعو

---

1) راجع في هذا الموضوع ما كتبه حماد العراقي في مجلة القضاء والقانون صحيفة 531 .

المثقفين من شبابنا ثقافة غربية الى اعتناق نظرية فقهية من نظريات الامام مالك او نظرية في القانون العام من نظريات الموردي . بقدر مايصعب عليك ان تهيب بعلمائنا الدينيين الى اعتناق فكرة من افكار منتسكيو حول الدولة او التنظيم القضائي او مبادىء التشريع مهما بلغت هذه الفكرة من سلامة الذوق وسمو المنطق وعدم المساس بالعقيدة الاسلامية فكل فكرة من هذا القبيل تظل في نظرهم اجنبية غربية وبالتالي غير صالحة للحياة الاسلامية مثل ما لا تعدو نظريات مالك والماوردي في نظر المثقفين ثقافة عصرية أن تكون رموزا واسرارا يتبرك بها وغير قابلة حتى للدراسة والتحليل فضلا عن ان تكون صالحة لان يعمل بها في هذا العصر !

اما ان يروح السلفيون من علمائنا الى المطالبة بتطبيق المبادىء الاسلامية وجعل الكتاب والسنة اساسا للقضاء والقانون فذلك مما لا ينبغي ان يعاب عليهم اذ هو طبيعي بالنسبة لامة اسلامية كالامة المغربية وجدير بتلافي ما وقع في بعض الاقطار الشرقية من اهمال القضاء القومي ونبذه نبذا تاما فانه استجابة لهذه الرغبة العزيزة قد اولت وزارة العدل عنايتها لاصلاح محاكم القضاء والمحافظة على التشريع الاسلامي في اطاره السلفي وعملت على وضع مدونة الفقه الاسلامي ومسطرة قضائية تقي تلك المحاكم من الفوضى والارتباك التي عاشتها طيلة سنين فالوزارة ترمي من وراء هذه المرحلة الاولى في الاصلاح الى الاحتفاظ لتلك المحاكم بطابعها الخاص وكيانها المعنوي نظرا لما يوليه جلالة الملك من عظيم العناية والاهتمام بكل ما يتعلق باحكام الشرع والمحافظة على القيم الدينية والقومية « على ان النظام الذي سيتم لوزارة العدل قريبا تطبيقه في البلاد سوف لا يترك الا نوعا واحدا من المحاكم في درجات مختلفة تنظر في جميع الدعاوي دون ما تمييز وسيكون توزيع الاعمال داخل الغرف والاقسام التي تتالف منها كل محكمة مبنيا على اساس مهني لا غير يراعى فيه تخصيص القضاة ومصلحة تسيير العدالة طبقا للانظمة الداخلية لكل محكمة » (2) فليطمئن قضاتنا التقليديون وعلماؤنا السلفيون وليدركوا بان لا مبرر ولا اساس لما يروجه بعضهم من دعاية هدامة وتهريج حول ما يسمونه بالحاق المحاكم (الشرعية) بالمحاكم (العادية) فسوف لا تبقى هناك محكمة (شرعية) واخرى (غير شرعية ؟) الا في نظر المتعصبين منهم . هذا وان الخطة التي تنهجها وزارة العدل من جعل القانون العام في المغرب مستمدا في روحه من التشريع الاسلامي لخير ضمان يطمئن اليه مصير الفقه الاسلامي في بلادنا ويجعل تشريعنا قابلا للتوسع والتطور والتغذية بكل ما كان صالحا من انظمة الغرب القضائية والقانونية .

اما ان يتنكر بعض المثقفين منا ثقافة غربية لقيمهم الدينية ولتقاليدهم فيرمون الفقه الاسلامي بالتحجر والقصور ويريدون ابعاد الناس عن حظيرة الشرع « لعدم ملاءمته للحياة العصرية » ويدعون لتقليد الغرب في انظمته القضائية والتشريعية تقليدا اعمى فذلك مما يعاب على جيل لم يتلق التوجيه الثقافي الصالح لمستقبل البلاد ، فاعتقادهم هذا وان كان سليما في حد ذاته (يهدفون من ورائه الى تقدم البلاد بالسرعة الملائمة للعصر) فهو اعتقاد سلبي لا يقوم على الاقتناع الصادر عن الدرس الشامل الصحيح والمقارنة النزيهة لاصول التشريع ومبرراته وتطوراته في الشرق والغرب ، فهم اقتصروا على ما درسوه من مبادىء القانون ومدوناته في الغرب ولم يولوا عنايتهم لدراسة التشريع الاسلامي واكتفوا عن ذلك ببعض المعلومات قلدوا فيها هذا المؤلف الغربي او ذاك واعتنقوا حول الفقه الاسلامي افكارا لمجرد انهم وجدوها في كتب الغرب وهكذا اصبحوا مقتنعين ومتشبثين بكل ما قاله الفلاسفة العلمانيون في اوربا عن مبادىء الدولة والقانون ومحشوي الذهن باخطاء فادحة عن الفقه الاسلامي لمجرد ان هذا النوع من التشريع مستمد من كتاب منزل فهو قانون دولة تيوكراسية (Théocratie) والدولة التيوكراسية في نظر هؤلاء الفلاسفة كمنتسكيو (Montesquieu) وبرودون (Proudhon) اصل السلطة المستبدة والحكم الجائر .

وهنا اريد ان اوجه سؤالين الى شبابنا المثقف ثقافة عصرية وخاصة منهم من ينتسبون للعائلة القضائية وارجو ان لا اضايقهم :

اولا — هل انتم متفقون مع منتسكيو في كل ما قرره ودعا اليه في كتابه (روح القوانين) Esprit des lois وبالاخص هل انتم موافقون على ما احتوى عليه هذا

---

(2) الاستاذ حماد العراقي : مجلة القضاء والقانون عدد 17 صحيفة 536 .

(3) انظر (روح القوانين) لمنتسكيو — الباب الخامس من الكتاب الثاني والباب التاسع من الكتاب الثالث والباب الرابع عشر من الكتاب الخامس .

الكتاب في موضوع الحكومة التيوكراسية ؟ افلا ترون معي ان الفيلسوف الفرنسي يخلط ما بين هذا النوع من الحكومات وبين الدولة الاستبدادية (Etat despotique) بمعناها القانوني وانه لايميز مابين التيوكراسيات العتيقة من هندوس ومازدية وفرعونية وبين دولة الاسلام ؟ فكيف يمكن يا ترى لمنتسكيو ان يعطينا فكرة حقيقية عن الدولة التيوكراسية بمعناها الصحيح في حين انه يعرفها في عبارات واصطلاحات مبهمة ولا يحصر حتى مميزاتها الرئيسية ؟ افرايتم اذ كيف ان احد اقطاب الفكر والفلسفة الغربية اخطا في تفكيره واحتذى تظيرا في توجيه القانون العام لا مانع لنا من مناقشته وانتقاده والابتعاد عن العمل به ؟ انني اتمنى ان تتاح لي الفرصة – او لكم – لدراسة هذا الموضوع دراسة وافية وطرقه بكل ما يتطلبه من عناية ودقة .

ثانيا – هل لا حاولتم ان تخرجوا قليلا من محيطكم الغربي وتاخذوا انفسكم بدراسة الفقه الاسلامي وتحليل موقفه ازاء التشريعات العصرية من غير ان تقيسوه بالمقاييس المنحرفة المتسمة بالتعصب الاعمى التي استعملها الاروبيون في دراستهم ؟ انني لا اطلب منكم المستحيل وانما اهيب بكم الى الاتجاه لدراسته ولو دراسة سطحية فتاخذوا مثلا كتاب (القوانين الفقهية) لابن جزي لوضوحه وجودة تبويبه وطريقة ترتيبه التي لا تقل روعة عن اساليب التحليل العصرية مع انه وضع منذ مايقرب من سبعمائة عام ! فسترون كيف ان هذا الفقه الذي يرمونه بالجمود والغموض سيبدو لكم حيا واقعيا منطقيا ، يبرر وجوده بكل دقة ووضوح ينسجم في كثير من مبادئه وقواعده مع روح التشريع الحديث ويختلف معها – طبعا – فيما لا يلائم اعراف وطبائع وقيم الامم المنضوية تحت لوائه ، وهذا امر ضروري وغير خاص بالتشريع الاسلامي وحده دون غيره ما دام لم يتيسر للبشرية جمعاء ان تعيش تحت كنف قانون موحد . فاني لا اخالكم غير راغبين في دراسة تشريعكم القومي لتكملوا معلوماتكم القانونية والقضائية ولا اشك في ان كتاب (القوانين الفقهية) لابن جزي سيكون خير مساعد لكم على تربية ذوق دراسة التشريع الاسلامي فيكم وينمي رغبتكم في مزيد البحث والاطلاع حتى تتاكدوا مما اشرت اليه آنفا من ان الحكم على الفقه الاسلامي بالملاءمة او عدم الملاءمة للحياة العصرية يجب ان لا يظل اعتقادا سلبيا وان لابد من ان يكون مبنيا على الاقتناع الصادر عن الدرس الصحيح والمقارنة النزيهة .

فالقاء نظرة مثلا على الكتاب العاشر في الفرائض والوصايا من (القوانين الفقهية) وجعل مقارنة بين تشريع الميراث عند المالكية وبين نفس التشريع في القانون الفرنسي القديم والقانون الحديث يكفي – على ما اظن – لاعطائكم فكرة واضحة عما ينطوي عليه قانون الميراث في الفقه الاسلامي من نظريات وجيهة وعناصر تنم عن التوازن وبعد النظر ، ولعل موضوع تشريع الميراث في الفقه الاسلامي من اخطر المواضيع التي تشغل بال شبابنا وشاباتنا في الوقت الحاضر خصوصا بعد تحرير المراة في بلادنا ولكل منا راي خاص حوله فلتكن ملاحظتي هذه حافزا لنا على طرق هذا الموضوع بكيفية اوسع وادق ولتكن ايضا نقطة يجتمع حولها قضاتنا التقليديون منهم والعصريون ليتبادلوا الافكار والاراء وليقصروا المسافة التي تفرق بينهم .

وبعد ، فما هي الازمة التي يتخبط فيها القضاء والتشريع ببلادنا ؟ انها ولا ريب مشكلة مسافة بين ثقافتين متباينتين يجب ان يقطعها علماؤنا وقضاتنا وذلك بان يعمل كل فريق منهم على الخروج من محيطه الضيق ليقترب بالاخر ويضيف الى علومه الخاصة علوم الفريق الاخر ويعلم كلاهما ان هناك ميادين اخرى للمعرفة ومناهج في البحث يجب ان يحسب لها حسابها، فاذا ما اخذ اولائك وهؤلاء انفسهم بالانغمار فيها عملوا على تقصير هذه المسافة للتقريب بين الثقافتين وساهموا في المزج بينهما .

اما وزارة العدل فقد اخذت منذ نشاتها على عاتقها تحقيق هذا الغرض باتخاذها عدة تدابير للتقريب بين قضاتها التقليديين والعصريين وادماج بعضهم في بعض من حيث الاختصاصات والحقوق والواجبات ووسائل العمل والضمانات وقد تهدف الوزارة مقدما وقبل كل شيء من وراء هذا الادماج الى توحيد الثقافة عند القضاة ليتاتى لها فيما بعد توحيد المحكمة وتوحيد القوانين فاذا ما تم لها ذلك – وقد قطعت في سبيله شوطا كبيرا بتوحيد المحاكم في الشمال وصدور عدة مدونات ولا سيما بصدور قانون اطار القضاة – تكون قد ادركت الغاية الحقيقية من وحدة القضاء في المغرب .

واذن فما دامت سياسة وزارة العدل في ميدان اصلاح القضاء وتوحيده متجهة الى جعل القانون العام الذي تحكم به المحاكم في المغرب مستمدا في روحه من التشريع الاسلامي وما دام من الضروري من جهة اخرى ان تعمل الوزارة باستمرار على تطور قضاتنا باقتباس ما كان

صالحا له من انظمة الغرب مما لا يتنافى مع روح الشريعة الاسلامية الطاهرة وقيمنا القومية ، فقد لا يكون بد لقضاتنا الذين اصبحو ينتمون لسلك واحد ويتمتعون بنفس الحقوق وتجري عليهم نفس الواجبات من ان يعملوا بجد على اعادة النظر في معلوماتهم وتقويم مؤهلاتهم الثقافية والمهنية لجعلها تامة وكفيلة بالاضطلاع بالرسالة السامية التي انيط بهم اداؤها لصالح مجتمعهم فقد يتحتم عليهم يوم ان يتم ادماج ما يسمى الان بالقضاء الشرعي والعادي والعصري في قضاء قومي موحد ان يلموا باطراف القانون المعمول به في البلاد وان لا يبقى هناك حاجز يعترض سبيلهم من اجل التصرف في مهمتهم بكل ما يتطلبه الحال من تبصر واحاطة بفروع التشريع لحل المعضلات المعروضة عليهم .

نعم ، قد نقول بان تحقيق ذلك وقف على وزارة العدل التي ينبغي لها ان تزود قضاتها بوسائل العمل الكفيلة بتوحيد الميدان القضائي من جميع وجوهه فتبادر بانشاء كلية للقضاء على غرار ما يوجد في البلاد الغربية وبتوحيد المحاكم وضم شتات التشريع في مدونات تكون اداة صالحة يستقي منها القضاة مادة القانون ويستنيرون بها في اصدار احكامهم . الا ان هذا وان كان من شانه ان يساعد على انطلاق القضاة واندماج بعضهم في بعض من الناحية المهنية فانه لا يكون جديرا وحده بتحقيق الوحدة الثقافية عندهم ولا يكفي وحده لاعطاء القضاء المغربي كل ما هو في حاجة اليه من فعالية وعظمة واريحية فسيبقى علينا من قبل ومن بعد ان نعمل بجد سواء في الكلية او في المحكمة على تهذيب عقليتنا كمثقفين واعادة النظر في معتقداتنا في ميدان القضاء والتشريع وذلك بتوسيع دائرة معارفنا واتجاه كل منا الى التقريب بين معلوماته ومعلومات الاخر والانغمار معه في محيطه حتى يمتزج به واذ ذاك يكون من الممكن لنا ان نحقق وحدة ثقافتنا القضائية .

فهل ينبغي التذكير بان هذا الاتجاه لم يرح بعد الاستقلال من مستحبات وكماليات الثقافة بل اصبح فرضا من فروض الاستقلال وواجبا محتما على جميع القضاة سواء منهم المنتمون للقضاء الجالس او للنيابة العمومية خصوصا وان توحيد المحكمة الذي سيتم في القريب سيفرض عليهم التوفر على ثقافة قضائية عامة والقدرة على تطبيق المدونات القانونية من دون ما تمييز بين اجزاء التشريع العام الذي تحكم به المحاكم في المغرب ، وبذلك فقط سيكونون جديرين بحمل صفة (قاضي) التي خولهم اياها صاحب الجلالة نصره الله.

من خطبة المولى ادريس الازهر عقب بيعته

قال بعد طليعة الخطبة « ايها الناس انا الذي قد وليت هذا الامر الذي يضاعف للمحسنين فيه الاجر ، وللمسيئين الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان الذي تطلبونه من الحق انما تجدونه عندنا » .

حياة الإسلام المعاصر وأثره بين أفراده وعلاقات دوله

للاستاذ المهدي البرجالي

من نافلة الحديث التاكيد بان جانبا من كتل الجماهير في البلاد الاسلامية والنخبة المتعلمة ـ على الاخص ـ تعيش فترة انتكاس روحي وديني تزداد مظاهره مع الايام حدة وخطورة .

ومن معاد القول ايضا الاشارة الى ان هذه الظاهرة لا تختص بقطر اسلامي دون آخر او تتركز صورها في بيئة مسلمة دون اخرى ، بل انها تبدو عامة مشتركة بين اغلبية الشعوب التي تدين بالاسلام او تنتسب له انتسابا دستوريا او غير دستوري ، وذلك الى حد يمكن معه اعتبارها من الظواهر الاساسية التي تميز حياة الاسلام المعاصر .

ولكن ما شأن هذه الازمة ؟ ما مظاهرها الجوهرية المميزة ؟

هل هي مظهر انحراف طارىء ؟ ام انها نتيجة حيثيات تاريخية لا سبيل الى ردها واستدفاعها ؟

ان الازمة تمتد ـ باعتبار الصورة والمظهر ـ على ابعاد كثيرة ومتعددة ولكنها متحدة في المفعول والنتائج ، اما اصولها فناشئة ـ كما هو ملاحظ ـ عن اتساع مسافة التباين بين عقائد الاسلام وروحانيته وتاثيره العام وبين كثير من البيئات الاجتماعية التي تعتزي الى هذا الدين وتعد معتنقة له . وهذا التباعد ليس في الواقع ـ وليد عامل زماني او مكاني معين ، بل هو نتيجة التصادم بين الحقيقة الدينية وبين بعض التيارات الايديولوجية التي تجتاح الفكر الانساني المعاصر والتي كان لبعضها تاثير على بلبلة هذا الفكر والانحراف به نحو سبل ملتوية ومعقدة ومليئة بالامكانيات التدميرية على اختلاف نتائجها .

والحق ان العقيدة الاسلامية تتوفر على الكثير من المقومات التي تمنحها بعض الحصانة ضد هذه المؤثرات المذهبية الطاغية ، ولكن الصورة التي آل اليها الدين الاسلامي بعد ان تسربت اليه بعض العناصر السلبية الميثولوجية المنحدرة من عهود التخلف في القرون الوسطى . . . هذه الصورة لم يكن من شانها ان تبقي له على الحصانة والمناعة التي كان ينعم بها في نفوس اهله وفي اذهانهم وعقولهم وبالتالي في الكثير من تصرفاتهم واتجاهاتهم الفردية والجماعية ، ولهذا كان الطريق ميسورا اما هذه المذاهب والعقائد الاجنبية المجرفة لكي تنفذ الى كثير من مواطن الحياة الروحية والاجتماعية والسياسية في انحاء العالم الاسلامي ، وتصيب بعض الجوانب منها اصابات جزئية او غير جزئية ؛ ومن ثم كان منشأ هذه الحالة الروحية والفكرية المائعة . . التي يصطبغ بها الوضع الديني في مختلف الاقطار الاسلامية ، تلك الحالة التي يزداد تعقدها بازدياد تأثر المسلمين بالاضطراب الروحي والفكري العالمي الشامل الذي يتميز به عالمنا الحاضر .

هذه اذن بعض بواعث الازمة وعواملها كما يعيها ويدركها الكثيرون ، اما مظاهرها فتتجلى في صور عدة يمكن استجلاؤها من ميدان الحياة العامة والخاصة لمختلف البيئات الاسلامية في هذا القطر او ذاك ومن بين هذه الصور : 1) كسوف الجانب العقائدي الغيبي من الفكرة الدينية 2) ضعف الوفاء للنواحي الشعائرية من الالتزامات الدينية 3) تفكك عناصر الجانب السياسي والاجتماعي من التنظيمات الدنيوية الاسلامية .

وليس من همنا ـ في هذا الموضوع ـ محاولة تحليل الازمة الدينية العامة وتتبع مظاهرها بالبحث والاستقصاء ، الا ان الذي يجب ان يستثير انتباهنا على الاقل هو ملاحظة التاثير الذي تحدثه هذه الازمة بالفعل على مجموع الروابط الروحية التي تصل بين مختلف البيئات الاسلامية والاضرار التي استطاعت ان تلحقها بهذه الروابط على نحو مثير حقا ؛ فقد كان

للتيارات الايديولوجية المتناقضة ـ التي اجتاحت مختلف الشعوب الاسلامية ـ ان اعانت على نشوء حالات من التفكك فى العلائق بين هذه الشعوب ، وذلك الى حد يسيء الى مبدا التماسك الروحي الذي يجب ان يتوافر لها والذي تقتضيه حاجات العصر ، ومقتضيات العقيدة الدينية ان هناك بالطبع كثيرا من المظاهر التي يمكن ملاحظتها فى عدد من البلاد الاسلامية والتي يمكن ان تدل ظاهريا على سلامة الحياة الدينية فى صورها الشعائرية التعبدية عند الكثير من الجماهير المسلمة فى هذه البلاد ، ففي تركيا مثلا يلاحظ المراقبون مزيدا من الاقبال على المساجد والمعابد ، وفى افريقيا يعترف الملاحظون بقوة التيار الاسلامي الذي يجتاح امامه الوثنية وحتى المسيحية الطارئة اجتياحا عرما وقويا ، وفى الحجاز يشاهد الناس الجماهير الاسلامية تنثال من مختلف اصقاع افريقيا وآسيا واوربا على الكعبة الحرام لتؤدي بكل دقة وامانة شعائر الطواف والوقوف والرمي وغير ذلك ، وكل هذا من شانه ان يقود المراقب السطحي الى الاعتقاد فى استمرار الفاعلية الروحية التي يتمتع بها الدين الاسلامي والتي تساعد هذا الدين على الربط بين اتباعه فى مختلف المواطن بوشائج روحية واجتماعية متينة توحد فيما بينهم وتخلق منهم كيانا معنويا له خصائصه ومميزاته ، ولكن هذه الافتراضات لاتمثل الواقع تمثيلا صحيحا ، فليس بين المجتمعات الاسلامية بالفعل قدر من الروابط المعنوية القوية التي تبلغ هذه الدرجة من العمق والمتانة ، والمظاهر الدينية التي يجوز ان تلاحظ فى هذا القطر او ذاك ليست الا مظاهر باهتة ـ لاتتعدى ـ عند اصحابها ـ نطاقا محدودا تسوده الروح الفردية الخاصة وتلفه معاني العزلة والانطواء وما اليهما ، فهل يصح التاكيد ـ على هذا الاساس ـ بان هذه المظاهر التعبدية الملاحظة فى مختلف ارجاء العالم الاسلامي هي كل ما يستهدف من وجود الاسلام كقوة حية فاعلة ومؤثرة ؟ ان الدين الاسلامي باعتباره نظاما دينيا ودنيويا يقتضي ـ بكل الحاح ـ توافر نوع جوهري من التماسك العام بين الافراد والجماعات التي تنتسب اليه ، وذلك فى سبيل خدمته المثالية العليا التي تنصب عليها اهدافه الانسانية الكبيرة وتركيز الجهود والطاقات حول هذه الاهداف تركيزا عميقا ومنظما .

هذا التماسك المنشود هل يجوز القول بانه متوفر فعلا بين وحدات العالم الاسلامي وخاصة على صعيد العلاقات السياسية الدولية وما فى بابها ، انه من الطبيعي ان نؤكد ان ذلك غير موجود بالفعل كحقيقة واقعية فالعالم الاسلامي ـ كما تتجلى صورته اليوم ـ لايمثل وحدة دولية ذات اساس مصلحي او اتجاهي مشترك ، وانما هو فقط تعبير عن واقع ديني مشترك لايعدو وجه التشارك فيه حدود الشعائر والعبادات وما يماثلها وبعض الطقوس والعادات الاجتماعية مع كثير من الفوارق الاتجاهية التي تبلغ مرحلة التصادم احيانا . وعلى النقيض من ذلك احوال المجتمعات العقائدية الاخرى كالعالم الاشتراكي الماركسي والعالم الغربي الديموقراطي الراسمالي حيث تبدو ظواهر التجانس والتماسك على اعلى نسبة ممكنة من المتانة والقوة ، وحيث يبلغ مفهوم الوحدة الاتجاهية والمصيرية مستويات مثيرة من التفاعل والتمازج والانصهار .

على انه ليس من همنا ـ ونحن نشير الى وحدة العالم الاشتراكي والراسمالي ـ ان نتحدث عن فكرة الوحدة الاسلامية او حركات الدعوة الى الخلافة او ما شابهها من تلك الحركات التي ملات حيزا هاما من تاريخ المسلمين الفكري فى العصر الحديث ، فقد كان لحركة الوحدة الاسلامية انصار وخصوم لايزال الكثير منهم متمسكا بآرائه ونظرياته واتجاهاته ، ولم ينبثق عن غمرات الجدال والنقاش فى مثل هذا الموضوع أي انجاز ايجابي له قيمته واثره ، وذلك نتيجة السلبية الواضحة التي يتميز بها موقف الدعاة والمريدين والظروف العامة التي تكتنف الفكرة بالاضافة الى النشاط الضخم الايجابي الذي يبذله انصار الحركات البديلة وذلك كحركة الوحدة العربية والوحدة الطورانية وغيرها .

ان الحديث عن وحدة سياسية اسلامية على اساس توحيدي او اتحادي او غير ذلك لايبدو ـ لهذه الاعتبارات ـ انه ذو موضوع ملح فى الوقت الحاضر ، ولكن امتناع الوحدة لايعني مطلقا جواز التنافر والتدابر والتباعد ، فالوحدة بحق شرط اساسي لامكانية الامتزاج والانصهار بين الامم والشعوب ولكنها ليست ضرورة اكيدة اذا كان الهدف مجرد تنمية التعاون والتفاهم بين هذه الامم والشعوب، واذا كان الامر كذلك فعلى أي اساس تقوم هذه الحالات من التجافي المتعمد والاهمال المتبادل بين الدول الاسلامية ؟ هل يعود ذلك الى انعدام الوحدة الشاملة فيما بينها واختلاف الاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة فى كل منها ؟ هل هو متاصل عن اختلاف

الالتزامات الدولية التي تعني كل دولة اسلامية على حدة ؟ ام انه ناشيء عن تباين الظروف الاقليمية التي تحوط مختلف الاقطار الاسلامية .

الواقع ان مقتضيات الحياة العالمية الحديثة قد هيات بالفعل كثيرا من اسباب التباين في الظروف والاحوال والمصالح بين شعوب العالم الاسلامي ، والواقع ان هذا التباين يزداد اتساعا بقدر ما يشتد احتكاك المسلمين – كما قدمنا – بالتيارات العالمية المعاصرة من سياسية وفكرية وغيرها ؛ فهناك من الشعوب الاسلامية من اجبرته ظروفه الجغرافية والدولية على الارتباط بالعالم الغربي والتاثر بسياسته واتجاهاته العامة وذلك كالباكستان وايران واتحاد الملايو وتركيا والفليبين وغير ذلك ، كما ان هناك من الامم الاسلامية الاخرى من اضطرته ظروف معينة الى الارتباط بالعالم الماركسي والتقيد بنظرياته وآرائه والتزام خطته في السياسة العامة والخاصة بل والانصهار في بوتقته انصهارا كليا او جزئيا وذلك كالبانيا وسنكيانج الصينية والجمهوريات الاسلامية السوفيانية في اواسط آسيا وغيرها من الامم والاقليات الاسلامية (المتمركسة) هذا بالاضافة الى اقطار اخرى ممن قادتها اتجاهاتها الى اعتناق مبادىء سياسية خاصة مثل مبدا الحياد الايجابي والتعايش السلمي تارة وعدم التبعية تارة اخرى ؛ ومن بين هذه الاقطار : اندونيسيا وافغانستان والعربية المتحدة وغينيا والمغرب والعراق وغير ذلك ، كما ان هناك اخيرا بعض الدول الاسلامية التي لم تتبين بعد طريقها بوضوح في خضم التيارات المذهبية الدولية المعاصرة ، ولذا فان اتجاهاتها تكتسي طابع الحيرة والارتباك تارة كما تصطبغ بلون الغموض والابهام تارة اخرى ؛ ولا ينحصر امر الاختلاف بين وحدات العالم الاسلامي في هذا النطاق المتعلق بالاتجاهات السياسية الدولية فقط بل ان مظهره يتجلى في ميادين اخرى غير ما ذكرناه آنفا ، فهناك – بحق – كثير من التباين في طبائع الانظمة السياسية والاقتصادية التي تسود هذا القطر الاسلامي او ذاك ، كما ان هناك ايضا كثيرا من الاختلاف في مناهج الحكم واساليب القيادة والتسيير التي تتحكم في توجيه مصاير الشعوب الاسلامية وتقتاد كلا منها الى وجهة معينة وخاصة ، فاليمينية التي يتطبع بها نظام الحكم في ايران مثلا تختلف عن الاتجاه اليساري المعتدل الذي يتدرج اليه الوضع الحكمي في غينيا ، وهذا الوضع يختلف بدوره عن ذلك النوع من اليسارية المتطرفة التي يعتنقها جهاز الحكم السائد في البانيا وغيرها . وكل هذا من شانه ان يؤكد حالات الاختلاف الملموس الذي يفصل فعلا بين الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية لمختلف الاقطار الاسلامية . . . هذه الحالات التي ليست من الخفاء والدقة بالقدر الذي يسوغ معه تكراتها او التقليل من اهميتها ومفعولها ، ولكننا نعود الى ذلك التساؤل السابق : هل من الممكن اعتبارهذه الاختلافات اساسا لتبرير كل هذه المظاهر من التجافي والتنافر والاهمال المتبادل تلك التي تنطبع بها صورة العلاقات بين كثير من البلاد الاسلامية ؟ هل يجوز ان يتخذ ذلك ذريعة لاستبعاد كل تعاون دولي منظم وفعال بين مختلف الدول الاسلامية ؟ قد يبدو ذلك صحيحا بعض الشيء ولكنه ليس كذلك في جميع الاحوال ؛ فالاختلافات ذات الصبغة السياسية او الاقتصادية قد تقود حقا الى اختلافات اعمق في مجال الحياة الدولية وتؤدي بالتالي الى تدمير بوادر التعاون والتفاهم بين الدول التي تفصل بينها هذه الاختلافات، هذا صحيح في بعض الصور والحالات ، ولكنه لايمثل قاعدة ثابتة يجوز الاعتماد عليها في اصدار احكام قاطعة وباتة فهناك فعلا كثير من الحالات الدالة على امكانيات التعاون والتفاهم بين الوحدات او المجموعات الدولية على الرغم من التفاوت الذي قد يكون حاصلا بين انظمتها السياسية واوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، كما ان هناك ايضا بعض الصور التي لها قيمتها في التدليل على جواز قيام تكتلات دولية متماسكة لم تؤثر عليها مثل هذه الاختلافات او تحول دون استمرارها بنجاح بل ونموها نموا مطردا وملحوظا ومن امثلة ذلك : نظام الكومونولت الذي يضم على صعيد التعاون والتفاهم كثيرا من الشعوب المختلفة في انظمتها واتجاهاتها وأوضاعها واديانها واجناسها والمتحدة فيما يحدوها من رغبة عامة في تبادل المصالح والمنافع المشتركة في مختلف الميادين من اقتصادية وفنية وثقافية ودولية وغيرها ؛ وهناك من الشعوب الاخرى – غير شعوب الكومونولت – من تضمها احلاف دولية كبرى توحد بينها في المصير والاتجاه والمصالح والاحاسيس ما يبدو غريبا ومدهشا ؛ واذا جاز ان تكون الفواصل بين الامم الاسلامية اعمق تاثيرا مما يوجد بين شعوب الكومونولث وغيرها فهل يجب ان تؤدي هذه الفواصل – واكرر ذلك – الى ما يقترب احيانا من درجة العداء السافر والقطيعة الباتة ؟ والا فعلى اي اساس يمكن تعليل موقف بعض الدول

الاسلامية من الوجود الصهيوني فى فلسطين وكيف يجوز تبرير السلوك الذي تتخذه هذه الدول والذي يعبر عن استساغة مبدأ العلاقات الودية مع اسرائيل ؟ وكيف يمكن تسويغ التهافت الذي تبديه دول اسلامية اخرى على الترابط الاقتصادي مع الصهيونيين وفسح المجال امام التوسع الاسرائيلي لينفذ الى اعماق القارة الاسيوية والافريقية ولو كان ذلك على حساب المودة والاخاء الذي يجب ان يربطها بالشعوب العربية ؟ بل كيف يمكن ايضا تبرير النهج الحيادي السلبي الذي يلتزمه صنف آخر من الدول الاسلامية حيال اسرائيل وكأنها ليست السبب المباشر فى ماساة المليون من اللاجئين .

قد يجوز ان يقال ان ذلك ناشيء عن الصبغة العلمانية التي تسود بعض الدول حيث تتم ممارسة شؤون السياسة العامة بمنأى عن الدين ومؤثراته وحيث تبرز المصلحة الوطنية الخاصة كاقوى عامل فى تحديد الاتجاهات السياسية فى الداخل والخارج ، وقد يقال ايضا ان منشأ ذلك يعود الى ما يكتنف مواقف بعض الاقطار الاسلامية فى العالم الدولي من ملابسات دقيقة ومحرجة وذلك كوضع تركيا داخل حلف الاطلسي ووضع ايران فى حظيرة منظمة المعاهدة الوسطى وموقف نيجريا كعضو محتمل فى رابطة الشعوب البريطانية وحالة الملايو كعضو فعلي فى هذه الرابطة ، وقد يقال غير هذا او ذاك ، ولكن هل يجوز ان تكون هذه الاقوال كافية لتبرير السياسة الودية التي تنتهجها حكومة اسلامية فى افريقيا وآسيا حيال اسرائيل وحيال التوسع السياسي والاقتصادي الذي تقوم به الدولة الصهيونية فى القارتين الملونتين .

والا فهل ضروري ان تكون لتركيا ونيجيريا مثلا من المصالح فى اسرائيل اكثر مما لها من منافع متبادلة مع دول الجامعة العربية تلك الدول التي تعتمد مواقف العداء السافر ضد الدولة الصهيونية وضد كل من يصل اسبابه بها من قريب او بعيد .

ان دولة متخلفة كنيجيريا تحتاج فعلا الى جميع الوان المساعدة الفنية والاقتصادية والثقافية وغيرها ، وهي فى وضع يضطرها بحق الى التماس اسباب هذه المساعدة من جميع المصادر الدولية التي لها بعض التبريز فى مثل هذه الميادين ، ولكنه ليس ثمت ما يجبر هذه الدولة الاسلامية على اقتحام ابواب التعاطي مع اسرائيل والانسياق فى سبيل التعامل معها كمصدر لاستقاء الاعانة وتبادل التجارة وغيرها ، وذلك لاسباب منها : 1) ان اسرائيل توجد هي نفسها فى حالة افتقار الى الاستفادة من امكانيات المساعدة الدولية الخاصة والعامة 2) ان المساعدة الاسرائيلية المحتملة تؤدي فى الغالب الى الحرمان من امكانيات التعاون السياسي والاقتصادي مع كثير من دول الشرق الاوسط وهي امكانيات هامة لها نصيبها من القيمة والاعتبار 3) ان وسائل الاستفادة من الاعانة الدولية لم تعد تنحصر فى نطاق التعامل مع دول معينة بل اصبح لها مجال واسع فى نطاق الامم المتحدة ومنظماتها الفرعية المختلفة بالاضافة الى الهيئات والمصالح الدولية الاخرى التي لها صبغة عالمية غير ملزمة .

اما بالنسبة لتركيا فالامر اكثر وضوحا وبيانا فالدولة التركية مرتبطة بالعالم الاطلسي ارتباطا وثيقا متينا وارتباطها هذا يتيح لها الكثير من فرص الاستعانة بالامكانيات المالية والفنية الغربية على نطاق واسع نسبيا وذلك مما لايجوز ان يجعلها مجبرة بالضرورة عن التعامل مع اسرائيل او الارتباط ولو فى نطاق العلاقات الديبلوماسية العادية وذلك ــ كما ذكرنا ــ فى سبيل ضمان التعاون الاقتصادي والسياسي مع العالم العربي هذا التعاون الذي يجب ان يعني كل دولة تهتم بالشرق الاوسط والشمال الافريقي وترتبط مصالحها بهذين القطاعين الدوليين الهامين ارتباطا كليا او جزئيا .

وقد ادركت اليونان واسبانيا ــ وهما دولتان مسيحيتان ــ هذه الحقيقة فلم تقدم اي منهما على بادرة الاعتراف بالنظام الصهيوني القائم فى فلسطين المحتلة ولم ترددا فى الامتناع عن ربط علاقات المودة مع هذا النظام على الرغم من الظروف الدولية التي تحوط كلا من اثينا ومدريد والتي تدعوهما على العكس الى انتهاج سياسة التقارب مع اسرائيل .

وليس من المنطقي حقا ان نعزو موقف الدولتين المسيحيتين من الصهيونية الى امكانية وجود عواطف قومية او دينية تملأ صدور اليونانيين او الاسبان نحو العروبة والاسلام ، ليس هناك بالطبع ما يدعو الى اعتقاد ذلك وعلى هذا فان ما يعلل السياسة الاسبانية واليونانية فى هذا المقام هو التفكير المصلحي الصرف . . . هذا التفكير الذي له اكبر وزن على توجيه التيارات

السياسية العالمية وتكييف النتائج الناشئة عنها بشكل مباشر او غير مباشر . والذي يبدو واضحا ان العوامل المصلحية كان من الممكن ان يكون لها ـ كما هو شان الاسبان واليونان ـ تاثير على مواقف بعض الدول الاسلامية التي ترتبط مصالحها بالشرق الاوسط ارتباطا تاما او نسبيا وبالتالي فان اتجاهات الدول تكون اكثر انسجاما مع موقف العالم العربي من اسرائيل ؛ ولكن كثيرا من الظواهر الواضحة تدل على ان بعض الاقطار الاسلامية تعتمد في سياستها بالشرق الاوسط على استنتاجات اخرى ذات تاثير معاكس ؛ فالمصلحة عند هذه الاقطار قد تاخذ اتجاها آخر ، وقد يقود هذا الاتجاه الى موقف المسالمة المطلقة مع اسرائيل ؛ وقد يقود ايضا الى الايغال في هذه المسالمة الى حد اضعاف العلاقات العامة مع العالم العربي مع ما يحمله كل ذلك من نتائج سيئة وخطيرة احيانا .

اما الموقف الذي يتحكم في تحديد مثل هذه المواقف « الاسلامية » من اسرائيل فهو منطق المصلحة القومية . . . هذه المصلحة التي لانستطيع ـ بحق ـ اكتناه سرها لحد الآن ؛ كما لم تستطع ذلك من قبل كل من اليونان واسبانيا وكما لم تستطعه كل دولة غير اسلامية لم تقدم على بادرة التعاون مع اسرائيل .

وكما ان مثال فلسطين له اكثر من دلالة على تفسخ الروابط العادية بين الكثير من وحدات العالم الاسلامي فان هناك ايضا من القضايا الاسلامية والعربية الاخرى ما يعتبر ذا مدلول قوي للاحتجاج به في هذا المقام ، فالمؤازرة الدولية مثلا . . تلك التي يحظى بها الشعب الجزائري في نضاله البطولي العظيم لا تصدر فعلا عن كافة الاقطار الاسلامية ، ولو ان هذه القضية ترتبط شديد الارتباط بقضايا التحرر الانساني التي تعني الجماهير المسلمة في افريقيا وآسيا ؛ بل ان هذه القضية تلقى من مناصرة الابعدين عنها ومن عطف بعض الاوساط التي تنتسب لخصومها ما لا تجد له صدى كبيرا في الفلبين مثلاوماليزيا وافغانستانونجيريا واتحاد مالي وغير هذه الاقطار ، وهكذا الشان بالنسبة لقضايا اسلامية اخرى كقضية كفاح شعب عمان والبحرين وعدن وكاشمير وغير ذلك من قضايا التحرر الانساني في كيان العالم الاسلامي .

اننا لا نضع قضية التضامن الاسلامي في اطارها الحقيقي الذي تقتضيه تعاليم الدين المشترك والعقيدة الموحدة بل اننا نضعها ـ على الاقل ـ في اطارها المصلحي الذي يستند الى ما يصل بين الشعوب الاسلامية من روابط مصلحية قارة وما يربط بينها من منافع سياسية واقتصادية وثقافية متبادلة سيما والاوضاع التي تسود اغلبية هذه الشعوب هي من التماثل والتقارب بقدر كبير ؛ فاكثريتها تنتسب الى ما يسمى بعالم الشعوب المتخلفة اقتصاديا كما انها تعد من ضمن القطاع الدولي الذي يضم مختلف البلاد الحديثة العهد بالاستقلال ؛ هذا بالاضافة الى انها تواجه انواعا متشابهة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتقتضيها طبيعة هذه المشاكل اللجوء الى حلول قد تكون متقاربة ومتوازية ؛ فالتقاء هذه الشعوب اذن على صعيد التفاهم والتضامن لايجوز ان يفسر على انه مظهر للتعصب العقائدي السلبي سيما والعقيدة المشتركة بين المسلمين لا تستلزم مثل هذا الاحتمال ـ وانما هو مجرد اساس لتقريب وجهات النظر بين مجموعة من الوحدات الدولية التي تضم بينها في الاصل كثيرا من عوامل التقارب العقائدي والثقافي والتاريخي وتوجد في حالة افتقار الى تبادل المصالح عن طريق التآزر السياسي والتعاون الاقتصادي والتبادل الفكري والتراص امام المهددات التي يزخر بها الافق الدولي ؛ ان الاسس الفلسفية التي يقوم عليها مبدا التعاون المفترض بين وحدات العالم الاسلامي لايجب ـ كما راينا ـ ان تكون محط رد او اعتراض جوهري ، واذا كان الامر كذلك فعلى من تعود مسؤولية التفسخ العقائدي والتعاوني بين الامم الاسلامية في العصر الحاضر ؟ هل تقع التبعة على مختلف الهيئات الحكومية او على الجماهير والتكتلات الشعبية ؟ او انها تؤول بالاحرى الى القيادات الاجتماعية والثقافية وغيرها ؟ الذي يبدو ظاهريا ان بعض جوانب المسؤولية في هذا المقام تعود الى القيادات الحكومية والانظمة السياسية القائمة في مختلف ربوع العالم الاسلامي ؛ ولكني لا استطيع ان اساير هذه الوجهة من النظر مسايرة مطلقة ، لانها لاتعكس كل الحقائق التي تدق احيانا ويعوزها القدر الكافي من الجلاء والوضوح ؛ فليس من المعقول اطلاقا عزو ازمة التضامن الاسلامي الى الجهات الحكومية الرسمية في العالم الاسلامي دون غيرها ، ان الشعوب تتحمل ايضا مسؤوليتها الضخمة في وجود هذه الازمة وفي نموها وتطورها وسوء النتائج التي تنبثق عنها ؛ فالحكومات ـ في بعض الاحيان ـ لاتفعل الا ان تعكس صورة الواقع الفكري الشعبي وتمنحه شكله الفعلي المجسم ؛ ومن الجائز جدا ان بعض الحكومات الاسلامية قد لاتشذ عن هذه القاعدة الا قليلا .

ان كثيرا من الاقطار الاسلامية تقوم فيها حقا انظمة سياسية لاتمثل كل الاتجاهات الشعبية العامة ولكن هناك اقطارا اسلامية اخرى توجد — على العكس — متوفرة على كثير من المؤسسات الديموقراطية التي يجوز ان تمثل — الى حد ما — النزعات الجماهيرية بعض التمثيل ، ومع ذلك فان الانظمة النيابية فى بعض هذه الاقطار كانت وسيلة لتعزيز سياسة عدم التضامن التي ينتهجها المسؤولون الحكوميون فى حقل العلاقات مع بقية اقطار العالم الاسلامي ، وبالتالي فان الكتل الشعبية الممثلة برلمانيا تتحمل هي بدورها قسطا من المسؤولية فى هذا المقام

ان التعليل الذي يمكن الاستعانة به فى فهم هذه الظواهر الملتوية يتمثل فيما يبدو على الجماهير المسلمة من سلبية وقصور فى التفكير الديني وما يتصل به من معطيات سياسية واجتماعية وغيرها .

والواقع ان كثيرا من جوانب المشكلة الدولية الاسلامية يتركز — على ما يبدو — فى هذه النقطة بالذات فالجماهير فى بعض جوانب العالم الاسلامي لايلوح عليها ما يمكن ان يعتبر استعدادا لاستيعاب المضمون السياسي والاجتماعي للفكرة الاسلامية ، وبالتالي فانها لا تستطيع ان ترتفع بالمفهوم الديني — كما يحدده الاسلام — الى مستوياته الانسانية العملية التي تستند الى مباديء التكافل والتعاون فى العلاقات الانسانية الخيرة وتستوجب اقراره بين الافراد والجماعات المسلمة اقرارا ثابتا ومركزا .

واذا كان مبدأ التآخي الديني يتخذ عند الكثير من المسلمين مدلولا واقعيا له قيمته واعتباره فان هذا الشعور الاخوي السطحي لايقوم كقوة موجهة ذات فاعلية وتاثير لان مفهومه لايجاوز فى بعض الاحيان حدودا سلبية جوفاء كالتحابالمجرد والتعاطف المظهري الفارغ والتجاوب السطحي فى المشاعر والاحاسيس واشياء من هذا القبيل .

على ان مجال الشعور الاسلامي فى حدوده الضيقة هذه قد بدا يتقلص او هو بصدد ذلك بالنسبة لبعضالشعوبالاسلامية التياجتاحتهاتياراتايديولوجية وفكرية معينة ، فقد اخذت القوات الجماهيرية فى هذه الشعوب — باستثناء فئات قليلة ممن يوصفون بالمحافظة والتزمت — تتخذ سبيلا يتجه بها نحو حالات من ضعف الانفعالات للمؤثرات الروحية الدينية وما تقتضيه من اتجاهات او تضمه من محتويات اخلاقية وفلسفية مختلفة ومن نتائج ذلك بالطبع ان مفهوم التضامن الاسلامي قد غدا عند البعض مفهوما خياليا لاينطوي على اية عناصر معقولة وايجابية ، كما اصبح عند آخرين ذا مدلول غير علمي لانه لايستجيب للحاجيات الفكرية والروحية والحقائق السياسية والاقتصادية التي تتحكم فى توجيه العلاقات الانسانية فى العصر الحاضر اننا — بالطبع — لانسوق هذه الآراء للاستدلال بها او استخدامها للدفاع عن وجهة نظر معينة ، وانما ناتي بها باعتبارها حقائق فعلية تمثل جانبا من الواقع الفكري الاسلامي فى بعض البيئات الاسلامية وتعبر عن بعض التيارات الاتجاهية التي تجيش بها هذه البيئات وتنفعل لها انفعالا جزئيا او تاما ، ولهذا نلاحظ ان الحركات الجماهيرية التي شاهدتها كثير من الاقطار الاسلامية لم يكن لها من منطلق فى الغالب الا ما يتصل بالاهداف الوطنية والطائفية ، اما العامل الديني فقد غدا يمثل بالفعل جانبا من حياة الجماهير لا يقوى — لضعفه — على خلق تيار ثوري جماعي او يساهم فى توجيه عمل شعبي انقلابي وتعتبر الثورة التركية الاخيرة من بين النماذج التي لها دلالتها فى هذا المقام ، فقد استطاعت الجماهير التركية ان تهيء ظروف عمل ثوري صميمي كان من نتائجه تدمير قواعد النظام الذي كان يمثله مندريس وبيار وغيرهما ، وقد كان العمل الثوري شعبيا جماهيريا على الرغم من الصبغة العسكرية الانقلابية التي اصطبغ بها فى مراحله الاخيرة ، ومع انه لم يحدث تغييرات جذرية على حياة تركيا الخاصة وعلاقاتها الخارجية الدولية فانه — مع ذلك — كان يستهدف اغراضا معينة مخصوصة ضمت على صعيد واحد عناصر الطلاب والسياسيين والعسكريين وغيرهم ، ولكن اي هذه الاغراض كان يتصل بحياة الاسلام على ضفاف البوسفور والدردنيل ؟ فقد كان من الجائز ان يواجه النظام السابق مؤاخذات فى موضوع العلاقات التركية العربية ، وكان من الضروري ان تكون هذه المؤاخذات من عناصر العمل الثوري الذي اطاح بنظام الحزب الديموقراطي التركي ، وكان من اللازم كذلك ان تتم المبادرة الى تصحيح الاوضاع وتقويم الاحوال التي كانت تميز السياسة التركية العربية خلال العهد المباد ، وذلك فى نطاق المصلحة المشتركة التي تضم بين الشقيقة الاسلامية الكبرى وبين جيرانها العرب فى الشرق الادنى والاوسط .

الا ان الارهاصات التي امكن استطلاعها غداة وقوع الانقلاب لم يمكن معها – بحق – تكوين استنتاجات ايجابية في هذا المقام .

ان هناك – حقا – ما يجوز ان يحملنا على الاعتقاد بان النظام الثوري الجديد في تركيا ربما يكون اكثر ليونة ومرانة في السياسة العربية والاسلامية ، ولكن ليس هناك ما يساعد على التاكيد بان الثورة التي قام على اساسها هذا النظام تستهدف في بواعثها الاولى اغراضا انقلابية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية على العموم وعلاقة هذه السياسة بالعالم العربي على الخصوص ، ولا مفهوم لتركيا وحدها في هذا المجال ، فالتطورات السياسية المختلفة التي تتلاحق في ربوع العالم الاسلامي لاتنبعث – كما تمكن ملاحظته – عن عوامل اسلامية او شبه اسلامية ، ان اصولها غالبا ما تكون ناشئة عن اضطرابات اجتماعية او اقتصادية الصعيد الداخلي او في ميدان الحياة العالمية .

وهذا ما يمكن ان تفسر به الحركات الثورية في او غيرها مما قد يكون له صلة بتطورات الوقائع على ايران واندونيسيا والباكستان وغيرها ، فقد امكن لهذه الاقطار ان تعيش فترات ثورية مختلفة كان لبعضها تاثير حاسم على سير الوقائع التاريخية وتحديد اتجاهاتها ونتائجها ، وعلى الرغم من وجود محتوى عقائدي كانت تعبر عنه احيانا مثل هذه الثورات فانها – مع ذلك – لم تسهم في العمل على تدعيم الوعي الاسلامي او مسايرته على الاقل وذلك لسبب بسيط وهو انها لم تكن ناشئة عن تطور فكري ديني بقدر ما كانت منبعثة عن تفاعل اجتماعي او اضطراب اقتصادي او تصادم سياسي محلي او دولي او غير ذلك ، والتطورات المختلفة التي شهدتها ربوع العالم الاسلامي خلال العقد الاخير هي – كما قدمنا – من بين الشواهد على ذلك .

وليس هناك من سبيل للاستدلال ببعض المظاهر الثورية ذات الطابع الاسلامي كالهيجان الذي تواصله جماعات دار الاسلام باندونيسيا مثلا ، فان هذه المظاهر لاتتخذ شكلا معينا قد يحمل على الاعتقاد بانها تشكل ثورة فكرية وعقائدية اسلامية ذات محتوى محدد وواضح ، هذا علاوة على ان الانقلاب الفكري الاسلامي الذي ننشده لايجب بالضرورة ان يكون سبيله الوسائل الثورية العنيفة كالتحركات المسلحة وما في بابها .

ان التضامن الاسلامي المنشود يجب ان يكون نتيجة ثورة فكرية واعية وايجابية تستهدف ايقاظ الوعي الاسلامي بين الشعوب الاسلامية وتتغيا تعميق هذا الوعي وتأصيله حتى يصبح عاملا موجودا له فاعليته وتاثيره على سير العلاقات بين وحدات العالم الاسلامي وتنمية بذور التعاون والتفاهم فيما بين الشعوب والدول الاسلامية .

ان هناك – بحق – كثيرا من المظاهر الدالة على تزايد الاهتمام بهذا الموضوع وغيره مما يتصل بحياة الاسلام المعاصر ، ومن آيات ذلك ما سجله تاريخ الحركات الاسلامية من بوادر ملحوظة تمثلت بعض مظاهرها في مؤتمر لاهور (1958) الذي دعت اليه جامعة البنجاب وفي غيره من المؤتمرات الاسلامية المتعاقبة ، ولم يكن مؤتمر لاهور وسيلة لدراسة الاسلام كنزعة روحية فقط ، بل انه كان يرمي الى استقصاء المشاكل التي تواجه حياته المعاصرة ودراسة التغلب على هذه المشاكل وتذليلها وخاصة ما يتصل من ذلك بحياة المسلمين الحديثة ، وقد انعقدت قبل هذا المؤتمر وبعده كثير من الاجتماعات والمؤتمرات والندوات ذات الصبغة الاسلامية او شبه الاسلامية ، الا ان هذه البوادر من الوعي الاسلامي لايجوز ان تكون دليلا على ان الشعوب الاسلامية تسير في طريق التضامن والتعاون كما هو المفروض منطقيا وكما هو الواقع فعلا بين شعوب اخرى تعتبر اجنبية عن الاسلام .

واذا كان الامر كذلك فكيف يجوز لهذا الوعي الاسلامي المحدود ان يتخطى حدوده الضيقة ليصبح عامل تضامن وتفاهم ووئام بين الشعوب التي تنتسب الى العقيدة الاسلامية ؟ هل من سبيل الى النفوذ الى سبيل هذا التضامن والتفاهم وتنمية بواعثه واسبابه ؟

ذاك هو – في الواقع – صميم المشكلة الدولية الاسلامية في صورتها الملحة المعاصرة .

وذلك ايضا ما يتعين على القيادات الاسلامية الواعية ان تعنى بمعالجته على اساس التقدير الصحيح للحقائق العالمية المعاصرة وعلى ضوء الواقع الحي المجرد عن الخيالات والاوهام .

وليس للآراء الفردية بالطبع ما يمكن من تكوين منهج صحيح للعمل الايجابي الخلاق في هذا الموضوع الهام ، ولكن ذلك لا يجب ان يكون عائقا دون التفكير في الامر – ولو بصورة جزئية جدا – واستخلاص العبر الكثيرة والاستنتاجات الممكنة التي قد تتكشف عنها معالجته مهما كان نطاق المعالجة ضيقا ومحدودا.

وعلى هذا فاننا سنعود الى الموضوع في مقال آت بحول الله .

الست الحرة حاكمة تطوان سنة 948

هذا البحث نموذج من كتاب تاريخ تطوان الذي طبع الجزء الاول منه والذي قدمته مجلة « دعوة الحق » لقرائها في غير هذا المكان والبحث يعطي للقارىء الكريم فكرة عن اتجاه بحوث هذا التاريخ وعن المجهود الذي بذله مؤلفه الاستاذ الكبير محمد داود في تأليفه اعانه الله على مواصلة جهوده حتى يجد الباحثون من المراجع المهمة ما يتممون به حلقات التاريخ العام لمغربنا العظيم .

الست الحرة (1) هي امراة كان لها نفوذ كبير في مدينة تطوان ونواحيها ، ويصح ان يقال انها تولت الحكم فيها . وقد وجدنا في المستندات الافرنجية ذكر هذه السيدة مرارا وورد ذكرها ايضا في كتاب « دوحة الناشر » لابن عسكر ، فقد جاء في ترجمة السيد الجاسوس منه قوله : (2) « ان سرية من المسلمين ذهبوا الى الاغارة على النصارى الذين بسبتة فوجدوا هذا الرجل على ساحل البحر بمقربة مدينة سبتة فظنوا انه من الجواسيس الذين يترددون الى بلاد الكفر فسالوه عن امره فتكلم بكلام لا يفهمونه فقبضوا عليه واتوا به الى تطوان في ولاية الحرة بنت علي بن راشد الخ ... فانت ترى انه ذكر ان تلك الحادثة وقعت في عهد ولاية السيدة المذكورة للحكم في تطوان .

فمن هي هذه السيدة ؟

وما هو اسمها الحقيقي ؟

وما هو المركز الذي كان لها في تطوان ؟

وما هو تاريخ وجودها في هذه المدينة وحكمها فيها؟

وما هي المدة التي قضتها في حكمها ؟

هذه اسئلة خمسة دونك اجوبتها :

اما السؤال الاول فقد اجابنا عنه ابن عسكر في كتابه « دوحة الناشر » كما رايت ، اذ ذكر انها بنت علي ابن راشد الشريف العلمي صاحب مدينة شفشاون . وقد ذكر ذلك ايضا الباحث الفرنسي م ريكار في البحث الذي نشره بمجلة الاندلس (3) عن مولاي ابراهيم قائد شفشاون وشقيق الست الحرة المذكورة ، وزادنا فائدة اخرى فاجابنا عن السؤال الثاني وبين لنا اسمها الحقيقي فذكر نقلا عن المصادر البرتغالية انها كانت تسمى عائشة، بل زادنا عنها وعن والديها معلومات طريفة فذكر ان امها كانت تسمى لالا الزهرة وان اصلها من مدينة فخير دي لافرونطيرا الاسبانية وهي مدينة صغيرة قرب الجزيرة الخضراء بالاندلس . وكانت هذه السيدة في اول امرها اسبانية مسيحية ثم اسلمت وصارت تدعى لالا الزهرة كما ان اخاها الذي كان اسمه مرتين فرنانديس اسلم فحول اسمه فرناندو ، وان سيدي علي بن الرشيد تزوج لالا زهرة المذكورة فولدت منه مولاي ابراهيم الذي صار فيما بعد حاكما بشفشاون وكان قائدا كبيرا وحربيا مغامرا ، كما ولدت

1) لشيوع التسري بين القواد ورجال الدولة ، كانت ازواجهم الحرائر ذوات منزلة خاصة حتى كن يكرمن بان ينص على انهن حرائر ولسن بامهات اولاد .

2) دوحة الناشر ص 34 .

3) مجلة الاندلس — مدريد — سنة 1941 م 6 ج 2 ص 299 .

له ايضا ابنه عائشة التي صارت فيما بعد تدعى الست الحرة او السيدة الحرة ، التي حكمت نوعا ما فى تطوان عند ما كانت زوجا للمنظري وقد تزوجت فيما بعد بسلطان فاس احمد الوطاس الخ .

فاسم السيدة كما ترى هو عائشة ولقبها هو الست الحرة وهي ابنة الشريف الجليل المجاهد سيدي علي بن رشيد باني شفشاون وحاكمها .

وفى المصادر الافرنجية ان الست الحرة ولدت بعد اخيها ابراهيم الذي ولد سنة 1490 ميلادية 896 هـ فعلى ذلك كانت عند وفاة الشيخ المنظري الجد ، ما تزال فى سن الطفولة ، وكانت عند وفاة والدها سنة 917 فيما دون العشرين من عمرها .

ثم ان م ريكار ذكر انها حكمت تطوان نوعا ما حينما كانت زوجا المنظرى ، ومن ذلك ناخذ الجواب عن السؤال الثالث ، ونعرف ان الصفة التي كانت لها فى تطوان : هي انها زوجة حاكمها القائد المنظري ، ونحن نعرف انه كان بتطوان فى اوائل القرن العاشر منظريان اثنان اولهما هو القائد الغرناطي الشهير ابو الحسن المنظري الذي جدد بناء تطوان وتولى الحكم بها فى اواخر القرن التاسع ، والآخر حفيده الذي تولى حكم تطوان من بعده — ولا شك ان الذي تزوج الست الحرة هو الحفيد لان الجد كما قلنا توفى وهو شيخ كبير فى حياة والدها علي الذي كانت وفاته عام 917 .

والذي يظهر ان الست الحرة قد تولت الحكم بتطوان فى طورين :

الاول — حينما كانت زوجا للمنظري فكانت تتولى بعض الاحكام اما فى غيبة زوجها الذي كان حاكما بتطوان فكان اذا غاب عنها فى حروبه المتوالية مع الافرنج، تنوب عنه فى ابداء الراي والاشارة بنظرها فى بعض القضايا لما كان يرى من سداد رايها وحسن تدبيرها ، واما انه بعد ان توفى هو بقيت داره عامرة وحاشيته ملتفة حولها وبقيت زوجه الست الحرة بما كان لها من نفوذ وجاه ومقام ومعرفة ، قابضة على زمام الحكم ولم يجد الناس فى ذلك حرجا لما كانوا يرونه من حزمها وحسن سياستها .

ومن المعروف ان بني راشد الذين كانوا حكام مدينة شفشاون والقبائل الجبلية القريبة منها ، كانت بينهم وبين المنظري واندلسيي تطوان ، علاقة ودية متينة منذ هاجر اولئك الاندلسيون من غرناطة الى شمال المغرب .

ويظهر ان ذلك كان من اهم الاسباب فيما حصل بين آل المنظري واصحابه اهالي تطوان من ناحية وبني راشد من ناحية اخرى من الانسجام والتعاون ، حتى ادى الحال اولا الى المصاهرة بين العائلتين المنظرية والراشدية ، وثانية الى تولي « الست الحرة » الراشدية المنظرية لحكم مدينة تطوان نفسها ورضا اهالي تطوان بتلك الولاية بالرغم من كون ولاية المراة للحكم شيئا لم يكن معهودا بالمغرب فى عصر الحكم الاسلامي ، الا ان مكانة العائلتين وذكاء الست الحرة ومرونتها وحزمها ودهاءها وقوة شخصيتها — وربما كان مع ذلك شيء من الجمال واللطف وحسن المعاملة — كل ذلك سوغ لها ان تحكم البلاد اداريا وتقود الرجال سياسيا واجتماعيا وحربيا . وذلك من اغرب ما حدث فى تاريخ تطوان .

الطور الثاني — لما تزوجت بعد ذلك بالسلطان احمد الوطاسي كما سياتي ، كانت تحكم تطوان ايضا وقد اتسع نفوذها وصار عمليا غير قاصر على مباشرة الاعمال العادية داخل اسوار المدينة ، بل صارت لها علاقات خارجية ايضا . والمصادر الاسبانية والبرتغالية تصف الست الحرة بانها كانت كفؤا لما وصلت اليه من مقام ، لانها تلقت علومها عن كبار الرجال ولانها كانت ذات معرفة ونظر ، ونذكر انها كانت شديدة فى تصرفاتها وخصوصا مع حاكم سبتة ، وانها كانت لها مراكب تتعاطى القرصنة فى البحار ، وانها كانت تتجر فى الاسارى المسيحيين الخ .

وانها تزوجت بالقائد المنظري حاكم تطوان ونواحيها لتوحيد جبهة النضال بين مدينتي شفشاون وتطوان ضد عدوان البرتغاليين .

وفى المجموعة التاريخية التي نشرها م هنري دي كاستري : ان الست الحرة كانت حاكمة بتطوان وكان لها نفوذ بها ؛ وانه وقع بينها وبين حاكم سبتة ضون الفونسو البرتغالي خلاف ادى الى قطع المواصلات بين سبتة وفاس فاهتم بذلك سلطان فاس احمد بن محمد المريني — اي الوطاسي — وكلف سباستيان دي بركاس

بكتابة رسالة الى جان الثالث (4) ملك البرتغال للتوسط بين حاكم سبتة والست الحرة فكتب سيباستيان المذكور رسالة من سبتة بتاريخ 8 سبتمبر سنة 1542 م وفي المجموعة المذكورة ترجمة الرسالة المذكورة الى الفرنسية وفيها ان الست الحرة كانت قد سمحت للمراكب التركية بالدخول الى ميناء تطوان الخ . مما يدل على انها كانت تباشر الاعمال الخارجية حتى مع الدول الاجنبية .

اما تاريخ وجود الست الحرة بتطوان ومدة حكمها فيها فقد ذكر ابن عسكر في دوحة الناشر انها كانت متولية في حدود الخمسين اي وتسعمائة ومن رسالة سيباستيان دي بركاس تفهم انها كانت حاكمة سنة 1542 م وهي توافق عام 948 ـ 949 هـ .

والمعلومات عن الست الحرة في المصادر العربية قليلة جدا وجل ما عرف عنها ماخوذ عن المصادر الافرنجية مما كتبه اشخاص اوربيون ، الا ان في كلامهم بعض اخطاء .

فمن ذلك انهم ذكروا ان الست الحرة هي والدة القاضي محمد بن عسكر مؤلف كتاب « دوحة الناشر » وانها هي التي ختمت حياتها باعتزال الحياة السياسية وانزوائها في مدينة القصر الكبير حيث عاشت مع ولدها ابن عسكر المذكور الى ان توفيت في ثاني عشر ذي القعدة عام 969 هـ وذلك كله لا اصل له ، لان والدة ابن عسكر هي عائشة ابنة احمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عمران الخ . وقد ترجم لها ابنها في كتابه : «دوحة الناشر» (5) ووصفها بالولية الصالحة المتبرك بها، ونسب لها كرامات ، ومن ترجمتها نعرف انها قضت حياتها بمدينة شفشاون الى ان انتقلت الى القصر الكبير حيث توفيت في التاريخ المذكور .

اما الست الحرة فهي عائشة ابنة الشيخ علي بن موسى بن راشد من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش فوالدة ابن عسكر هي غير الست الحرة قطعا اما هذه، ـ اعني الست الحرة ـ فان مصيرها بعد اقصائها عن حكم تطوان ما زال غير معروف لدينا الى الآن .

ومن ذلك قولهم ان الست الحرة تزوجت الشيخ عليا المنظري الكبير وانتقلت معه الى تطوان مركز حكمه الخ . فان ذلك خطا ايضا ، لان التاريخ الذي توفي فيه الشيخ المنظري المذكور كانت هي فيه ما تزال في سن الطفولة ، وهم انفسهم يذكرون ان مولدها كان عام 900 هـ والمنظري لم يعش بعد هذا العام الا بضع سنين شيخا هرما فاقدا لبصره . فالمنظري الذي كان زوجا لها هو احد حفدة الشيخ المنظري المذكور .

زواج سلطان فاس بحاكمة تطوان سنة 948

من اهم الاشياء التي تتعلق بالست الحرة قصة زواجها من السلطان احمد الوطاسي ، وقد ذكرها العلامة سيدي العربي الفاسي في كتابه « مرآة المحاسن » اذ قال فيه ما نصه : (6) « ولما كان خروجه (اي سلطان فاس احمد الوطاسي) الذي وصل فيه الى تطوان وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد ابي الحسن علي بن موسى بن راشد الشريف .. الى ان قال : قال الشيخ قاضي الجماعة ابو محمد عبد الواحد بن احمد الونشريسي رحمه الله فيما قراته بخطه « وتزوج السلطان الحرة في ربيع الاول عام ثمانية واربعين 948 وبنى بها ببلد تطاون » وهذا التاريخ يوافقه التاريخ الميلادي شهر يوليه سنة 1541 م . وقد نقل الناصري مضمن ذلك في الاستقصا (7) .

ولنا هنا وقفة . فقد سبق لنا ان الست الحرة كانت حاكمة تطوان سنة 1542 م 949 هـ كما في رسالة سيباستيان دي بركاس ، وفي دوحة الناشر انها كانت متولية في حدود الخمسين وذلك يصدق بسنة 949 ايضا والثابت انها تزوجت بسلطان فاس احمد الوطاسي وبنى بها في تطوان قبل ذلك التاريخ اي عام 948 كما رايت في « مرآة المحاسن » فهل طلقها السلطان المذكور عقب زواجه بها وغادر هو تطوان وبقيت هي بها ؟ ام انها بقيت حاكمة بالرغم من كونها زوجة السلطان ؟ نحن نرجح هذا الاحتمال الثاني خصوصا بعد ان عرفنا ان مقام الاضمحلال بسبب محاربة السعديين له ومقاسمتهم له دولته ، فكان يبحث عما يوطد به مركزه بمختلف الوسائل ، ولذلك تزوج بالست الحرة التي كان لها مقام

---

4) هو خوان الثالث وقد تولى حكم البرتغال من سنة 1521 الى سنة 1557 .
5) دوحة الناشر ص 19 طبعة فاس سنة 1309 هـ .
6) مرآة المحاسن ص 216 طبع فاس سنة 1324 .
7) ج 2 ص 177 .

ممتاز بتطوان ونواحيها ، كما كانت لعائلتها الشريفة الحاكمة بشفشاون مكانة عظيمة في مختلف القبائل الجبلية بشمال المغرب ، وقد سبق له من قبل انه زوج اخته من القائد مولاي ابراهيم شقيق الست الحرة نفسها ؛ فكان زواج السلطان بالست الحرة سياسيا المقصود منه اكتساب عطف هذه النواحي وتاييدها له ، ولذلك ترك زوجته المذكورة نائبة عنه في حكم هذه الناحية . وقد صرح مؤرخو الافرنج في ذلك العهد بان زواج السلطان الوطاسي بالست الحرة انما كان لتوطيد الامن في هذه الربوع من المغرب .

ومن هذا كله تتضح لنا الصفة التي كانت تحكم بها الست الحرة مدينة تطوان في المدة الاخيرة وهي انها كانت زوجة للسلطان ونائبة عنه في الحكم وكونها كانت زوجة للسلطان المذكور قد علمت انه ثابت لاشك فيه ، وكذلك كونها كانت حاكمة بتطوان بعد ذلك الزواج فاذا لم يثبت انه طلقها عقب زواجه بها لم يبق الا انها كانت في تلك المدة تحكم هذه المدينة ونواحيها بتفويض من زوجها السلطان والله اعلم .

القائد المنظري الرابع والقضاء على حكم الست الحرة سنة 949 ه

علمت مما تقدم ان الست الحرة قد تم زواجها من السلطان احمد الوطاسي بتطوان سنة 948 عقب وفاة زوجها المنظري حاكم هذه المدينة ، وانها كانت حاكمة بها بعد ذلك في اوائل سنة 949 ، ويظهر ان كبار الرجال من عائلة المنظري وغيرهم قد استاءوا من ان تتولى الست الحرة حكم تطوان وهم في الوجود، فقاموا بمؤامرة لقلب حكومة المراة والاستيلاء على حكم هذه المدينة ، وقد شارك في هذه المؤامرة محمد الحسن المنظري الذي كان من سكان تطوان ، وهو حفيد المنظري حاكم تطوان من قبل وصهر الست الحرة ، كما شارك قبها والده محمد الحسن المنظري ايضا وكان قاطنا مع عائلته بفاس (8) ، فجاء هذا المنظري الوالد من فاس الى تطوان واستولى على الحكم فيها بالقوة .

وقد جاء في المصادر البرتغالية انه في يوم عشري شهر اكتوبر سنة 1542 — وهو موافق لشهر رجب عام 949 — غادر السيد محمد الحسن المنظري مدينة فاس هاربا من السلطان احمد الوطاسي وتوجه نحو مدينة تطوان مركز حكم الست الحرة ، فوصلها على راس جماعة من الفرسان ومعه عائلته وبعد يومين من وصوله اليها اعلن نفسه حاكما على هذه المدينة مستقلا عن سلطان فاس ثم اخرج الست الحرة من هذه المدينة واستولى على جميع ممتلكاتها بها .

ويظهر ان هذا الانقلاب لم يتم للمنظري الا بمساعدة المتآمرين معه على حكم الست الحرة من سكان تطوان نفسها (9) .

ولا يبعد ان يكون ذلك كله بتدبير عال من خصوم دولة الوطاسيين .

وبذلك وقع القضاء النهائي على حكم الست الحرة في مدينة تطوان ونواحيها ، وكان القائم بذلك كما رايت هو القائد محمد الحسن المنظري الذي كان هو الرابع من الرجال الذين حكموا تطوان من عائلة المنظري .

ولا ندري اكثر من هذا لا عن شخصية هذا القائد ولا عن الحوادث التي وقعت في عهده ولا عن مدة ولايته ونهايته .

---

8) لا يزال اعقاب المنظري بفاس ، ومنهم من عاد الى تطوان

9) يظهر ان الحرة افرطت في موالاة البرتغاليين حتى اصبحوا يتوسطون لها ، وهذه خطة لم تكن لترضي المجاهدين سيما والمنافسون لا يمكن ان يتركوا هذه الفرصة تمر دون ان يستغلوها لصالح الوطن ولصالحهم ايضا .

هل للحكومة وظائف إقتصادية ؟

للأستاذ محمد الصادق البقالي

ان الحكومة تحت ظل النظام الراسمالي تقف جانبا تاركة ادارة الافراد حرة في معالجة مشاكلهم الخاصة باشباع ما تتوق اليه انفسهم ورغباتهم من حاجات . فيتجه المنظمون (اصحاب المشروعات) الى انتاج تلك الانواع من السلع والخدمات التي يرون جانب الطلب عليها قد مال بها الى ضرورة احداث المزيد منها - وباتخاذ المنظمين لهذا السلوك الطبيعي يحققون لمشروعاتهم الربح (الذي هو غايتهم من اهدافهم الانتاجية) وللمجتمع فائدة الحصول على تلك السلع والخدمات التي كانت في طريقها الى النضوب . . .

وبذلك يتحقق التوازن بين ما يطلبه الافراد وبين مايعرضه المنظمون الذين اتخذوا من جهاز السوق قياسا وميزانا يهتدون به في معرفة رغبات الافراد .

غير ان هذا النظام الذي يترك المنظمين احرارا في معالجة مشاكلهم الاقتصادية لا يعني انه يلغي او يوقف الحكومة عن تقديم خدماتها وانتاج سلع بجانب ما ينتجه الافراد ، اذ هناك من الحاجات ما تقصر المنشآت الخاصة عن اشباعها بل قد لاتكون من اغراضها التي من اجلها وجدت . . فالخدمات التي يحصل عليها الافراد من الدفاع الوطني والامن الداخلي والقضاء خدمات اساسية تتصف بطابع جماعي بمعنى انها لازمة لكل الافراد ولا يمكن ان يقتصر اداؤها لفرد دون الآخر ما دامت رابطة الوطن تجمع بينهم تحت منظمة اجتماعية واحدة . . وهي اذ تؤدى لافراد المجتمع لاتنتظر ثمنا يتناسب مع استفادتهم منها ، ويرجع ذلك الى عدم امكان حصر او قياس ما يصيبه فرد ما من وجود المحاكم او رجال البوليس من منافع . . وهي بطبيعة الحال من مقومات ومقتضيات وجود الحكومة ، بوجودها يكتمل الاطار السياسي للدولة . .

وبجانب هذه الخدمات التي تعد من مقتضيات وجود الحكومة توجد مرافق اخرى تستند فكرة قيام الحكومة بادائها الى كونها خدمات جماعية يصعب مطالبة من ينتفع بها مباشرة بدفع المقابل كالطرق العامة التي تربط بين انحاء البلاد داخليا وبينها وبين البلاد الاخرى . . فهي خدمات غير قابلة للتجزئة بمعنى اننا لايمكننا ان نطالب المستفيد منها بجزاء ثمنا يتناسب ومدى ما يصيبه من فائدة في استعماله الطرق . . وان كانت - قديما - تدفع اتاوات عن استعمال الطرق فانه في عصرنا هذا يصعب اتخاذ هذا الاجراء وذلك راجع الى تقدم العمران وازدحام السكان وقد يظن البعض ان الضرائب التي تدفع عن السيارات ما هي الا ثمن مقابل استخدام الطرق لكن هذا غير صحيح ولو انه في غالب الدول تستخدم حصيلة هذه الضرائب في الانفاق على انشاء الطرق وتعبيدها . لانه لو كان الامر كذلك لكان هناك تعسف في تقدير مقدار هذه الاستفادة نظرا لتباين المسافات التي تقطعها السيارات ؛ اضف الى ذلك ان الدواب والعربات تطرق هذه الطرق دون ان يتحمل معظمها بضريبة ما .

وهذه الحالة تنطبق كذلك على الاذاعة ما دامت لاتذيع الا البرامج العامة دون قيام بدعاية واعلان ففي هذه الحالة تكون الخدمات جماعية اي عامة بينما ان كانت تتخلل هذه البرامج برامج تجارية اعلانية فان هذه الاخيرة تكون قابلة للتجزئة اي انها تفيد طائفة

معينة بصفة مباشرة بحيث يمكن قياس مدى الاستفادة بسهولة لانها خدمات خاصة تقدم لهذه الطائفة . . ولذلك نجد فى دول كثيرة تقوم اذاعات خاصة (شركات) بمثل هذا العمل لانه يعتبر عملا تجاريا غايته الاخيرة الربح . .

وبالاضافة الى الخدمات السالفة الذكر والتى تعتبر جماعية لاتكون الغاية من ادائها تحقيق الربح أو حتى تغطية النفقات فان الحكومة تقوم بخدمات من صميم النشاط الخاص مقابل اثمان زهيدة وذلك تحقيقا للعدالة الاجتماعية ورفعا لمستوى الشعب المادى والمعنوى . . وتتدخل الحكومة لتأدية هذه الخدمات فى الحالات الآتية :

1 ـ عندما يعجز الافراد عن تقدير اهمية بعض الحاجات تقديرا صحيحا مثال ذلك حاجة المواطنين الى التحصين ضد الامراض والحاجة الى التثقف والاطلاع عن طريق المكتبات فلكي تغرى الافراد وتجعلهم يلجأون الى اشباع هذه الحاجات التى غفلوا عنها فانها لاتعتمد على سلطاتها فى الزامهم واكراههم على القيام بها ، بل تعمد الى عرضها عليهم بالمجان او باثمان منخفضة ، فيكون ذلك تشجيعا لهم على الاقبال عليها والانتفاع بها .

2 ـ واذا كانت الحالة الاولى يفترض فيها ان الافراد يعجزون عن تقدير اهمية بعض الحاجات التقدير الصحيح فاننا نجد فى حين آخر ان عدم الاقبال على اتباع حاجات اخرى لايرجع الى عدم الشعور بالاهمية بل الى قلة الموارد التى لديهم ، رغم الشعور الجارف بضرورتها واهميتها . . مثل الحاجة الى التعليم والحاجة الى مياه صالحة للشرب ـ فالعدالة الاجتماعية تقضي فى هذه الحالة بان تقوم الحكومة بتقديم ما يلزم لاشباع هذه الحاجات باثمان زهيدة لاتتناسب مع تكاليف تاديتها . . .

3 ـ وعند ما ترى الحكومة انه بالرغم من كون الخدمات يعتبر الانتفاع بها مباشرة (بحيث تستطيع المنشآت الخاصة ان تؤديها للجمهور) الا انها تلجأ الى اسدائها اذا كانت هناك منفعة عامة مشتركة تسود منها ، كما هو الحال فى التعليم الجامعي . اذ ان مثل هذا التعليم كما يعود على الفرد بما يرفع من مستواه العلمى والاجتماعى ويحقق له مركزا يزيد من مقدرته على الكسب . . فانه فى الوقت نفسه يفيد الوطن الذى يفخر بوجود اخصائيين يرفعون من مستواه العلمى ويؤدون له خدمات صالحة .

وكذلك حال بعض المشروعات العامة التى تقوم بها الحكومة بالرغم من وجود عنصر الاستفادة المباشرة التى يمكن تقييمها الا انه نظرا لوجود مصلحة عامة فان الحكومة لاتتخلى عن القيام بمثل هذه الوظيفة مثال ذلك السكك الحديدية فبجانب الخدمات الخاصة التى تقدم للمسافرين لقاء ثمن تذاكرهم فهناك مصلحة عامة تتمثل فى تيسير طرق المواصلات بين انحاء البلاد المختلفة وبينها وبين الدول الاخرى مع رفع مستوى البلاد المادى . .

ومن هذا نرى ان الحكومة لم توجد عبثا فهي تقوم بوظائف لها من الاهمية مالها بحيث تحقق العدالة الاجتماعية وترفع من مستوى الشعب المادى والمعنوى وتكفل اشباع الحاجات والرغبات التي يعجز عن تقديمها الافراد الممثلون فى الشركات والمؤسسات الخاصة لو تركوا احرارا فى تصرفاتهم .

وسواء اكانت تلك الخدمات اساسية كالدفاع الوطنى والامن الداخلى والقضاء او كانت اجتماعية كالاجراءات الصحية والتعليم والتامين الاجتماعى او كانت اقتصادية كالتى تؤديها مصالح وزارات التجارة والصناعة والمواصلات . . . فان تاديتها بواسطة مصالح حكومية معناه قيام الحكومة بوظيفة اقتصادية باعتبار انها تشبع بعض حاجات المجتمع وتساهم بذلك فى معالجة المشكلة الاقتصادية . .

على ان هذه الخدمات ليست كل ما تقوم به الحكومة فى وظيفتها بل بجانب تنظيم هذه الخدمات العامة التى تعتبر المجال الاول لنشاطها الاقتصادى فهناك وظيفة اقتصادية اخرى وجدت لمعالجة العيوب التى يتسم بها النظام الرأسمالي .

فالرأسمالية بالرغم مما حققته لبعض الدول من تقدم مادى لانظير له فى النظم الاخرى الا ان لها من العيوب ما جعل الاقتصاديين يولونها جانبا كبيرا من الاهتمام رغبة فى تجنب اضرارها .

وترجع عيوب نظام الرأسمالية الى الاسباب الآتية :

الملكية الفردية ـ الحق فى الميراث ـ المنافسة ـ عدم استجابة عوامل التوازن للتغيرات التي تطرا على الظروف الاقتصادية الا بعد مضي مدة من الزمن .

فالملكية الفردية بجانب الحق فى الميراث تؤدى الى وجود تفاوت كبير فى الدخول بتركز اموال طائلة

فى ايدى قلة – فى غالب الاحيان – وهـذه الثـروات تعطى نتيجة استغلالها عائـدا عاليا ممـا يزيـد مـن مضاعفتها ، فلا يرجى بذلك لتلك الكثرة الغالبة ممن قدر لهم الا يتمتعوا (بما تتمتع به الاقلية من ثـروات ودخل) بدخل يرفع من مركزهم ، لان مضاعفة اموالهم لايكون بنفس السـرعة .

واذا نظرنا الى تصـرفات المنظميـن ازاء تلبيـة رغبات الافراد فاننا نجدهم يولون الاهتمام الاكبر الى تلك الحاجات التى يطلبها الاغنياء . لانها تعود عليهم بارباح تغريهم وتقعدهم (فى الغالب) عن انتـاج تلـك الحاجات الضرورية التى يشعـر الفقـراء بضرورتها ، فتحرم بذلك هذه الطبقة الفقيرة نتيجة هذا التصـرف التلقائى من طرف المنظمين .

وعلاجـا لهذين العيبيـن (الحـق فى الميراث – الملكيـة الفردية) تتدخل الحكومة لتقليل التفاوت بين دخول الافراد عن طريـق فرض ضـرائب تتنـاسب ومقدرتهم على الدفع ، وتكون هذه الضرائب بالطبـع تصاعدية (اي انها ترفع من سـعرها كلما زادت قيمـة الدخل – وقد يصل فى بعض الاحيان ارتفاع سعـر الضريبة الى حد مصادرة ما زاد عن قـدر معين مـن الدخل) وذلك باعتبار ان الضريبة لاتعتبر موردا مـن موارد الدولة فحسب بل هى اداة تستعين بها لتحقيق العدالة الاجتماعية . وكذلك حـال الضـرائب التـى تفرض على الثروات التى يرثها اقارب المتوفى بحيث يرتفع سعرها كلما بعدت درجة قرابة المتوفى او كانت قيمة الثروة الموروثة كبيـرة . .

وبجانب فرض الضـرائب لتقليل التفاوت فـان الحكومة تعمل على تحسين حالة الطبقة الفقيرة بمـا تقدمه من خدمات وسلع باثمان منخفضة حتى تضمن مستوى ملائما للمعيشـة لهذه الطبقة الكادحة . .

اما المنافسة كعيب من عيوب الراسمالية فهـى تتمثل فى تلك الاتحادات الاحتكارية (المسماة بالترست والكارتـل والشركـات القابضـة) والتـى تنـافس المشروعات الصغيرة . وتضـغط عليها بشتى الاساليب المعروفة لدى المنظمين ، حتى يقضوا عليها فيخلو لهم الجو للتمتع بالسوق بما يشبه الاحتكار .

ولكـى تحد الحكومة من تمـادى مثـل هـذه المشروعات او التكتلات فى سياستها التحكمية تفرض عليهـا ضرائب مناسبـة على منتجاتهـا او تنشـىء مشروعات عامة تنافسـها فى انتاجها وتحد من سلطانها .

وبالنسبة لمدى سرعة اعادة حالة التوازن بعـد اختلال النشاط الاقتصادى فان الامر ان ترك بيـد الافراد (المنظمين) ليعيدوه الى حالته الطبيعية بعـد اختلاله فان ذلك قد يتحقق ولكن بعد ان تمضي مدة من الزمن تكون الازمات قـد تمكنت من معظم فـروع الانتاج وزعزعت الكيان الاقتصادي . . . لهذا فـان الحكومة – بما لها من سـلطة مطلقـة – تستطيـع ان تعجل باعادة الحالة الى طبيعتها عند الشعور بأول بادرة من بوادر الازمة او هزة من هزات الكساد ، فتسعـى الى علاج هذه الحالة بايقاف الازمة قبـل استفحالها والكساد قبـل تفشيه فى سـائـر الميادين . . وذلك باتخاذ اجراءات معينـة كتخفيض عبء بعض الضرائب والتوسع فى الانفاق او التحول من نشـاط الى آخر كل ذلك وغيره حسب ما تقتضيه ظروف الحال . .

كانت هذه نظرة خاطفة على الوظائف التى تقوم بها الدولة تحت النظام الراسمالي الحديث وهـي بطبيعة الحال تستلزم اموالا طائلـة لاتحصل عليهـا الدولة بتلك الوسائل التي تستخدمها المشروعـات الخاصـة (اي الفردية) وذلك راجع الى كون الدولـة لا تريد ان تحصل من افرادها المنتفعين مباشرة مـن خدماتها على المقابل (الثمن) بل تلجـأ (بما لها مـن سلطة) الى مطالبة رعاياها القادرين على الدفـع مـن اموالهم بالمساهمة فى تلك النفقات التى تتكلفها هـذه المشروعات بغض النظر عما اذا كانوا يستفيدون منها ام لا وتتمثل هذه المساهمة فى تلك الضرائب التـى يقدمها القادرون على الاداء . .

يمكن لنا ان نستخلص فى النهاية ان الخدمـات العامة او الوظائف الاقتصادية للدولة تتميز بخصـائص ثـابتـة :

العموميـة : بحيث لايقتصرعلىتاديتها لفئة معينةدون اخرى لاعتبارات سياسية او حزبية بـل تؤدى لجميـع المواطنيـن .

الاهميـة : وهذه الصفة كفيلة بتبرير قيام الهيئات العامة بتاديتها اذ لو لم يكن هناك اهميـة لما كان لزاما على الحكومة ان تضطلع بمهامها

الاستمرار : مادامت هناك حياة منظمة فى المجتمع فلا يعقل ان تتوقف لانها مرتبطة بوجوده . وباقية مابقي نظـام المجتمع . .

بمناسبة ذكرى تأسيس القرويين

إنبعاث مجد في إقامة مهرجان

للأستاذ احمد زياد

حينمـــا احتفل المغرب باحياء الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين كان يحتفل برمز خالد رمز يشخص بعض مقوماته الاساسية .

فالقرويين كانت في العصور السالفة ملاذ اللغـــة العربية وملاذا للدين الاسلامي ، وكانت تشكل منـــذ نشأتها قلعة حصينة رابط فيها كثير من العلماء الذين ابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حمى العروبـــــة والاسلام . وذلك بالاضافة الى ما اسهمت به في نشر العلم والمعرفة الامر الذي جعل الحضارة الاسلاميـــة تمتد في هذا الجزء الغربي من العالم العربي والاسلامي ومن ثم كان الاحتفاء بذكرى القرويين يعتبر صورة من صور الوفاء لاولئك العلماء الذين سلخوا اعمارهم سنين طوالا في نشر هذا الاشعاع الروحي والفكري مـــن القرويين حتى امتدت انواره الى كافة ارجاء افريقيا التي ما يزال الاسلام الى يومنا هذا منتشرا فيها رغم ما توالى على هذه القارة من محن واهوال ، وكلنا على علم من تلك الحملات المتوالية التي توالت على القرويين بعد الاحتلال في السر حينا وفي العلن حينا آخر ، ولكن القرويـــين صمدت في وجه تلك الحملات طوال نصف قرن من الزمان وظلت تواصل رسالتها وترسل اشعاعهـــا الروحـــي والفكري وكانت مصدر قوة لكفاح المغرب ضد الاحتلال والاستعمار .

ومنذ ان تولى صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس امر هذا الشعب وهو يولي عنايته الكاملـــة للقرويين فكانت احدى الواجهات التي صارع فيها جلالته الاستعمار الذي كان يحاول ان يجردها من كل روح ويتركها اثرا تاريخيا لا يتعدى ان يكون داخلا في منطقة نفوذ (بوزار) . وان نحن استعرضنا مواقف جلالته المشرفة ازاء القرويين ايام العهد البائد فنجدها مواقف تتسم بالايمان والجراة وبالغيرة على مقومـات الشعب المغربي ، الامر الذي جعلها تتدرج في مراحـــل تطورية على قدر ما كانت تسمح به ظروف ذلك العهد ، فكان التنظيم الذي سعى صاحب الجلالة بادخاله عليها في ذلك العهد النواة الاولى لتطورها تطورا لم يكن محققا لجميع الغايات التي ارادها صاحب الجلالة الملك المعظم ، حتى اذا جاء عهد الاستقلال انصرفت همة جلالته مرة اخرى الى العناية بالقرويين واضفاء حلة جديدة عليهـا تتلاءم مع عهد الاستقلال .

والحقيقة ان من يستعرض ضروب الاصلاح التي ادخلت على القرويين بامر من صاحب الجلالة الملـــك المعظم خلال هذه المدة التي عاشها المغرب حرا مستقلا فانه سيلمس اثر هذه الاصلاحات في كافة الميادين ، سيلمسهـــا في رفع مستوى حيـاة الطلبـة والعلمـاء وسيجدها ماثلة في التطور الهائل الذي تبدو مظاهـره جلية واضحة عند المقارنة فيها بين عهدين . ومنذ بزوغ فجر الاستقلال والقرويين تتدرج في مراحل التطـــور والتقدم تمشيا مع تعليمات صاحب الجلالة الملك المعظم وارشاداته ، تلك التعليمات التي كانت ترمي لان تجعل منها جامعة تحتفظ بمركزها التاريخي من جهة وتساير تطور العصر الحديث من جهة ثانية .

لقد مر على بناء القرويين الف ومائة سنة ولقد اراد صاحب الجلالة ان يجعل من هذه الذكرى فرصة اخرى يظهر فيها مرة اخرى عناية جلالته بالقرويين ، وهكذا فقد قبل ان يفتتح بنفسه المهرجان الرائع الذي اقيم بهذه المناسبة في مدينة فاس .

لقد كان يوم المهرجان من ايام فاس الخالدة . كان يوما لتمجيد الثقافة والفكر اللذين تعد القرويين رمزا لهما ، وكان يوم حماس شعبي تسنى فيه لسكان مدينة

فاس ان يعطوا صورة من صور الوفاء والولاء لصاحب الجلالة الملك المعظم كما انه قد تجلى من خلال هـذا المهرجان احتفاء الشعب بموكب جلالة الملك الذي كانت تعلوه يومئذ هيبة العلم ووقار العلماء حيث سار هذا الموكب من باب الجلود ليقطع المسافة الطويلة التي تفصل فيما بين هذا الباب وجامع القرويين محاطا بهـذه العواطف التي تجمعت فيما بين شوارع فاس الضيقة لتظهر في بهجة وروعة ما عليهما من مزيد ؛ الامر الذي جعل السادة العلماء والادباء وغيرهم من الضيـوف المشاركين في هذا المهرجان يعجبون ايما اعجاب بهذه الروعة التي تجلت في هذا الاحتفاء العظيم الذي كانت تتعالى فيه الاصوات بحياة الدول العربية والاسلاميـة والافريقية من افواه الرجال والنساء والشباب والاطفال وفي قاعة المطالعة بخزانة القرويين القى صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا اشاد فيه برسالة الجامعة مبرزا الدور الروحي الذي قامت به طوال قرون عديدة ومبينا في الوقت نفسه ضرورة تطور الجامعة حتى تصبح متمشية في اداء رسالتها مع روح العصر .

فرسالة القرويين لم تتغير ولن تتغير في جوهرها ابدا ؛ انها رسالة تقوم على اساس المحافظة على المقومات الروحية وعلى الاحتفاظ للغة العربيـة والثقافـة الاسلامية بمركزهما الذي يعد جزءا لايتجزأ من عوامل تقدم الكيان المغربي . ولكن ينبغي للقرويين ان تتطور من حيث الاساليب التي تؤدي بها هذه الرسالة حتى يكون لدورها اثره الفعال في التاثير على الجيل الناشيء الذي تتجاذبه مختلف التيارات والاهواء ؛ اذ كلمـا تجددت اساليب تبليغ رسالة القرويين الا واستمرت هذه الرسالة وكان لها اثرها الفعال في الجيل الجديد. واذا كان صاحب الجلالة الملك المعظم قد أمر بتيسير جميع الوسائل المادية التي يتطلبها اداء هذه الرسالة

واعطى توجيهاته التي ترسم الخطوط الاساسية للاسلوب الجديد الذي ينبغي ان تصاغ فيه هذه الرسالة فان من واجب العلماء ان يجعلوا من هذه الخطوط الاساسية برامج موسعة ويسهرون على تطبيقها حتى تستطيـع رسالة القرويين ان تواصل مهمتها التي قامت بها عبر القرون وفي مختلف انحاء الدنيا .

هذه هي نقطة البداية ونقطة النهاية فيما يخص رسالة القرويين وهي نقطة واضحة كل الوضوح سواء في البداية او في النهاية . انها تنحصر في تمطيط جوهر هذه الرسالة حتى تصبح لهذه الرسالة رايها في مظاهر التطور الحضاري الذي اثر في كل شيء بما في ذلك الثقافة بمعناها الواسع العام .

وفي غمرة ذلك الحماس الذي عاشته مدينة فاس في ذلك اليوم الخالد اجتمع في احدى قاعات الحـي الجامعي الجديد كبار العلماء والباحثين ليبرزوا مـن جديد الدور الذي قامت به جامعة القرويين في الماضي والدور الذي ينبغي ان تقوم به في الحاضر .

ولقد كان مهرجان القرويين فرصة طيبة لالقاء بحوث قيمة حول القرويين كما كان فرصة لاظهار بعض الجوانب من الحضارة العربية والاسلامية التي تجمـع فيما بين اقطار العروبة والاسلام في مشـرق الارض ومغربها كما كان فرصة تسنى فيها لبعض كبار الادباء والباحثين القاء محاضرات تناولت مواضيع مختلفة من شؤون الفكر والثقافة. واننا لنرجو ان تبادر الدوائر المختصة بنشر كافة البحوث والمقالات التي اعدت لهذا المهرجان العظيم الذي بعث مجد القرويين وبعث معه الدور الفكري والانساني الذي ادته الثقافة العربية والاسلامية عبر قرون خلت .

عن سفيان بن عبد الله الثقفي قـال قلت يارسـول الله قـل لي في الاسـلام قـولا لا اسأل عنـه احـدا بعـدك وفي حـديث ابـي اسامـة غيـرك قـال : قـل آمنت ثـم استقـم .

الصلات الثقافية بين المغرب والاسكندرية

للدكتور جمال الدين الشيال

باسم جامعة الاسكندرية الفتية احيي جامعة القرويين العريقة في هذه المناسبة السعيدة ، مناسبة الاحتفال بمرور احد عشر قرنا على تاسيسها ، وجامعة الاسكندرية احق الجامعات ان تكون لها الصدارة عند تقديم هذه التحية : فلقد كان لموقع مدينة الاسكندرية الجغرافي اثر كبير في توثيق العلاقات بينها وبين بلاد المغرب والاندلس في العصور الوسطى الاسلامية ، فالاسكندرية ثغر من الثغور الاسلامية الهامة ، وكانت رباطا كبيرا ترابط فيها - منذ دخلها الاسلام - حامية مسلحة كبيرة ؛ فقد خصص عمرو بن العاص ربع جيشه لرباط الاسكندرية يقيمون بها ستة اشهر، ثم يستبدلون بربع آخر ، وكان عمر بن الخطاب يرسل كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط في الاسكندرية ، وذلك لان العرب لم يكونوا يامنون عليها من غارات العدو بعد ان نقض الروم الصلح مرتين ، وحاولوا الهجوم عليها واستردادها .

وكتب عثمان الى عبد الله بن سعد بن ابي السرح بعد نقض الروم :

« قد علمت كيف كان هم امير المومنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين ، فالزم الاسكندرية رابطتها ، ثم اجر ارزاقهم ، واعقب منهم في كل ستة اشهر » .

ومن الاقوال المأثورة ان الاسكندرية « كنانة الله يحمل فيها خير سهامه » .

وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي : « لما نعي الي ابن عمي بن يزيد - وكان توفي بالاسكندرية - لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد متفرقين ، كلهم يقولون : اليس مات في الاسكندرية ؟ فاقول بلى ، فيقولون : هو حي عند الله يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك » .

فالمسلمون الاول كانوا يعتقدون ان الاقامة في الرباطات والحياة في الثغور نوع من الجهاد ، ومن يموت اثناء مقامه بها فهو شهيد ، ولهذا جذبت الاسكندرية اليها في العصور الاسلامية عددا كبيرا من المسلمين ، ومن العلماء بوجه خاص ، ومن علماء المغرب والاندلس بوجه اخص .

كما ان مسلمي المغرب والاندلس كانت تتطلع نفوسهم وتهفو ارواحهم دائما الى المشرق : منبت الدعوة الاسلامية ، ومقر البلدان المقدسة مكة والمدينة وبيت المقدس ، وموطن العلم الاسلامي ، ودار العلماء والمعاهد العلمية المختلفة ؛ فهم كانوا في شوق دائم الى الرحلة الى هذا المشرق ، وهدفهم الاول اداء الفريضة والحج الى بيت الله ، وزيارة قبر الرسول عليه السلام ، والالمام بالمساجد ومعاهد العلم ، ومقابلة العلماء والاخذ عنهم .

وكان المحيط الاول لرحلتهم المشرقية هو مدينة الاسكندرية - الرباط والثغر الاسلامي الكبير - يصلون اليها بعد رحلة طويلة شاقة مضنية ؛ عبر الصحراء في المعتاد ، وعلى ظهر السفن في القليل النادر ؛ وهم كانوا اذا وصلوها اقاموا فيها فاطالوا الاقامة طلبا للراحة من عناء السفر ، ولزيارة معالمها التاريخية التي كانت تبهر انظارهم وتتذاك ، مثل المنارة - احدى عجائب الدنيا - ، وعامود السواري ، والمسلات ، والقصور

والكنائس القديمة ، والاسوار الشاهقة وما يتخللها من ابراج وحصون وابواب ، واخيرا المساجد التي بنيت في العصر الاسلامي لتكون معابد يذكر فيها اسم الله كثيرا ومدارس تعقد في جنباتها حلقات العلم والتعليم .

وكان هؤلاء المغاربة والاندلسيون يستانفون رحلتهم بعد ذلك فيؤدون الفريضة ، وقد تشوق البعض منهم الرحلة ومباهجها فينتقلون في مدن الشرق وامصاره الكبرى مثل بغداد ودمشق وبيت المقدس وغيرها ، لزيارتها والافادة من علمائها ، ثم يعودون بعد هذه الرحلة الطويلة الى الاسكندرية ليستانفوا منها طريق العودة الى بلادهم ، ولكن كثيرين منهم — وخاصة العلماء وطلاب العلم — كانوا يؤثرون البقاء في الاسكندرية واتخاذها وطنا ودار اقامة ، لينالوا شرف المقام في هذا الثغر والرباط العظيم وليستزيدوا من علم يطلبونه ، ولينشروا علما حصلوه واصبحوا فيه ائمة وفقهاء وقادة .

وقد زادت صلة الاسكندرية بالمغرب توثقا منذ اتى الفاطميون بجيوشهم من المغرب وفتحوا مصر واتخذوها مقر الخلافة ، فقد اصبح المغرب كله ومصر والشام دولة واحدة ، ونتيجة لهذا كثرت رحلة المغاربة والاندلسيين الى مصر ، والى الاسكندرية بوجه اخص .

ورغم ان المذهب الرسمي للدولة في العصر الفاطمي كان هو المذهب الشيعي ، ورغم ان الدولة بذلت جهودا كبيرة لنشر هذا المذهب بين المصريين جميعا ، فقد ظلت مدينة الاسكندرية مدينة سنية ، وكان المذهب المنتشر بين الاسكندريين والمعمول به بينهم هو مذهب الامام مالك منذ انتشر هذا المذهب في المغرب وبين المغاربة ، وبتاثير الجوار والرحالة انتقل الى الاسكندرية وساد فيها ، ولهذا نرى ان عددا كبيرا من علماء الاسكندرية في العصر الاسلامي — المصريين منهم والمغاربة — كانوا مالكي المذهب .

من كبار هؤلاء العلماء المالكية الذين رحلوا من والاندلس الى الاسكندرية واستقروا بها في القرن الخامس الهجري — اي في العصر الفاطمي — واتخذوها وطنا ودار مقام الفقيه العالم الصوفي الكبير ابو بكر الطرطوشي .

ولد هذا العالم الجليل في مدينة طرطوشة في سنة 450 هـ واخذ العلم اولا على علماء المغرب والاندلس ، وخاصة ابا الوليد الباجي ، ثم شاقته الرحلة الى المشرق فرحل الى مكة وادى فريضة الحج وجاور بها وقتا ثم زار بغداد وقت ان كانت تبنى بها المدرسة النظامية فتتلمذ على اساتذتها ، وزار مدنا اخرى كثيرة في العراق والشام ، وانتهى به المطاف الى مدينة الاسكندرية حوالي سنة 490 هـ فطاب له المقام بها وتزوج من سيدة موسرة من اهلها اهدته دارا فاتخذ من الطابق العلوي سكنا ومن الطابق السفلي مدرسة كان يدرس بها العلوم الاسلامية المختلفة وخاصة علم الحديث والفقه المالكي ، وتتلمذ عليه الكثيرون من اهلها ومن الوافدين عليها مدة ثلاثين عاما نشر في خلالها علما كثيرا واصبحت الاسكندرية بفضله محجا يحج اليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، الى ان توفي الى رحمة الله سنة 520 هـ ودفن بمدينة الاسكندرية ولا زال قبره بها معلما من اهم معالمها .

وعاشر الطرطوشي في مدينة الاسكندرية عالم كبير آخر اتى الى المدينة يسعى من اقصى الشرق ، من مدينة اصبهان ، ذلكم هو الحافظ ابو الطاهر احمد ابن محمد بن احمد السلفي ، واحد من كبار علماء الحديث الذين عرفهم تاريخ الفكر الاسلامي .

واشتغل السلفي منذ نزوله بالاسكندرية بالتدريس ، وتدريس الحديث بوجه خاص ، وكان يعقد حلقاته اول الامر في مساجد المدينة ، ولم يلبث ان اقبل الطلاب عليه من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وفي حدود سنة 540 هـ بنى له العادل بن السلار — الوزير الفاطمي — مدرسة خاصة به عرفت اول الامر بالمدرسة العادلية — نسبة الى بانيها — ثم عرفت فيما بعد باسم المدرسة السلفية — نسبة الى استاذها وشيخها — .

وفي « معجم السفر » للسلفي تراجم لكثيرين ممن تتلمذوا عليه من اهل المغرب والاندلس ، وكان بعض هؤلاء وسيلة طيبة لنشر علم السلفي في بلادهم بعد عودتهم ، من هؤلاء : ابو محمد عبد الله بن سليمان ابن منصور التاهرتي ، قال السلفي في ترجمته : « كان من الفضلاء في الفقه والادب ، وله شعر ، وكتب عني من الحديث كثيرا بعد رجوعه من الحجاز ، ثم رجع الى المغرب وروى عني هناك » .

ومنهم ابو الوليد يوسف بن المفضل القبذاقي ، ولم يقنع بالاخذ عن السلفي بل سأله ان يكتب باجازة لسلطان المغرب فى ذلك الوقت تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فكتبها له .

واخذ عنه من علماء بلنسية بالاندلس ابو الحسن طارق بن موسى بن يعيش البلنسي ، قال السلفي فى ترجمته : « كان من اهل الصلاح ، وقد اقام بالاسكندرية مدة مديدة ، وسمع على جماعة من شيوخها بقراءتي وبقراءة غيري ، وكتب عنى كثيرا ثم رجع الى الاندلس وروى به ما سمعه علي وعلى غيري » .

وفى رحبات جامع القرويين ، وفى ربى مدينة فاس الخضر وفى كهوف جبالها كان يتنقل ويعيش فى اواخر القرن السادس الهجري الصوفي الكبير الشيخ ابو يعزي يلنور ، وكان الناس يفدون اليه من جميع انحاء المغرب والاندلس ، ياخذون عنه ، ويستمعون اليه ، ويلتمسون عنده البركات ، وفى مقدمة من وفد عليه القطب الغوث ابو مدين التلمساني فعاش معه سنين يقتبس من طريقته بالاقبال كل الاقبال على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة ، حتى اذا قبس قبسة من روح استاذه ابى يعزي رحل الى المشرق ليقبس قبسات اخريات من شيوخ المتصوفة هناك ؛ ومن سيدي عبد القادر الجيلاني قطب العراق بوجه خاص ، وعاد ابو مدين الى المغرب فاقام فى بجاية ، وفاقت شهرته شهرة استاذه ابى يعزى ، ولقبه القوم هناك بالغوث ، وتتلمذ عليه العشرات من كبار العلماء ، وفى مقدمتهم الفيلسوف المتصوف الكبير محي الدين بن عربي والشيخ ابو عبد الله محمد بن حرازم ، احد شيوخ ابى الحسن الشاذلي .

وقد ولد ابو الحسن الشاذلي فى اواخر القرن السادس الهجري فى سنة 593 ﻫ فى قرية غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الاقصى ، وينتمي الى قبيلة عموان احدى قبائل المغرب ، واليها ينتمي كذلك ولي الله سيدي عبد الرحيم القناري ، قطب مدينة قنا بصعيد مصر .

وقد بدا ابو الحسن الشاذلي فتلقى الطريقة على يد شيخه واستاذه ابى عبد الله محمد بن حرازم احد تلامذة ابى مدين ، ولبس على يده خرقة التصوف .

وانتقل ابو الحسين الى تونس فدرس بها مدة ثم دخل مدينة الاسكندرية وطوف فى بلدان الشرق العربي . وكان اثناء تقلبه فى هذه البلدان المشرقية لا يسعى لطلب العلم وحده ، ولكنه كان يبحث عن ضالته المنشودة ، يبحث عن القطب الغوث ، فلما اطمانت نفسه فى العراق الى شيخه ابى الفتح الواسطي ، شيخ الطريقة الرفاعية ــ فاتحه بدخيلة نفسه وحدثه عن امنيته ، ولكن الشيخ ابا الفتح اخبره ان القطب فى وطنه الاصلي ، فى المغرب ، فان كان يبحث عنه حقيقة فليعد الى المغرب ، واستمع ابوالحسن الى نصيحة شيخه وعاد الى المغرب ، وظل يوالي الرحلة والبحث الى ان التقى بالقطب ، الى ان التقى بشيخه واستاذه الاكبر الذي اخذ عنه الطريق ولبس على يديه خرقة التصوف ، والذي ظل ينتسب اليه ، وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش . واقبل الشاذلي ــ على العبادة : فطهر نفسه من حب الدنيا ومن الاقبال على الخلق ، واقبل على حب الله وفنى فى حبه ، فلما صفت نفسه واصبح اهلا للولاية ووراثة القطبانية امره استاذه ابن مشيش ان يرحل عن فاس الى تونس ثم الى الشرق ، وتنبأ له بما سيحدث له فى مستقبل ايامه ، فقال له : ارحل الى افريقية واسكن بها بلدا تسمى شاذلة ، فان الله يسميك الشاذلي ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتي عليك من قبل السلطنة ، وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق ، وترث القطبانية .

واقام الشيخ ابو الحسن فى تونس وقتا ما ثم تركها الى المشرق واستقر فى مدينة الاسكندرية ، وفيها بدا يلقى دروسه ويعقد الحلقات يعظ الناس ويدعو الى طريقته ومبادئه ، وجذبت اليه هذه الدروس والمواعظ الجلة من علماء المدينة وفقهائها فلازموها ملازمة تامة ، وسيكون هؤلاء التلاميذ فيما بعد . قادة الحياة الفكرية والروحية فى المدينة ، نذكر منهم تلميذه الاثير وخليفته فى القطبانية ابا العباس المرسي ، والشيخ مكين الدين الاسمر ، والشيخ ابا القاسم القباري ، والشيخ ابن المنير ، والشيخ امين الدين جبريل وكثيرين وغيرهم .

وحدث الشيخ ياقوت العرش رواية عن شيخه ابى العباس المرسى ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي كان يحج فى كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الى انقضاء الحج ، ثم يزور القبر الشريف ويجعل طريقه على صعيد مصر ويعود على الدرب الكبير الى الاسكندرية .

ففي مدينة فاس جمع الشيخ ابو الحسن العلم من اطرافه ، وورث روحانية اشاعها في جنبات المغرب شيوخ اجلاء : ابو مدين ، وابو يعزي يلنور ، وابو عبد الله بن حرازم وعبد السلام بن مشيش .

وفي الاسكندرية نشر الشيخ ابو الحسن هذا العلم كله واشاع هذه الروحانية وتخرج على يديه طبقات من العلماء والزاهدين وتكونت في المدينة مدرسة دينية صوفية تمتاز بطابع خاص ، بدات بتلميذه ابي العباس المرسي ، ثم خلف من بعد ابي العباس تلاميذ كثر ، نذكر من بينهم ياقوت العرشي والاباصيري – صاحب البردة – ، وابن عطاء الله السكندري .

ولابن عطاء الله فضل كبير على الطريقة الشاذلية، فهو الذي ترجم لاستاذه ابي العباسي المرسي ولاستاذ استاذه مؤسس الطريقة ابي الحسن الشاذلي وهو الذي سجل عنهما معظم مبادئهما واقوالهما في كتابه المشهور « لطائف المنن في مناقب ابي العباس المرسي وشيخه ابي الحسن » .

واشهر كتبه جميعا كتاب « الحكم » ، وبلغ ابن عطاء الله باسلوبه في الحكم الذروة القصوى من الابداع والتركيز والتحليل وشرح آداب الطريقة ؛ فان له فيها منهجا خاصا ، لهذا فهو لا يعني بالمعنى وحده ولا بالاسلوب وحده بل هو يعتقد ان للبيان سحرا خاصا ، لهذا كان يتخير الالفاظ ذات الجرس الخاص والنغم الموسيقي المؤثر ، ومن هنا كان لاسلوبه سحر يؤثر في قارئي الحكم وسامعيه ، ولهذا ظل كتاب الحكم يقرأ قرونا طويلة في الجامعتين الاسلاميتين العريقتين : الجامعة الازهرية وجامعة القرويين وقد انتشر كتابان من كتب تلميذين من تلاميذ ابي العباس المرسي في المغرب ما لم ينتشر اي كتاب ديني آخر ، وشرحهما الكثيرون من الشراح المغاربة من شيوخ القرويين وتلاميذها ، ذلكما هما كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري وقصيدة البردة للاباصيري السكندري

ايها الســادة

هذه لمحة خاطفة اردت بها ان اضرب المثل ، ولا يتسع المقام للافاضة ، فالحديث طويل والعلاقات الثقافية بين المغرب والاسكندرية تحتاج الى سفر متعدد المجلدات ، وعند ما جثم العدو الغاشم على هذه البلاد ابان عهد الحماية انقطعت هذه العلاقات او كادت ، ثم توجت جهود الملك المجاهد محمد الخامس وشعبه الكريم بالنجاح ، واشرقت على البلاد شمس الاستقلال والعزة ، وعادت اواصر الاخوة اقوى مما كانت ، وافتتحت الجامعة المغربية الحديثة ، ووجهت النداء الى المشرق تطلب اساتذة يتعاونون مع اخوانهم المغاربة على النهوض بهذه الجامعة الفتية فكانت جامعة الاسكندرية اول جامعة لبت النداء ، وكان اول استاذ انتدبت من المشرق للعمل في جامعة الرباط هو الزميل الدكتور مختار العبادي مدرس التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية ، ثم اكرمتني دولتي ؛ فاختارتني – وكنت اشغل من قبل كرسي التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية – لاكون مستشارا ثقافيا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة ، ومهمة المستشار الثقافي الكبرى هي العمل على توثيق العلاقات الثقافية بين البلدين ، فالله اسأل ان يوفقني لتحقيق هذا الهدف السامي حتى تعود العلاقات الثقافية العربية الاسلامية بين المغرب والجمهورية العربية المتحدة مزدهرة قوية كما كانت بل واكثر ازدهارا واعز قوة مما كانت والله ولي التوفيق .

خشبة النجاة

لسعادة سليم حيدر

يجب ان يفهم الدين ان العلم ليس كفرا
ويجب ان يفهم العلم ان الدين ليس خرافة

في عالم السياسة معسكران جباران يتقابلان . ومعسكر ثالث ـ يتطاول ظله يوما بعد يوم ـ يحاول ان يجد لنفسه بينهما مدى حيويا ليثبت وجوده . هذه المعسكرات الثلاث تشكل البشرية بوجه عام : البشرية التي تقتتل طمعا بالسيطرة على المادة .

وفي عالم القيم ، جماعات هنا وهناك ، في المعسكرات الثلاثة . جماعات قليلة العدد ، قوية التاثير ، تؤلف ، من شتات البشرية الجانحة ، معسكر الانسانية .

واذا كان الصراع شديدا ، في عالم السياسة ، بين المعسكرين الجبارين ، حتى انه جاوز حدود الارض الى متاهات الفضاء . . .

واذا كان اهل المادة يقتتلون على المادة ، ويوشكون بذلك ان يسحقوا الارض ومن عليها . . .

فان الصراع الحقيقي ، الصراع العميق ، الصراع الكياني هو في عالم القيم ، بين اهل الروح واهل المادة ، بين معسكر الانسانية ومعسكر البشرية .

الصراع الاول ، الاقتتال على المادة ، يضع العالم اليوم في مهب عاصفة الفناء .

والصراع الثاني ، مجابهة الروح للمادة ، هو خشبة النجاة في مضرب الانواء الثائرة . . .

ويحق لنا ، اكثر من اي زمان مضى ، ان نقول مع شكسبير ، بشيء من التوسع ، ان القضية الكبرى ، القضية الاساسية هي قضية الكينونة : ان يكون الانسان او لا يكون !

فاطمة القيروانية ، تلك التي وهبت للروح بسماحة نفس وصفاء ايمان ، نصيبا مهما من ارثها ؛ فبنت ـ منذ الف عام ومائة عام ـ في عدوة القيروانيين ، التصميم الاول لجامع القرويين . . . تلك كانت اول من زكى ماله الزكاة المثلى .

من لفظة القيروانيين ـ تخفيفا وتليينا ـ نشأت لفظة القرويين ، جبارة منذ نشأتها ، متمردة على صيغ الاعراب ، متشبثة بالياء والنون حالا واحدة ، ايذانا بانها ستكون هي المحافظة على القيم الحقيقية ، لا تأخذها ، على بريق العصور ، بروق التحول الخلب !

ولقد خلبت بروق في سماء القرويين وقصفت رعود . من الادارسة ، الى الزناتيين ، الى المرابطين ، الى الموحدين ، الى المرينيين ، الى الوطاسيين ، الى السعديين ، الى العلويين ، فضلا عن مؤامرات المطامع الاوروبية . . . عهود لم تكن كلها صفاء . ولكن روح القرويين ـ مغمدة حينا ، مسلولة احيانا ـ بقيت صافية خالصة ، يتالق فيها العطاء ، خلال تهجم الايام ، كما يتالق السيف الصقيل في دبيب الفرند !

نحن اليوم ، في هذه الذكرى المجيدة ، امام تاريخ جهاد حافل : جهاد ديني ، جهاد فكري ، جهاد ثقافي ، جهاد اجتماعي ، جهاد سياسي . . . وفوق كل شيء ، وقبل كل شيء ، جهاد روحي ! واذا كنت افرق بين الدين والروح ، فلان الروح ، بالمعنى الانساني ، طليقة من قيود الدين ، بالمعنى الاجتماعي . وشعلة الروح هي الشعلة التي ما خبا نورها يوما في القرويين ، في ميادين جهادها المختلفة . . .

سمعتم وستسمعون الكثير في هذا المهرجان الفكري الرائع عن تاريخ القرويين . وانتم تعلمون ان هينا في القرويين ، خزانة التراث المغربي العربي الاسلامي . وأن من هنا ، ابدا من هنا ، كانت الانطلاقات الفعالة في هذه الرقعة الخيرة من تراب العرب . ولكني لن اتحدث عن كل ذلك ، لانني ، منذ البدء ، وضعت الامر على الصعيد الاوسع ، على صعيد الانسانية .

واذا كان المغرب كدولة لا يزال بحاجة الى روح القرويين ، تذكي في صدور الشباب شعلة الحماس للحياة الحرة الواعية ، فان العالم قد اصبح بحاجة ماسة الى روح جديدة لا تستطيع بثها واذكاءها والحفاظ عليها الا القرويين ومثيلات القرويين .

في هذا الصراع الشامل بين الروح والمادة ، الذى يهدد العالم بالدمار ، موكول الى القرويين والى مثيلاتها حيث كانت ، ان تنتصر للروح انتصارا غلابا .

والنصر الحقيقي في الحرب ليس العمل الماحق ولا الذي يفضي الى تسليط سيد على مسود . كل حرب تنتهي الى مثل هذه النتيجة تزرع ، في حياض السلم ، بذور حرب جديدة .

النصر الحقيقي توصل الى تفاهم دائم ، يقوم على طبيعة الاشياء ، لا على حكم الغرائز البشرية .

النصر الحقيقي الذي ننشده ، في الصراع بين الروح والمادة ، تفاهم كلي ، تفاهم بمعنى الكلمة اللغوي : ان يفهم كل منهما الآخر ، فيتعايشا متعاونين ، تعاونا تكون المادة فيه وسيلة لانتعاش الروح ، وتكون الروح فيه حافزا لازدهار المادة .

النصر الحقيقي هو ان ترفع البشرية الى شرفة الانسانية ، وعند ذلك تتسع الارض للعالمين جميعا ، ولا تبقى حاجة الى غزو السماء !

ولتتمكن القرويين ، ومثيلات القرويين في العالم ، من اداء هذه الرسالة الفضلى ، لا بد من اعادة النظر في بعض القيم ، في مفهوم بعض القيم :

يجب ان يفهم الدين ان العلم ليس كفرا

ويجب ان يفهم العلم ان الدين ليس خرافة

وهذا لا يتم الا اذا « تعلم » الدين و « تدين » العلم .

ولست اقصد من ذلك ما قصده الفلاسفة العرب ، وعلى اثرهم فلاسفة الفرنجة وفلاسفة الكنيسة بشكل خاص ، من التوفيق بين الدين والعلم على الصعيد العقائدي الفلسفي الماورائي . . . لست اقصد حل معضلة المعضلات .

وانما اقصد امرا بسيطا : ان نفهم الحياة ، وان نؤمن بالحياة .

ومن فهم الحياة « آمن » بالعلم

ومن آمن بالحياة « علم » ان الانسان اخو الانسان ، وان الحياة تكون انسانية بقدر مايكون فيها من الايثار وعمل الخير .

موكول الى القرويين والى مثيلاتها في جميع انحاء العالم — الى اي دين انتمت — ان تذكي في المرء روح الانسانية ، بافهامه الحياة ، اي العلم الحديث ، ومعنى الحياة ، اي فلسفة وجود الانسان اخا للانسان .

لقد ادت القرويين ، في مراحل حياتها الطويلة المشرفة ، رسالتها الوطنية بشكل رائع . واليوم يرجى لها ان تساهم في اداء رسالة انسانية شاملة .

فاطمة القيروانية كانت اول من زكى ماله الزكاة المثلى . . . والزكاة لغة ودينا انماء للمال وتطهير . ولقد نما مال فاطمة خلال العصور وتطهر ، فأفاء على المغرب علما وحكمة وايمانا .

واليوم يطلب الى القرويين ، في هذه العاصفة الهوجاء التي تجتاح العالم ، ان تكون احدى خشبات النجاة .

والامل بالله ، والامل بالقرويين ، والامل بحكومة صاحب الجلالة الا تنطفىء جذوة الروح التي الهبت ، منذ الف عام ومائة عام ، صدر فاطمة القيروانية !

العمر كله يا جامعة القرويين ، والى الامام !

تاريخ التعليم الاسلامي بالمغرب

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان جامعة القرويين قد اسستها فاطمة ام البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري عام 245 هـ .

فى حين تأسس جامع الزيتونة عام 141 هـ (758م) كما ذكره الشيخ بيرم فى صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار (ج 1 ص 122) وبنى الازهر عام 359 او 360 على يد جوهر الصقلي .

وكان فى قرطبة جامعة واربع كلية زيادة على المدارس الاعدادية والابتدائية العديدة .

واول جامعة تأسست فى اوربا الغربية هي جامعة سالرن عام 1050 جنوبي ايطاليا ثم اصبحت معروفة بمدرسة نابولي ثم جامعة بولونيا للحقوق ثم جامعة باريس التي اعترف بها لويس السابع عام 1180 وجامعة بادوا عام 1222واكسفورد عام 1249 وكمبردج عام 1284 وسالامانكا فى اسبانيا عام 1243 وجامعة موتيلبي للطب .

وقد اغلق قياصرة الرومان جامعة اثينا عام 529 بعد الميلاد على اثر انتشار الدين المسيحي فى عهد جوستينيان لانها كانت مركزا للمدنية اليونانية الوثنية ولعل دراسة غير منظمة قد بدات فى القرويين منذ تأسيسه وكان جامع الاندلس الذي بنته مريم اخت ام البنين فى نفس الوقت ينافس القرويين حوالي القرن الرابع الهجري وصار بعد ذلك اكبر فروعه وذكر دلفان فى كتابه حول فاس وجامعتها والتعليم العالي (مطبوع عام 1889) ان مدينة فاس هي دار العلم وان القرويين هي «اول مدرسة فى الدنيا» (ص 12) كما اكد باديا لا بليش المعروف بعلى باي العباسي (الذي مكث فى المغرب اربع سنوات (1803—1807) وكتب عنه رحلة فى ثلاثة مجلدات طبعت فى باريس عام 1884) ان مدينة فاس هي فى افريقيا اشبه باثينا (عاصمة الفكر) فى اوربا ؛ ويذكرون ان البلجيكي اكلينار اقام بفاس عام 1540 ايام ابى العباس الاعرج السعدي (948 هـ) وكتب رسائل باللاتيني يصف فيها القرويين ودروسه بها وعوائد الطلبة والمدرسين واسلوب التدريس وانواع العلوم المدروسة وكانت العلوم التي تدرس بالقرويين هي التفسير والحديث والاصول والفقه والنحو والبيان والمعاني والبديع والمنطق والعروض والحساب والتنجيم والكلام والتصوف واللغة والتصريف والتوحيد والتاريخ والجغرافية والطب والقضاء والاحكام والادب .

اما الاجرة على التدريس فالغالب انها كانت معدومة او تكاد . فقد كان يشتغل بالعلم ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به واذا صار عليه اجرة تدانى اليه الاخساء وارباب الكسل فيكون ذلك سببا لمهانته وضعفه (كشف الظنون ج 1 ص 15) .

على انه يحكى ان محمد بن علي بن اسماعيل المعروف بمبرمان كان قيما بالنحو لا يقرىء سيبويه الا بمائة دينار (بغية الوعاة ص74) كما كان شمس الدين السيوطي يقرىء كل بيت من الفية ابن مالك بدرهم (البغية ص 37) .

وقد كان اساتذة الجامعة يتقاضون علاوات من لحم وحبوب وزيوت وسمن وصابون اي كل ما يحتاجون اليه طوال السنة بل كانوا يتمتعون بحق السكنى مجانا كما ورد فى بحث لاحد علماء الجزائر الذين درسوا بفاس فى القرن الماضي وهو محمد الحرشاوي الذى ينقل عنه دلفان وكان الاساتذة ملزمين بالسكنى فى فاس .

والتعليم مجاني بالقرويين وقد سبق لنظام الملك ان اعلن في القرن الرابع ان التعليم بمدارسه حق للجميع بل عين مرتبا للطلاب المعوزين (طبقات ابن السبكي ج 3. ص 137) وفي نظامية بغداد كان 6000 طالب يتعلمون بالمجان (الاسلام والنصرانية محمد عبده ص 98) وقد انشأ يحيى بن خالد الكتاتيب للايتام بالمجان (الجهشياري الوزراء والكتاب ص 212) واسست كذلك محاضر مجانية في سوريا ايام نور الدين ابن واصل (مفرج الكروب مخطوط) وفي بغداد ايام شمس الملك بن نظام الملك (تاريخ آل سلجوق ص 136) وصلاح الدين (ابن جبير ص 52 و 272) .

ولم يكن يجري اي امتحان للطلبة بل كان الشيوخ يعطون الاجازة لتلاميذهم المبرزين والى جانب هذه الاجازة الخاصة كان ينتظم حفل الى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن يحضره الاساتذة والطلبة بالقرويين فيلقي كل استاذ على الطالب المنتهي اسئلة في مختلف العلوم فاذا وفق في اجوبته عينه القاضي في الطبقة الرابعة للعلماء .

وتعطل الكلية يومي الخميس والجمعة وقد ذكر دلفان عن الحرشاوي وابن ثابت وهما عالمان جزائريان تخرجا من القرويين ان يوم الثلاثاء كان يوم عطلة في هذه الجامعة وذكر النعيمي في الدارس ان الدروس كانت تعطل يوم الجمعة والثلاثاء في دمشق (ص194).

ويقال بان جيلبير وهو البابا سلفستر درس بالقرويين وادخل الارقام العربية الى اوربا والارقام الهندية اطلع عليها العرب وكونوا منها سلسلتين احداهما الارقام الهندية التي شاعت في بغداد والجانب الشرقي من العالم الاسلامي والثانية وهي الغبارية في الاندلس وافريقيا والمغرب الاقصى وهي المستعملة الآن في اوربا ولم يستطع الاوربيون استعمالها الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد .

وقد درس بالقرويين طلبة موفورون تواردوا في مختلف العصور من طرابلس وتونس والجزائر والسودان .

وكان عدد طلبة القرويين الافاقيين (من جزائريين ومغاربة) يبلغ سبعمائة بينما لم يكن عدد الاساتذة يتجاوز في الغالب الاربعين .

وكانت سوق العلم نافقة في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين .

وفي ايام ابي عنان المريني كانوا اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا (نيل الابتهاج للسوداني ص 260)

وبدا المغرب ينحل فكريا ايام الوطاسيين ثم عاد الى الانبعاث في عهد الشرفاء فتطورت حركة البحث والتاليف وتخرج من القرويين علماء افذاذ لا تزال آثارهم الرائعة تشهد بقيمتهم العلمية الفذة وفي ايام المولى اسماعيل كانت اسواق العلم عامرة ونجوم افلاكه نيرة زاهرة (تاريخ الضعيف) .

ويسكن الطلبة في احدى المدارس الاربعة عشرة (الشراطين والمصباحية وباب الجيسة والصفارين والعطارين) ويتقاضون خبزة في اليوم وقد جرت العادة منذ اواخر القرن الماضي بان يشتري الطالب غرفته في المدرسة وله ان يبيع المفتاح عند انتهاء مدة الدروس .

وقد لاحظ ابن مرزوق ان انشاء المدارس (اي مساكن الطلبة) كان في المغرب غير معروف حتى انشأ مولانا المجاهد الملك العابد مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس (وهي مدرسة الصفارين المؤسسة عام 670هـ) ثم ابو سعيد مدرسة العطارين ومدرسة البيضاء ثم مدرسة الصهريج ثم مدرسة الوادي ثم مدرسة مصباح ثم انشأ ابو الحسن .. في كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة (تازة ومكناسة وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بتلمسان والجزائر (المسند الصحيح الحسن هسبريس 1925) ويقال بان يوسف بن تاشفين اسس مدرسة الصابرين وعرفت في القرن الثاني عشر بمدرسة بومدين (الاخوان في شرفاء وزان لعبد السلام القادري) .

اما عند الخصوص فمفضل العذري صاحب الشرطة والحسبة بفاس هو اول من سن سنة بناء المدارس بفاس اذ على يديه بنيت المدرسة القديمة بالحلفاويين (الجذوة ص 220) .

وقد قام ضد بناء المدارس محمد الابلي العبدري شيخ ابن خلدون فلاحظ ان العلم قد اذهبه بناء المدارس وايده بابا السوداني حيث ذكر ان ذلك ادى لذهاب العلم بهذه المدن كفاس حتى صار يتعاطى الاقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة فضلا عن غيرها بل من لم يفتح كتابا للقراءة قط حيث صارت بالتوارث والرياسات (نيل الابتهاج ص 246) .

اما جامع الازهر فقد نشأت صفته الجامعية ايام العزيز بالله الذي هو اول من اقام الدرس فيه بمعلوم اي قبل المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك صديق عمر الخيام ووزير السلطان السلجوقي الب ارسلان عام 547 هـ وقد ادخل النظام للازهر في 23 ذي القعدة 1287 الموافق 3 ببراير 1872 م . وقد اقتصرت الجامعة في البداية على العلوم الاحد عشر في الامتحانات وصارت شهور العمل ثمانية بعد ان كانت اربعة ويوزع الازهر ارغفة على الطلبة وقد رفعها الشيخ محمد عبده من خمسة آلاف رغيف يوميا الى خمسة عشر الفا . وتوجد بالازهر مراحل ثلاثة وصدر قانون عام 1911 اسس بموجبه قسم التخصص ثم ادرجت علوم حديثة في النظام مثل تاريخ التشريع والنظام الدستوري ومبادىء الاقتصاد ونظام التربية والاخلاق وعلم النفس واللغات الاجنبية والشرقية وتأسست فرق رياضية .

وكانت الى جانب جامعة الازهر مساجد تقوم بنفس الدور مثل جامع عمرو الذي كانت تنعقد فيه قبل وباء 749 (بضع واربعون حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه) (المقريزي الخطط ج 2 ص 246 الى 256) وفيه زوايا ثمان لشتى العلوم منها زاوية الشافعي (ص 256) .

وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير ان علماء بغداد منعوا في بعض السنين تعليم الاطفال في المساجد (الانيس المطرب ج 2 ص 10) .

ولكراسي العلم بفاس وغيرها من المغرب اوقاف خاصة وقد اشار صاحب نشر المثاني الى الاحباس المخصصة لكراسي التفسير وصحيح مسلم وابن الحاجب وصغرى السنوسي والرسالة ونظم ابن زكري (ج 1 ص 38) .

ولعل اول مدرسة بنيت بالمغرب يرجع عهدها الى القرن الخامس حيث اسس واجاج بن زلو اللمطي تلميذ ابى عمران الفاسي دار المرابطين لطلبة العلم (الانيس المطرب ج 2 ص 10) .

واول من نعلمه امر ببناء مدرسة مستقلة عن الجوامع في بغداد هو احمد بن طلحة الموفق الملقب بالمعتضد المتوفى عام 289 هـ .

ويقول ابن خلكان ان نظام الملك هو اول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس (الوفيات ج 1 ص 202) ولكن ابن السبكي (الطبقات ج 3 ص 137) والمقريزي (الخطط ج 3 ص 363) يلاحظان انه ليس اول من انشأ المدارس فهناك المدرسة البيهقية بنيشابور والمدرسة السعيدية بها كذلك بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود ومدرسة ثالثة بنيشابور لابى اسحاق الاسفرايني ويقول ابن السبكي (ج 3 ص 137) ان نظام الملك كان اول من قدر المعاليم للطلبة مع ان العزيز بالله الفاطمي سبق نظام الملك بقرن تقريبا في تقدير هذه المعاليم للطلاب (الخطط ج 2 ص 341) .

وقد ذكر كلينار الذي زار مدينة فاس بعد الحسن الوزان بخمسة عشر عاما ان فاسا كانت تحتوي اذ ذاك على مائتي مدرسة (ولعله يدرج الكتاتيب القرآنية) .

وذكر النعيمي في كتابه الدارس من المدارس انه كان في دمشق عام 927 هـ 320 مدرسة في المجموع من بينها اربع مدارس للطب ومدرسة للهندسة انشأها نجم الدين اللبودي من اهل القرن السادس ولكل مدرسة خزانة كتبها وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والادب تدرس في فصولها .

وقد ذكر ابن جبير انه شاهد 20 مدرسة في دمشق و30 في بغداد وروت كتب فرنجية ان غرناطة كان بها 17 مدرسة كبرى و120 صغرى .

وذكر دوزي ان الاندلسيين كانوا يعرفون عموما القراءة والكتابة سوى القليل بينما كانت اوربا امية اذا استثنينا رجال الدين .

وقد عين الحكم الاموي المؤدبين لتعليم ابناء المعوزين حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة واجرى عليهم المرتبات وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون (ابن عذارى البيان المغرب ج 2 ص 358) .

وقد بلغ عدد مدارس (مكاتيب) بالرم عاصمة صقلية ثلاثمائة وقد تكاثر عدد المعلمين في هذه الجزيرة لانهم معفون من الجهاد (معجم البلدان ج 5 ص 377)

وكان بالمدرسة المستنصرية ايوان لكل مذهب من المذاهب الاربعة وفى كل ايوان مدرس و75 طالبا (العبري تاريخ مختصر الدول ص425) وفى دمشق ومصر 20 طالبا (الدارس ج 1 ص 303) وفى المدرسة المجدية بمصر مدرس شافعي ومعيران اثنان و20 طالبا (المقريزي ج 2 ص 400) وكانت حلقة امام الحرمين بالمدرسة النظامية بنشابور تضم 300 طالب (طبقات الشافعية ج 2 ص 252) .

وتأسست مدرسة للفنون ايام المولى عبد الرحمن بفاس الجديد تخرج منها فئة توجه بعضهم لاتمام دروسهم باروبا منهم محمد الجباص بانجلترا وعبد السلام العلمي بايطاليا وذلك في حدود 1300 ه (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367) والمدارس منتشرة بكثرة فى حواضر المغرب وبواديه وقد احصوا مائتي مدرسة فى دكالة ويلاحظ ذلك حتى فى شواهق الجبال ، ففي يقراماواس بالريف توجد مدرسة للحساب (موليبراس المغرب المجهول ص 113) .

واول مدرسة للصم فتحها القس ابيي عام 1755 واول مدرسة للعميان اسسها هوى عام 1783 وتوجد بواشنطن كلية للعميان تدعى كلية كالوديت .

وقد ذكر احمد زكي ان العرب سبقوا الفرنج الى اختراع كتابة للعميان .

اما من حيث الاسلوب فقد اوصى الغزالي بان يتعلم الطفل فى المكتب القرآني ثم القصص الاخلاقية ثم الاحكام الدينية فالشعر على ان يحفظ الطفل من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله (الاحياء ج 3 ص 57) .

وقد اضاف ابن مسكويه الى هذا البرنامج مبادىء الحساب وقليلا من قواعد اللغة العربية (تهذيب الاخلاق ص 20) ويقول الجاحظ (ولا تشغل قلب الصبي بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن) (رسالة المعلمين مخطوط) وقد اقترح ابو بكر ابن العربي المعافري البدء بالشعر حتى يتمكن الطفل من من الاداة اللغوية وايده فى ذلك ابن خلدون وكان احيانا معلم القرءان فى الشرق هو غير معلم القراءة والكتابة (رحلة ابن جبير) بخلاف المغرب .

وقد شعر المغاربة بقيمة الاستاذ والشيخ فاولوه كامل الاعتناء والتبجيل وكان لمدرسي العلم الحظوة الكاملة عند الدولة والشعب وقد شعرت اوربا مؤخرا بقيمة المعلم الاجتماعية حيث لوحظ ان اعداد المعلم الكامل كان هو السبب فى نهضة المانيا وانتصارها فى حرب السبعين حتى قال بسمارك (لقد انتصرنا على عدونا بمعلم المدرسة) .

والاضراب ابتكره رجال الجامعات الغربية وكانوا يلجاون اليه اذا وقع المساس بحقوقهم واحيانا كانوا يعمدون الى الهجرة كما حدث عام 1229 عندما وصل قسم من اساتذة جامعة باريس وطلابها الى اكسفورد لتدخل السلطة فى شؤون الجامعة .

وقد قدر عدد محتويات مكتبة القرويين آخر القرن الماضي بنحو الثلاثين الف مجلد ، ولعل عدد المصنفات التي يقال ان المولى عبد الرحمن وزعها على علماء المغرب لا تعدو الالف .

واعتناء ملوك المغرب بجمع الكتب معروف وقد وصف المراكشي ولوع يوسف بن عبد المومن بذلك فذكر انه لم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب (المعجب ص 145) .

وبلغت هذه الخزانة الموحدية اهمية جعلتها تعادل مكتبة الخليفة الاموي الحكم الثاني وذكر جوستاف لومون فى حضارة العرب (ص 468) ان مكتبة الحكم الثاني احتوت على ستمائة الف مجلد فى حين ان شارل الحكيم لم يستطع ان يجمع بعد ذلك العصر باربعة قرون فى المكتبة الوطنية بفرنسا اكثر من تسعمائة سفر .

وغالب المخطوطات الموجودة فى مكتبة الاسكوريال اصلها من المغرب وذلك ان زيدان السعدي كلف قنصلا فرنسيا عام 1617 بنقل اربعة آلاف مخطوط عربي الى اكادير فحول شراع مركبه نحو فرنسا حاملا معه المخطوطات النفيسة فاسره القرصان الاسبان ونقلوا الكتب الى الاسكوريال .

وذكر المؤرخ جيبون ان الافرنج نهبوا مكتبة طرابلس الشام اثناء الحروب الصليبية وكان فيها ثلاثة ملايين مجلد كما ذكر كندي ان الاسبان احرقوا ثمانين الف سفر عام 1499 م . (905 هـ) بريسكوت) ــ فرديناند وايزابلا ــ (ص 451) .

وقد اشترط ابو يوسف المريني على ملك اشبيلية منحه جميع المخطوطات العربية التي انتزعت من المسلمين فحمل منها الى جامعة القرويين ثلاثة عشر حملا كما في القرطاس .

وكانت خزانة المولى اسماعيل بدويرة الكتب بمكناس وقد فرقها على جميع مساجد المغرب وكانت تزيد على 12.000 مجلد .

وفي الشرق احتوت مكتبة الفاطميين على اربعين خزانة كل واحدة تسع لـ 18.000 مجلد (المقريزي ج 1 ص 408) .

وروى ابو شامة (الروضتين ج 1 ص 200) ان هذه المكتبة كان بها مليونان اثنان من الكتب وذكر المقريزي عدة روايات يميل منها الى ان العدد كان 1.600.000 كتاب (ج1 ص 409) .

وقد اسست بفاس بامر من سيدي محمد بن عبد الرحمن المطبعة الحجرية التي نشرت عدة مخطوطات على نفقة الدولة فكانت اداة جوهرية في نشر العلم بازاء جامعة القرويين العامرة .

سيف المولى ادريس بمنار القرويين

ذكر المؤرخون ان الامير احمد بن ابى بكر الزناتي كان رجلا فاضلا صالحا من اهل الدين والورع اختصم اليه بعض حفدة المولى ادريس في سيف جدهم وطلب كل واحد ان يحوز السيف لنفسه وطال نزاعهم فيه فقال لهم الامير احمد بن ابى بكر هل لكم ان تبيعوه مني وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا له وما تصنع به ايها الامير ؟ قال اجعله في هذه الصومعة التي بنيت تبركا به : (يعني منار القرويين) فقالوا ايها الامير ان كنت تفعل هذا فخذه نهبه لك بطيب نفوسنا فوهبوه له فجعله في اعلى المنار وذلك سنة 345 هجرية

وقد راجت اشاعات في العهود الاخيرة بان وضع ذلك السيف اشارة الى ذل واهانة تلحق اهل فاس فنظم بعضهم ذلك في بيتين فانبرى الشعراء لتسجيل وضع هذا السيف والرد على عائب وضعه فنقل الاديب ابن الاحمر في كتابه فرائد الجمان ازيد من عشر قطع شعرية في ذلك مما يدل على توقد قرائح الشعراء في ذلك العهد منها قول الاستاذ منديل بن آجروم

شاموا بفاس سيف ادريسهم
فوق منار لا لأمر مخوف

بل اشعروا بقول خير الورى
جنتكم تحت ظلال السيوف

ومنها قول محمد الحاجري

يقولون زجرا ان فاسا قضى لها
بذلتها سيف المنار المشيد

لقد اخطأوا في زجرهم ضل سعيهم
هل العز الا تحت ظل المهند

رسالة القرويين

رينيه ماهيه
نائب مدير منظمة اليونيسكو

انه لشرف عظيم لي ان انقل الى جامعة القرويين آيات تقدير منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. واني الى جانب هذا الشرف الذى توليني اياه هذه المهمة الجليلة ، لاشعر بسعادة شخصية عظيمة بداعي الذكريات التي تربطني بهذه المدينة الفريدة التي يزيدها مرور السنين قيمة وجلالا .

ان جامعة القرويين ومدينة فاس لم تعرفا منذ اكثر من الف عام الا حياة مشتركة واحدة ، ومن النادر حقا أن نشهد ارتباطا متينا كهذا بين جامعة ومجتمع ، او بين جامعة وشكل من اشكال الحضارة الانسانية . وتظهر معالم هذه الرابطة الوثيقة فى كل شيء يحيط بنا اليوم ، فهي تطل علينا من علياء المكان الذى نجتمع فيه الآن ، مثملة بفنه المعماري وبالذكريات التي يثيرها فى النفوس .

ولعل السبب فى ذلك هو ان هذا المكان كان فى الاصل دارا للصلاة والعبادة ، فامتزجت فيه فيما بعد عقائد الايمان واليقين بالمظاهر الثقافية . ومما يجدر ذكره انه منذ ان امر نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، ببناء « الصفة » فى المدينة المنورة وجعلها مقرا للدراسة والمناقشة اخذت كافة المساجد والجوامع تسعى طوال اربعة عشر قرنا الى السير على الدرب نفسه كي تصبح اماكن للتعليم والتحصيل بجوار رسالتها الروحية . وقد تمكن بعض هذه الجوامع من نشر نفوذ واثره واضافة دروس الادب والتاريخ والفلسفة والعلوم الى دروس الدين والشرع . وهكذا ظهرت المستنصرية فى بغداد والعدلية فى دمشق وجامعة قرطبة ، ثم الجامعات الاسلامية الكبيرة التي ما تزال ثلاث منها باقيات حتى الآن ، وهي الازهر فى القاهرة والزيتونة فى تونس ثم جامعة القرويين فى فاس . ولقد ازدادت معارفنا اليوم عن اثر هذه الجامعات العميق فى تطور العلوم والحركات الفكرية ابان العصور الوسطى الاوروبية كما اتضحت لنا اكثر من ذي قبل معالم الدور الذي ساهمت به فى نهضة الجامعات الغربية . ومن ثم ، فان احياء ذكرى جامعة القرويين يتيح لنا اليوم فرصة الاعراب عن مشاعر التقدير لهذه الجامعة والاعجاب بها ويذكرنا باقدم تقليد عرفه التعليم العالي فى مختلف مراحل تطوره حتى بلغ مرحلته الحاضرة دون انقطاع .

والى جانب كون القرويين مسجدا جامعا وجامعة ، فهي فى الوقت نفسه مكان لالتقاء الاهلين . فتقاليدها الروحية تنطوي على تعاليم اجتماعية ، كما ان ركن علمائها مفتوح الابواب دائما امام كافة الناس . ويعج هذا الركن بالحركة وبغدوات وروحات الحياة اليومية ، فهو المكان الذي يستطيع المرء ان يفتش فيه عن استاذه او صديقه للمشورة او الحكمة او المعونة . وتشير الرواية المثيرة التي تسرد عادة عن ايام القرويين الاولى الى التكاتف الاجتماعي ومشاعر الاخوة الانسانية التي كانت سائدة فى ذلك الوقت . اذ يقال ان اختين صغيرتين قدمتا ما تملكه يداهما لتشييد هذا الصرح الذي اضفى عليه ملوك المغرب فيما بعد سمات العظمة والجمال .

والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها جامعة القرويين تصل فى النهاية الى اداء دور وطني . فهي الجامع الرسمي الذي تعلن فيه المراسيم ، فى حين تؤدي الجامعة دورها الخاص بها فيما يتعلق بالشئون العامة. وقد تخرج فى هذه الجامعة خلال تاريخها الطويل كبار

الموظفين الحكوميين وقضاة الدولة المبجلين . وهؤلاء الخريجون هم الذين تسترشد بهم السلطة الحاكمة للتثبت من مطابقة ما تنوي فرضه من ضرائب واتخاذه من اجراءات . ومن هنا كان لطائفة المثقفين المتكونة من جيل لآخر اثرها المعنوي فى حياة المدينة كما كان لتعاضدهم الثقافي والتقائهم عند مبادىء واحدة اثرهما الكبير فى دوام الوطن .

لقد كان الالتحاق بالقرويين وما يزال حتى الآن يعني الانتماء الى هيئة مبجلة لها قيمتها . فالدراسة فيها تعني الاشتراك فى طريقة حياة معينة واشغال مكان معين فى احضان الحضارة . وتنفرد الجامعة بمزايا عديدة نذكر منها اهمية المثال الشخصي والتعليم الشفوي المباشر والاتصال القائم بين المعلم وتلميذه وحياة التلاميذ المشتركة وكافة الاجتماعات والعلاقات الانسانية التي تنسج خيوط التعاضد العاطفي والعقلي فتؤلف نوى من الشعور بالانتساب الى كيان كامل يشكل ثقافة قائمة بذاتها . وما احرانا ان نذكر فى هذا المقام ان الفضل فى تعريف طبيعة هذا التعاضد وبراعة تحليلها انما يرجع الى ابن خلدون العظيم ، اشهر كاتب للدولة ومؤسس التاريخ الثقافي الذي ولد بين ظهرانيكم .

ان هذه الوحدة العميقة والرابطة القوية التي تلم شعب تاريخكم وتحفظ كيان مجتمعكم ومظاهر ثقافتكم وتقوم شاهدا على ايمانكم تطبع جامعتكم بطابعها الفريد الذي ما تزال متحفظة بقيمته حتى الآن بما قد تنطوي عليه من اهداف جديدة .

واي موضوع فى الحقيقة يفوق فى اهميته موضوع تاثير الجامعة فى حياة الجماعة ؟ ان توسيع التعليم وزيادة المقاعد المخصصة للتعليم العالي لتؤدى بطبيعتها الى القضاء على كل عزلة ثقافية ، كما ان احتياجات الدولة ومطالب المؤسسات بل الآفاق المترتبة على تغيير الوسائل التقنية تحتاج جميعها الى الاستفادة من مجهودات الجامعة . والحق انه يتعين على الجامعة بالاضافة الى المهام الرئيسية الملقاة على عاتقها من اعمال البحث وتخريج الاشخاص ، ان تتحمل مسئوليات جديدة ذات طابع اقتصادي واجتماعي وثقافي . اضف الى هذا ان الجامعة تحتل مكانا مطرد الاهمية فى صرح التطور الاقتصادي بالنسبة لبلد ناشىء متطور ثري بتقاليده العريقة مثل بلدكم الكريم . فالجامعة مطالبة اذن باعداد صفوة المستقبل ، كما انها مطالبة ايضا بجمع التراث الثقافي وتسليمه الى الاجيال اللاحقة . ذلك التراث الذي يضفي على المجتمع سماته الخاصة به ويكسبه الاحساس بدوامه كما انه يكشف له فى رحاب العلاقات الدولية عن النصيب الثمين الذي اسهمت به الحضارة الاصيلة . ففي ممكنة الجامعة باعتبارها من دعامات الثقافة ان تكفل دوام الوطن . ومن هنا يكتسب عيد القرويين الالفي مغزى آخر غير مغزى التذكرة التاريخية البسيطة .

وفى وسع مبادئكم التربوية ايضا ان ترتدي ثوبا جديدا فى وقت يظهر فيه من كل جانب خطر تعليم يقتصر على اعداد المتخصصين او التقنيين او المتفقهين . فمبادئكم كانت تهديكم دائما لا الى نقل المعارف الى الانسان وحسب وانما الى اعداد هذا الانسان بكليته وجعله ممتلكا لجميع قواه وملكاته . وتقاليدكم لم تعرف ابدا التفريق بين الجانب النفسي والجانب العقلي وقد كان بحث معلميكم عن الحقيقة يتميز فى الوقت نفسه بالبحث عن الحق والعدالة . ولقد علمت ان لفظة * « العلم » باللغة العربية تعني العلم والحكمة معا ، وان لفظة الحق تجمع بين مفهومي العدالة والحقيقة .

واذا اعوزنا المثال فى هذا المجال ففي وسعي ان اذكر ابن طفيل ابن هذا البلد الذي كتب الرواية التربوية المعروفة باسم « حي بن يقظان » ، فكان اول ملهم لجميع ما كتب من هذا القبيل من روايات وحكايات تربوية . وقد اظهرنا ابن طفيل فى روايته على تفاصيل « اعوام التحصيل » التي قضاها شاب مراهق ولم يكن هذا الموضوع قد طرق فى اوروبا من قبل فكان رائدا للكتابات التربوية التي كتبها رابليه وقصة روبنسن كروزو وقصة اميل . واشير بوجه خاص الى ان موضوع هذا البحث كان اهم المظاهر الرئيسية للقصة التي كتبها جيته مصورا فيها بطل القصة وقد استند الى تجربته الشخصية والى ارشادات معلمه كي يتعلم مهنة الرجال، ثم اخذ يشحذ همته ومواهبه ويعيد اختراع التقنيات الى ان بلغ مستوى التحكم فى امور الطبيعة . ولقد اجتمعت لدى المفكر المغربي الذي عاش فى القرن الثاني عشر جميع هذه العبر والعظات الانسانية . وهي تعبر عن ثقته البالغة فى صفات الشخص الانساني وفى اتساع مجال قدرته على الاشياء والحوادث .

على ان هناك مظهرا آخر يتميز باهميته الخاصة بالنسبة لي كممثل لمنظمة دولية . الا وهو تقليدكم الخاص بصفات الكلية والعالمية التي يظهر تعبيرها فى

افكاركم وتتضح آثارها في نظريات مفكريكم وفي اعمالكم . لان صفات الكليــة والعالمية ترمق تاريخكم باكمله .

فقد كان البحاثة الاوائل لديكم يقبلون بولع علـى جمع معارف زمانهم كلها دفعة واحدة . امـا اعمـــال المتخصصين المعاصرين في العصور الوسطى فانهـــا زادتنا معرفة بتلك القفزة الرائعة التي حققهـا شعب باكمله في ميدان العلم . لقد كان هذا الوضـع منصبـا على المعرفـة ولا ريب ، ولكنه كان يمتد ايضا الــى المعرفة الكلية الشاملة . ومن اين لنا لولا ذلك ، هـذه المؤلفات الغزيرة التي تناولت جميع النواحـي ، دون ان يـستغرق اصدارها وقتا طويلا ؟ انها في الواقـــع مجموعات ضخمة من التقاليد ، فهـي تضـم مختارات تقارن بين المدارس الشرعية وتضم قواميــس تعرف باسم « المحيط » لاتساعهـا ، كما تضـم مجامع مـن العلوم الاغريقية ومؤلفات في الجغرافيا وروايات عـن رحلات تصف العالم الذي كان معروفا في ذلك الوقت . ان **حضارتكم القديمة هي في الواقع حضارة كلية شاملة كما انها هي نفسها التي نقلت الاحساس الذوقي الـى اوروبـا ابان العصـور الوسطى .**

كانت حضارتكم تهتدي بالبحث في الطبيعة كمـا تهتدي بالوحي في اكتشاف نظام للعالم ، وكانت تتلهف على جمع معطيات العلم الاغريقي المبعثرة . وقد امتدت بحوثها حتى اراضي ما بين النهرين والهند ومـا وراء الهند نفسـها محققة بهذا الحكمة التقليدية القائلـــة « اطلب العلم ولو في الصين » . **وكان كافة المفكريــن لديكم من المحيطين بعلم الفلك والشرع والادب والفيزياء** فاذا كنت اشرت من قبل الى ابن طفيـل كفيلـــوف ومرب ، كان علي ان انوه به ايضـا كعالم موسيقي ورجل من رجال الدولة . ومن الممكن في الحقيقة العثور علـى **اروع مثال عن التطلع العلمي الكلي الشامل لدى ابـن خلدون الـذي جمع بين صفات المؤرخ والفيلسـوف والسياسي ورائد** علم الاجتماع . كما يمكن ايجاد مثل ذلك ايضـا في شخص ابن رشـد **الذي كان قاضيا لقرطبة وطبيبا للمغرب . وقد كان اسم ابن رشد خلال سنوات طوال مقرونا بفكرة التأليف والتركيب في الفلسفة ، تلك الفكرة الحية التي تربط الآن بيـن آثار ارسطاطاليـس وبين النقد الحديث** . اما الكتاب الطبي الكبير الـذي الفه ابن رشـد فقد تمت ترجمته في البندقية خلال عـام 1490 بعنوان يطابق عنوانه الاصلي العربي : « الكليات » .

على ان هذه الارادة الكليـة العالمية لم تكن لتجـد تأكيدها بمثل هذه القوة لو لم يكن المغرب قد وجد نفسه خلال حقبة من حقبات تاريخـه الفاصلة عند مفتـرق الطرق الرئيسية المؤدية الى رحاب الثقافة . ومن هنا كان بلدكم مركزا من مراكز الحضارة التي تعرف باسم الحضارة الاندلسـية او الحضارة الاسبانيـة المغربية . فثقافات الشرق والغرب لم تعرف اتحادا مثل هـذا الاتحاد الذي وجدته في احضان الحضارة المذكـورة بشكلها التأليفي الكامل الفني بثمراته . **اما الاختلاف في الطبائع او الاديان او حتى اشتعال الحروب نفسها فلم يستطع ان يسد المنافذ التي تنبعث منها هذه الحضارة. كانت كل هدنة يتم الاتفاق عليها فرصة للتبادل الثقافي . واشير في هذا المجال الى مثل واحد مـن بين امثلة عديدة ، يتصل بمكتبتكم التي وسعت من رفوفها الخاصة لاستقبال مجموعات الكتب العربية الهامة التي قدمهـا دون سانشي ملك اسبانيا بمناسبة الهدنة التي جـرى الاتفاق عليها خلال عام 1285 . وعلى هذا النســق كانت المؤلفات الادبية والعلمية تنتقل على الدوام بيـن المغرب واسبانيا . وقد اصبحنا اليوم نعرف معرفـة كاملة القسط الوافر الذي ساهم بـه اجدادكـم في الحضارة الاندلسية التي انتقلت باجمعها الى البـلاد المغربية فيما بعد** . كان تأثير اعمالكم يبلغ كافة المجالات، من الحضـارة المادية الى تأملات الرياضيين والصوفييـن المجردة ، فتشمل مقدمات العلوم والتقنيات الجديـدة والاشغال العامة وتعبيد الطرق وتشييد الجســور والمستشفيات وانشاء المصانع المختلفـة واستحداث طرق التجارة وترقية الاداب الاجتماعية حتى الازياء بل واداب المائدة .

اما التأثير المتسم بالرفعة والعمق فنجـده في المجال الفني المتمثل في الفن المعماري وفنون النقـوش والزخارف ، ونجده في المجال الموسيقـي في الاغانـي العميقة التي ما تزال تطبع اغاني الاندلـس بطابعهـا المعروف حتى الآن ونجده كذلك في الشـعر الغنائي الذي راى فيه بعض البحاثة مصدرا من مصـادر المشاعـر العاطفية الغربية عند دراستهم للعلاقة القائمة بين ادب الغزل في لغة جنوب فرنسا التي كانت منتشرة وقتئذ.

وهكذا كانت مدينتكم من الاماكن الخالدة بفضل هذه الثقافة . ذلك لان الروابط الثقافيـة لم ينفصـم عراها مع اسبانيا حتى بعد سقوط مملكـة غرناطة . وكانت مدينة فاس تستقبل العلماء والكتاب الذيـن كانوا يفدون اليها من الاندلس او من الشرق الاسلامي .

ل مؤلف « القرطاس » في هذا المجال أن : « فاس ت على الدوام عطوفة على الاجانب الذين استوطنوا ها ، ومن تم اصبحت المدينة المذكورة كالدار الكبيرة ي يجتمع فيها عدد كبير من الحكماء والمشرعين لادباء والاطباء وغيرهم من العلماء » . اما عصر هضة الايطالي فقد عرف عن طريق حسن الزياتي ي كان يطلق عليه اسم ليون الافريقي ان مدينة فاس نت في القرن السادس عشر « عاصمة للاسلام الغربي وريثة للحضارة الاندلسية » . ولذا كان البحاثة يأتون ها من اقاصي الارض بحثا عن المؤلفات والدراسات لمية المجهولة . **يعد المغرب اذن بهذا المعنى البلد الذي ستطيع ان نلحظ فيه اكثر من غيره تلك الحيوية البالغة ي اسهمت بها الحضارة الاسلامية في جميع مجالات تبادل بين الشرق والغرب .**

على ان هذا الدور الرابط بين ثقافات الشرق الغرب ما يزال الى اليوم دوركم انتم . وهو الى هذا طي اهمية خاصة لتعاونكم مع منظمة اليونسكو تحقيق نشاطها . فمن المهام الرئيسية المدرجة في نامج منظمتنا ما يعرف « بالمشروع الكبير الخاص لتقدير والتذوق المتبادل لقيم الشرق والغرب لثقافية » الذي يستند في تطوره ونموه الى ثلاثة ستويات مختلفة هي ـ مستوى الدراسات والبحوث تي يجريها المتخصصون ، ومستوى التعليم المدرسي التعليم خارج المدرسة ثم مستوى تعريف الجماهير تثقيفها . اذ يتعين تدعيم وتحديد المعارف الرئيسية لخاصة بمختلف الثقافات عن طريق الاجتماعات الدولية اجتماعات العلماء ودراسات علماء الاجتماع وخصوصا ن طريق المعونة المتوقع تخصيصها لانشاء شبكة من عاهد البحوث يكون الغرض منها عرض خطوط لحضارات العريضة . وسيترتب من ناحية اخرى على راجعة البرامج والكتب المدرسية واعداد هيئة علمين وانتاج المواد التربوية المناسبة والتعاون مع نظمات الشباب ان يفتح هذا النشاط كله الابواب امام التفاهم ويبعث على احترام القيم الخاصة بمختلف لثقافات . واخيرا فان نشر الاعمال الادبية والفنية الموسيقية على نطاق واسع واستخدام وسائل عريف الجماهير وانبائها كالصحافة والسينما والراديو ستفضي كليا ولا ريب الى تنوير الراي العام واعطاء مجموع هذه الجهود كل قيمته الحية .

هذا . ويتركز قسم كبير من الوسائل التي تستخدمها اليونسكو على هذا النشاط الذي يحظى بالاولوية . غير ان اعمال دول المنظمة الاعضاء واشتراكها الكامل في هذا المشروع يتميز في هذا المجال بمقدار حيوية اهتمامها بتنفيذ نواحي برنامج المنظمة الاخرى . واليونسكو لعلى استعداد لتقديم خدماتها في هذا الصدد ؛ **ومن ثم يسعدها ان تقدم للمغرب تسهيلات لدراسة وحفظ الفن الموسيقي الذي يعد اصل الغناء الاندلسي ، كما يسعدها ان تعين بوسائلها الفنية المضبوطة اولي الامر الذين يعنيهم جمع وثائق المحفوظات** في شكل افلام مصغرة بوجه خاص ، وهي وثائق تقوم شاهدا على تاريخكم الثقافي .

انكم بعملكم على زيادة التعريف بتراثكم الثقافي لا تؤكدون الشخصية المغربية في المحيط الدولي وحسب ، ولكنكم تبرهنون بهذا العمل ايضا على ما استطاعه بل وما يستطيعه التعاون الثقافي مرة اخرى بين الشرق والغرب . فمشروع اليونسكو يفقد ولا شك غرضه الاصلي في تعزيز التفاهم المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب اذا اقتصر على تقويم كل ثقافة منفردة بذاتها دون ان يفتح بينها وبين الثقافات الاخرى باب التبادل والتذوق المشترك لعموم الثقافات . المختلفة والى اوجه النشاط الخاصة بتعريف بعضها ببعض . ومن هنا كانت الاهمية المثالية التي تسهم بها في هذا المشروع دول اعضاء واقعة مثل مملكة المغرب عند مفترق طرق الثقافات وتلاقيها .

هذه هي بعض الاسباب العديدة التي تدفعني في مجال نشاط الخدمات الدولية المتجدد دائما الى الاهتمام الكبير بجميع الانباء التي تصلنا من المغرب حاملة معها رصيد مجهوداتكم ومجالات نجاحكم . فاذا كان اجتماع جامعة القرويين هذا يعد من احد هذه المجالات وبالنسبة لكل فرد منا اجتماع الذكرى والوفاء للعمل المستكمل ، فاسمحوا لي ان اعرب لكم في النهاية عن ان ذكريات سني الدراسة والصداقة بل وذكريات التجارب الكبيرة التي مرت بي في هذا المكان ما تزال نابضة بالحياة في قلبي وسابقى لها وفيا مخلصا .



تاريخ تطوان

للاستاذ محمد داود

صدر الجزء الاول من تاريخ تطوان الحافل للاستاذ الجليل السيد محمد داود وقد قدمه للجمهور زميلان ورفيقان للمؤلف فى الدراسة العلمية هما الاستاذان المؤرخان الحاج محمد بن العربي بنونة وشيخ المعهد العالي بتطوان التهامي الوزاني

ومجلة ـ دعوة الحق ـ تقدم مقتطفات من مقدمة الحاج محمد بنونة للتعريف بهذا الكتاب القيم حيث قد تضمنت جملة من كلام المؤلف تبين مذهبه فى كتابة التاريخ . والكتاب قيم وجدير بكل اهتمام وما تقديمه بهذه المقتطفات الا ترغيب لاقتنائه ودراسة ما فيه من طرائف عن الحياة الاجتماعية بكل الوانها لجزء هام من بلادنا العزيزة

هذا الكتاب هو فى الواقع صور لالوان الحياة بمدينة تطوان هو صور لشخوص حية تتحرك فى الحياة التطاونية من رجال ونساء يصنعون احداث التاريخ ، فالبيوت والشوارع ، والمدارس والمحاكم ، تزخر بشتى الالوان من الحيوية المثيرة التي ترسل الدماء حارة فى الشرايين ، الى الالوان الهادئة التي تبعث الاطمئنان الى القلب . صور تجعل القارىء يعيش فترة من الزمان مع الذين سبقوه لرؤية النور ، فيتوقع معهم الحوادث المفاجئة ، ويترقب مثلهم نتائج المقدمات المعقولة ، لان المدينة فى جهاد دائم ، وصراع مستمر ، على لقمة العيش ، ومتعة النفس ، وادراك العلى ، ورغبة السكان ورهبتهم هما اللتان تصنعان حياة الانسان فى الكوخ والقصر وفى المصنع والحقل ، وفى السوق والمتجر ، وكل ذلك فى المدينة وفى سكانها ، ففيها الصالح القوي ، والجيد النبيل ، والكريم الرضي ، وفيها المشبوه فى السلوك ، والمدمن للاثم ، والجبار فى الليل من حثالة المجتمع ، وصعاليك الاسواق ، وضعفاء الاخلاق . وهذا الكتاب ينقل للقارىء الكريم هذه اللوحات واضحة الظلال ، ناصعة الالوان بما فيها من الخير والشر ، والقبح والجمال ، لا يتعمل ولا يتزيد .

ولقد يكون اخونا المؤلف اشار فى مقدمته الى ما اوردنا هنا بقوله : (لقد كتبت ما كتبت ، وجمعت ما جمعت ، وعلقت بما رايت ، بناء على مذهبي فى كتاب التاريخ العام . ذلك المذهب الذي يرى ان يثبت المؤرخ المعلومات ويصور الحوادث كما هي او كما يراها دون تزوير او تضليل . ثم لكل قارىء ان يستفيد ويستنبط على حسب ذوقه ومذهبه واستعداده . واذا كان للمؤرخ الحق فى ان يعلق بما شاء كما يشاء ، فان للقارىء ـ ايضا ـ ان يقبل او يرفض ، والحق حق دائما احب من احب ، وكره من كره ، والباطل لا يخفى ولو موهه صاحبه تمويها ، ان الامة تختلف طبقاتها كما تختلف صور افرادها ، واذا كان المصور الماهر هو الذي يرسم الصورة رسما مطابقا للاصل فان المؤرخ الحقيقي « الذي لا يكتب للدعاية ولا يتأثر برغبة او رهبة » هو الذي يسجل ما يقف عليه من المعلومات غثها وسمينها ، كلياتها وجزئياتها ، فيكتب من الاقوال ما يدل على الذكاء وسعة الصدر وحسن التدبير ، وما يدل على الغباوة والجهل وفساد الراي وسوء التقدير ، ويسجل من الاخبار ما يعرف منه الجهال من العلماء ، والضعفاء من الاقوياء ، والابطال

الجبناء ، والاجواد من البخلاء ، والكسالى من
شيطين ، والخونة من المخلصين) «بتصه من خطه»

لقد استكثر بعض الناس ثمانية اسفار في تاريخ
دينة متوسطة لم يصل عمرها الى خمسمائة سنة .
نادر مجان بلهو الحديث فيما يمكن ان يقول في هذه
سفار . وتناظر ناس آخرون بقول فيه شك وفيه
بين ، وفيه ما هو حق وما هو باطل ، وانا لا احب
ادخل — مع القوم — في مناقشة اقوال المستكثرين
لمتنادرين والمتناظرين ، لان هذا الكتاب هو الذي
يكم افواه المرتابين بالحجج اليقينية ، وهو الذي
يرسم ابتسامة الرضى على شفاه المنصفين .

نعم ، احب ان اقرر حقيقة ثابتة ثبوت القطب في
كزه ، وواضحة وضوح الالوان تحت ضوء النهار . .
ي ان تطوان مدينة لم تتدرج كغيرها من المدن
ناشئة من مدشر الى قرية ، ومن قرية الى مدينة ،
نما هي مدينة ولدت كاملة ، فمن اول يوم جدد فيه
وها الاخير كانت مركزا للحضارة الاندلسية ومهدا
قي المهذب ، لان المؤسسين او بالمعنى الصحيح
جددين كانوا من ارقى البشر الموجودين في ذلك
صر ، اذ من المعلوم والمعروف ان « كورة » غرناطة
رق الاندلس كانت قد جمعت — يومئذ — خلاصة
لاصات من العلماء والفقهاء ، والصيادلة ، والاطباء
صناع والمفتنين ، والفلاحين والمهندسين ،
لابطال من رجال الفكر واهل النجدة ، الذين جاءوا
يا من كل بقعة خانها الحظ ووقعت تحت سيطرة
سبان . حتى اصبح بها خيرة ورثة عظمة قرطبة
موية ، وفنون اشبيلية العبادية فكان نور المعرفة
ع من مدارسها بالوانه وجلاله ، وجمال الفردوس
سم في رياضها بشذا عطره وروعة ظلاله .

فلما اختل الامر بين امراء الحمراء الزاهرة ،
هرت الخيانة والتكالب على الحكم بين اصحاب
امع الغادرة ، واتحدت النصرانية ضد الاسلام
اج ملك راغون بملكة قشتالة ، ولعب القوم
ستقبل الامة واستهانوا بحقوق الشعب ، بدا
منون الذين ينظرون بنور الله ، يهاجرون بالدين
رض والولد والمال والعلم والفن الى عدوة
رب .

هاجروا ثم استقروا بسيف البحر بين مصب
« مجكصة » ونهر « هليلة » واستأذنوا فاذن لهم ،
ددوا المدينة في سفح « درسة » محافظين على
مها القديم « تطاون » .

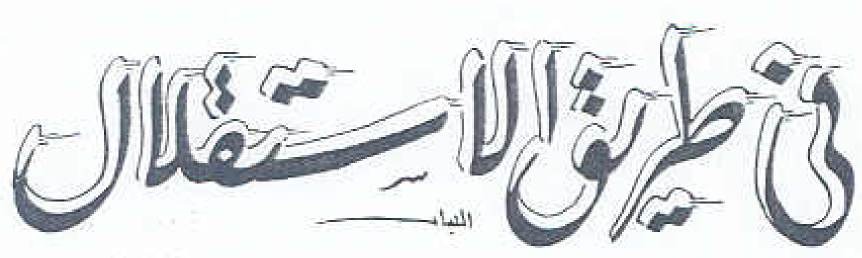
ولم يتم التسوير والتبريج ، والخندقة والتحصين
ن اوفد اليهم سلطان المغرب محمد الشيخ الوطاسي
جماعة من اهل فاس ليعمروا معهم المدينة الجديدة .

وكانت فاس يومئذ — وكما هي دائما — موطن
العلم والمال ، والصناعة والفن ، والنبوغ والعبقرية ،
والفكر والدقة ، تمد المغرب وغير المغرب بفيض مما
رزقها الله من الخير ، فجاء الفوج الاول من الفاسيين
ليشارك في التأسيس ، وليكون على بصيرة من امر
المهاجرين الاندلسيين .

وتأسست تطاون فكانت بنت غرناطة وفاس ،
وهما — يومئذ — عاصمتا المغرب والاندلس اللتان
انحصرت فيهما حضارة القرن التاسع الهجري ، بما
فيها من متانة ودقة ، ولطافة ورقة .

وتكاتب اهل الاندلس مع بعضهم وتراسلوا ،
فوفدت على تطاون الوفود وقصدها القصاد ،
واصبحت مهجرا لارقى مدنية عرفها التاريخ . ومعقلا
لابطال الجهاد ، وحصنا من حصون الاسلام ، صمدت
في وجه الاسبان والبرتغال والانجليز الذين عاثوا في
شواطىء المغرب من شمال وغرب ، تصد الغارة ، وتبيد
الهاجمين ، وتجيش الجنود في البر والبحر للغزو
والدفاع والتطهير ، ورفع اسم المغرب عاليا بين الدول،
ولم يستطع شرلكان وخلفاء شرلكان — وهم الذين
غزوا شواطىء افريقية وغير افريقية — ان يحدثوا
انفسهم بالقرب من شواطئها ، وهي اقرب اليهم من
تونس ووهران ، لما عرف به اهلها من شدة الشكيمة
والاستبسال في الدفاع عن الكيان ، واتقان فنون الحرب
والجهاد ، وظلت كذلك اربعة قرون ونبع نهضتها لا
ينضب ، وبوارق نجدتها لا تخبو ، فهي التي فتحت
طنجة وطردت منها الانجليز ، وهي التي حمت شواطىء
مرتيل من دنس الاحتلال ، وهي التي حصرت البرتغال
ثم الاسبان في صخرة سبتة ، وهي التي اخرجت
الابطال المجاهدين كآل النقسيس واضرابهم .

هذا الى تقعيد مبادىء المدنية ، وتأصيل معالم
الترقي من حسن التنسيق في المفروش والملبوس ،
وكثرة التنويع في المطبوخ والمشروب ، ورقة التفنن في
المنقوش والمخروز مع سلامة الذوق في العرض والدقة
في الترتيب . . الى المحافظة على الموسيقى الاندلسية
التي اتى بها مؤسسوها الاولون معهم من غرناطة ورندة
وفاس . . فاذا اضفنا الى هذا كله ما كان لها
من العلاقات السياسية والاقتصادية والفنية مع
الجزائر ، نجد انها كانت همزة وصل الحضارات ، بل
انها كانت بوتقة تنصهر فيها الحضارات المختلفة ،
وتنصبغ باللون المحلي الاندلسي الفاسي ولكن في صورة
تطوانية بحتة ، وذوق تطواني صميم .

المأساة الجزائرية أمام الضمير العالمي

للاستاذ : احمد مراد

لا يسع المرء الا ان يأخذ منه العجب مأخذه، ويتألم من أعماق ضميره ، ويكاد يكفر بهذه الديمقراطية المزيفة، التي طالما لهجت بذكرها الالسن ، وتشدقت بمحاسنها الشفاه ، بعد ان يمعن التفكير فى استمرار هذه المأساة ، ويرى كيف تشخص ادوارها على مسرح الانسانية المعذبة . وتقوم بدور البطولة فيها احدى الدول الكبار، التي ما فتئت تتبجح بوضعها لحقوق الانسان ، وانها ما بعثت الى هذا العالم الا لتكون رسولة الحرية والتمدين ... ومع ذلك فهي ما انفكت تقترف أفظع ما عرفته البشرية من غرائب الاجرام ضد الانسانية فى ارض الجزائر، وتمارس هذا العمل المزري لمدة ستة اعوام أمام الضمير العالمي ، وعلى مرأى ومسمع من الهيئة الاممية، دون أن تستطيع هذه وضع حد لهذا المنكر ...

اجل ، لقد وضعت المأساة الجزائرية من جديد أمام الضمير العالمي الممثل فى تلك الوفود الدولية المجتمعة فى هيئة الامم المتحدة . وقد استمعت او ستستمع تلك الوفود وشعوب العالم كله الى بيانات وافية ، وتفاصيل كثيرة ، حول استمرار تلك المأساة البشعة ، التي يقوم بتشخيصها على مسرح ارض الجزائر الاستعمار الفرنسي وأعوانه وحلفاؤه فى الدول الغربية ، والحلف الاطلسي منذ ست من السنين .

ولعل الضمير العالمي سيستفيق هذه المرة من سباته العميق ، ويجلو عن عينيه الغشاوة التي حالت بينه وبين رؤية الحقيقة الناصعة ، وسماع الصرخة المدوية بعدالة قضية الشعب الجزائري ، الذي صمد فى النضال البطولي من أجل استرجاع حريته واستقلاله طيلة هذه المدة المديدة .

ان الضمير العالمي قد عرف وسيعرف الكثير عن فظائع الاستعمار الفرنسي حاضرا ومستقبلا . ولعله يحاول اليوم اكثر من الامس ان يفهم المشكلة الجزائرية على حقيقتها ، كما تبدو من خلال الصراع الذي يدور بين فئة قليلة مؤمنة بقداسة جهادها فى سبيل الحق والواجب ، ولحماية القيم والمثل التي ظلت وستظل موضع الاجلال والاحترام لدى الانسان المدرك العاقل ، وبين فئة كثيرة باغية ، تنكرت لكل المعاني والقيم الانسانية . فالمعركة ــ اذن ــ تدور رحاها بين الحق والباطل ، وبين العدالة والبغي ، وبين الديمقراطية الصرفة والاستبداد الذي يريد ان يخمد أنفاس شعب عريق فى ماضيه ، متطلع الى استرجاع عزته وكرامته .

وسيقوم نواب احرار يمثلون شعوبا حرة بشرح وجهة نظر هذا الشعب وحكومته الفتية ، تلك الوجهة المتمشية مع مقتضيات العدالة والانصاف ، ومبادىء الامم المتحدة التي تخول لكل شعب ان يقرر مصيره بنفسه دون اجبار او اكراه ، كما فعل اولئك النواب فى اجتماعات الهيئة الاممية فى الاعوام الفائتة . ولا يشك احد فى ان الوفود الدولية فى هيئة الامم المتحدة قد احاطت علما هي وشعوبها بما يعانيه الشعب الجزائري الابي من ضروب النكبات والمآسي والاحزان ، وما

يقاسيه من الوان الظلم والطغيان ، على يد المستعمرين الفرنسيين القساة ، وقد بلغ الى سمع كل احد ما يتكرر حدوثه صباحا ومساء من الفظائع الوحشية على يد جنود فرنسا ، ليس فى ارض الجزائر فحسب ، بل وفى ارض القطرين الشقيقين المجاورين ، حيث ينال العدوان الفرنسي سكان البلاد الاصليين واخوانهم من اللاجئين الجزائريين ، من حين لآخر وتسقط الضحايا البريئة اثر كل اعتداء . .

ان الرجال الاحرار الذين اخذوا على انفسهم مناصرة الحرية فى كل مكان ، قد ابلغوا الى آذان الضمير العالمي فى غير ما مناسبة انين المعذبين ، وشكاوي المظلومين ، وتوجعات المنكوبين ، التي تتوالى منذ ست سنوات فى الارض الجزائرية المحترقة بنار الحرب العدوانية الفرنسية . . فهل لهذا الضمير ان يبرهن على وجوده ، بالعمل على وقف اعداء الانسانية ومجرمي الحرب عندحدهم، اينما كانوا وحيثما وجدوا، والتمكين للسلام ان يسود بين الامم والشعوب المستضعفة . حتى لا تتزعزع ثقة هذه الشعوب والامم بهذه المنظمات الدولية ، التي تابى بعض الدول الاستعمارية الا أن تتجاهلها وتدوس على قراراتها . . .

فالى متى يستمر هذا العدوان الفرنسي الصارخ على شعب اعزل لا ذنب له الا ان يروم حياة العزة والحرية والكرامة فى وطنه ، الذي ورثه عن آبائه واجداده ؟ الى متى يتجاهل ساسة فرنسا ميثاق حقوق الانسان الذي وقعوا عليه مع بقية الامم ؟ والى متى يدوسون باقدامهم على كل قانون سماوي أو وضعي فى حربهم الاجرامية ، التي لا يراعون فيها حرمة امراة ، ولا طفلا رضيعا ، او شيخا هرما ، او محاربا جريحا ، كما تقضي بذلك قوانين الحرب ، التي اتفقت على العمل بها كل الاديان والاجناس .

انا نأمل ان يعلن الضمير العالمي فى هيئة الامم المتحدة جهارا هذه المرة عن ادانته لفرنسا جزاء وفاقا لما ترتكبه من منكر ضد ابناء الانسانية فى الجزائر ، وان يكشف عن اساليب الابادة الجماعية التي تطبقها فى السجون والمحتشدات، ومراكز التجمع المحاطة بالاسلاك الشائكة ، والموجودة فى مختلف انحاء القطر ، ان كل الاحرار فى العالم يريدون من المنتظم الدولي ان يصدر حكمه العادل على المجرمين ، ويقرر حق هذا الشعب المجاهد فى ان تعاد له سيادته المغتصبة ، التي لم يبخل فى سبيلها بأعز ما يملك من الانفس والاموال . وان يترك وشأنه يقرر مصيره بنفسه ، عملا بدستور هيئة الامم المتحدة . التي عليها ان تتحمل مسؤليتها امام التاريخ، وأمام الاجيال البشرية المقبلة ، فتلزم المتمردين – بكل الوسائل – باحترام قراراتها والتزام جادتها ، اذا كانت هذه الهيئة جادة حقيقة فيما تصدر من قرارات ، عاملة بحق على ابعاد اسباب الحروب ، وتدعيم قواعد السلم فى جميع اطراف العالم على السواء . . .

ان فرنسا بانسحابها من هذه المحكمة الدولية ، وجبنها عن ان ترى نفسها فى قفص الاتهام ، والعالم يطالبها بتقديم الحساب على ما جنت يداها فى حرب الجزائر ، وعلى اهمالها الفاضح لقرارات الهيئة الدولية، ان فرنسا بصنيعها هذا تريد ان تتمادى فى حربها التي اهلكت بها الحرث والنسل فى وطننا ، وتريد ان تلتجيء الى المناورات والمؤامرات مرة اخرى ، كما فعلت فى سنوات خلت ، عسى ان تتمكن من تحقيق ما يحلم به ساستها ، من تطبيق سياسة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، تلك السياسة التي خلفها الزمن ، واصبحت اسطورة سخيفة ، لا يؤمن بها احد ، لانها منافية لتطور الزمن ، وسير التاريخ ، ومجافية لروح العدالة والحرية ، اللتين أضحتا مطمح كل شعب يصبو الى حياة العزة والرقي والازدهار . ان الاستعمار يريد ان يستمر فى خداعه وتضليله للراي العام ، ولكنه لا يخدع الا نفسه ، انه يريد ان يتخذ من مبادىء هيئة الامم لعبة وسخرية ، كما اتخذها بالامس ، ويريد ان يواصل سفك الدماء البشرية ، والتحكم فى رقاب أبناء الانسانية ،ارضاء لاغراضه ومطامعه الاستغلالية ، غير مبال بتلك المبادىء والقوانين التي يجتمع ممثلو الدول والشعوب تحت لوائها ، ويعملون لحل المشاكل على هديها .

هذه هي الفكرة الرجعية التي ما زال يتشبث بها اقطاب الاستعمار الفرنسي المحتضر ، وتلك هي نواياهم السيئة ، ضد وطننا المكافح ، ولكنهم لن يجنوا منها غير الخيبة المرة .

ان الشعب الجزائري الباسل ، الذي آمن بحقه فى ان يعيش سيدا فى بلاده ، حرا فى وطنه ، قد عقد العزم على ان يواصل جهاده المظفر ، بقيادة حكومته الفتية ، وجيشه الوطني المقدام ، حتى ينتصر الحق على الباطل ، ويتحرر شعبنا المناضل .

وانا لنرجو أن يكون لجميع الاحرار يد فى تقريب هذا الانتصار ، وتعجيل الهزيمة للاستعمار .



الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر

للأستاذ محمد برادة

ان فهم الوضع الفكري في فرنسا اليوم يجب ان يلتمس في اطار اعم من اطار الكتب والمحاضرات والمسرحيات : ذلك ان عنصرا هاما يهيمن على الحياة الفرنسية كلها ويحتل الصدارة سواء في الحياة الفكرية او السياسية ، واقصد مشكلة الجزائر التي تكون قرحة يصعب التئامها اذا لم يوجد لها حل عادل .

ان مشكلة الجزائر بالنسبة لفرنسا تقيم الدليل مرة اخرى على ان الاحداث السياسية — او على الاصح — الاحداث الحياتية تؤثر تأثيرا مباشرا على الشعب وبخاصة على ادبائه ومفكريه الذين يكونون القوة الطلائعية في المجتمع ، ومشكلة الجزائر تطرح اليوم بشكل جدي لم تطرح به من قبل طيلة الست سنين التي خاض خلالها الشعب الجزائري معركة الحرية ، ولعل هذا يدفعنا الى التساؤل : على عاتق من تقع مسؤولية هذا التأخير في مواجهة المشكلة الجزائرية بصراحة وشجاعة ؟

وللجواب على هذا التساؤل نتجه الى احدى الشخصيات البارزة في عالم الفكر الفرنسي الاديب جان بول سارتر الذي اعلن في محاضراته التي القاها اثناء جولته في امريكا اللاتينية بان المسؤولية تقع على اليسار الفرنسي اذ ترك للمصالح السياسية العاجلة ان تجرفه في تيارها . .

ولسنا الآن بصدد دراسة مواقف اليسار الفرنسي في السنين الماضية ،ؤ لكننا نحاول ان نسجل صورة موجزة لرد الفعل القوي الشامل الذي انبثق في هذه الايام داخل فرنسا والذي استطاع ان يطغى على كل ما عداه من المشاكل بما فيها مشكلة اثمان الخضر واللحوم التي يعاني منها الشعب الفرنسي الكثير .

وقبل ان نستخلص تأثير المشكلة الجزائرية على الادب الفرنسي يجب ان نذكر اهم الاشكال التي تجلت فيها ردود فعل المثقفين الفرنسيين .

كلنا سمع او قرأ عن شبكة جانسون التي جرت محاكمتها في هذه الايام بتهمة التعاون مع جيش التحرير الجزائري . وهي شبكة نظمها اساتذة فرنسيون وقاموا بنشاط ايجابي واسع النطاق بعد ان يئسوا من التصريحات والوعود التي كثيرا ما افضى بها الساسة المحترفون ، وقد كان اعضاء هذه الشبكة يقدمون المعونة للفدائيين الجزائريين ويوزعون مجلة سرية يفضحون فيها جرائم الاستعمار ويهيبون بالراي العام الى الضغط على الحكومة لتعترف للشعب الجزائري بحق تقرير المصير .

ولأول مرة يقف الفرنسي والجزائري جنبا الى جنب امام المحكمة ليعلنا انهما متفقان على ضرورة منح الشعب الجزائري حريته ، وعلى ان سفح الدماء البريئة من الجانبين وسيلة دنيئة لخدمة اغراض الراسماليين .

واثناء محاكمة هذه الشبكة ارتفع صوت سارتر — في رسالة بعثها الى محامي الشبكة — ليعلن :

« ان خنق الحريات المتزايد وتعميم التنكيل ، وعصيان القوات العسكرية وعدم خضوعها للسلط المدنية . . كل هذا يسجل تطورا في حياتنا السياسية يمكن ان نصفه دون مبالغة بالفاشستية ، وان اليسار الفرنسي سيظل عاجزا عن مواجهة الموقف ما لم يوحد جهوده مع جبهة التحرير الجزائرية ، القوة الوحيدة التي تكافح اليوم ضد عدو الحريات الجزائرية والحريات الفرنسية الذي هو عدونا المشترك » .

ولم يكتف سارتر بذلك بل شارك في العريضة التي وقعها مائة وواحد وعشرون اديبا من الفرنسيين لتأييد الشباب في رفض قانون التجنيد .

يضاف الى هذا كله المقررات التي صوت عليها المجلس الوطني للسلم Le comité national de la paix ونقابات المعلمين والعمال ، والتي تطالب بوضع حد للمأساة الجزائرية والاعتراف بحق تقرير المصير .. اجماع شامل من جميع الطبقات وعلى اختلاف الاتجاهات يطالب بمحو عار فرنسا في الجزائر .. فالى اي حد تستطيع المشكلة الجزائرية ان تؤثر على الادب الفرنسي ؟

الواقع ان نوع التأثير سيكون ايجابيا الى ابعد حد لان الازمة الجزائرية ستؤكد للادباء والفنانين والمفكرين مرة اخرى ان تخليهم عن رسالتهم القيادية واهمالهم الدفاع عن المثل الانسانية التي نبعت من ثورتهم المقدسة معناه اضمحلال فرنسا وتشويه قيمها وحرياتها .

وهذا النوع من التأثير قد ظهرت بعض بوادره فقرانا مذكرات صريحة لفرنسيين احرار عاشوا التجربة المريرة في الجزائر فكتبوا يفضحون الاساليب اللاانسانية المتبعة لابادة شعب اعزل ، ومن ذلك ما كتبه هنري اليغ تحت عنوان : جلادون . وما كتبه سارتر بعنوان : عارنا في الجزائر . وكتاب حرب الجزائر لجيل روي (Jules Roy) ... وكلها صفحات مشرقة تعيد للفكر الفرنسي اعتباره .

ونشرت ايضا بعض القصص لادباء فرنسيين صوروا فيها انطباعاتهم عن الحياة التي يعيشها الانسان الجزائري نهبا للقلق والضياع والجوع والاحتقار ، من ذلك قصة « دريس » (Dris) للكاتبة الشابة « جانين اوربانو » ، وقصة زيتون العدالة (Les oliviers de la justice) لجان بالبكري.

ولعلنا ندرك اهمية التأثير من خلال الموقف الايجابي الذي اتخذته في هذه الايام الكاتبة فرانسواز ساجان التي عرف عنها اهتمامها بقلقها الذاتي وبتصوير الجوانب العبثية لجيلها .. هذه الكاتبة قد ادركت اخيرا ان الحرية كل لا يتجزأ وان الحرية اوسع من المفهوم البسيط الذي يحصرها في نطاق مجتمع واحد ، فكتبت مقالتها الرائعة بمناسبة اعتقال جميلة بوباشا منددة بالطغيان وبخنق الحريات .

وانا اعتقد – الى جانب هذا التأثير – ان انعكاس الازمة الجزائرية على الفكر الفرنسي سيتخذ طابعا اخلاقيا في اوسع معنى لهذه الكلمة اي انه سيدفع الادباء والمفكرين الى ايقاظ الضمائر الغافية والى مراجعة القيم ومحاولة القضاء على التناقض الحاد الذي يتوزع الشعب الفرنسي ويجعله حائرا مترددا بين الحالمين بعهود الامبريالية والعظمة الجوفاء ، وبين الطليعة الواعية التي تعيش عصرها وتؤمن بامكانيات الشعب الفرنسي في خدمة الحضارة وحماية الحرية .

واذن فيمكن ان نقول ان المشكلة الجزائرية كحدث حياتي ضخم بالنسبة للشعب الفرنسي قد اصبحت – اكثر من اي وقت مضى – محكا للطليعة المفكرة والجماهير الشعبية لتبرهن عن وعيها وعن قدرتها الاستمرارية في حماية القيم الانسانية . وان هذه الارهاصات الادبية في فرنسا بالاضافة الى ما كتبه ادباء احرار مثل برنارد شو وتوم بين وريتشارد رايت وجان بول سارتر ، وبالاضافة الى ما كتبه ادباء الطليعة في آسيا وافريقيا ... كل هذا الانتاج يؤكد لنا ان عصرنا ادبيا قد دخل في مرحلة التبلور يمكن ان نسميه : « ادب الثورة الانسانية على الاستعمار ».



ذكريات مجد

للشاعر الأستاذ: محمد الحلوي

شاعر العيد والهوى ما الذي اعددت للعلم والهدى من معاني ؟

حطم الكاس واكسر الناي لا يأسرك سحر الطلى وسحر المثاني

وانتفض كالهزار بلله القطر فغنى فى الروض كالهيمان

غن فى (عيد درة الغرب) لحنا عبقريا معطر الألحان

يغمر الخافقين طيبا وينساب رفيقا فى مسمع الازمان

هو عيد بمجد الشعر فيه مشعلا من مشاعل العرفان

رفعته انثى تشرف حواء ويزهو بها بنو الانسان

باركته يد السماء فشادته بعزم يفور بالايمان

واقامته معبدا ورباطا وارف الظل فارع الاغصان

فجرت ارضه منابع تجري دافقات كذائب العقيان

فبدا جنة مفتحة الابواب ممنوحة القطوف الدواني

جنة الكوثرين ، للعقل فيها مرتوى مثل مرتوى الظمآن

لم يزل منذ باركه الله ضياء يشع في الاكوان

ومقاما مقدسا أصبح الحج اليه من غاليات الاماني

برزخ للجلال فيه جمال غارق فى روائع الفنان

يزار الدهر حوله وهو كالاطلس مستكبر على الحدثان

قد يشيب الزمان وهو وليد من شباب الحياة فى ريعان !

اي انثى تلك التي شيدت للدين والعلم اقدس البنيان !
رفعت فأسها تشق به الارض وفي جفنها دموع امتنان ؟
تنقل الصخر للبنا وهي تتلو في خشوع مقاطع القرآن
اي انثى تلك التي اسست لله بيتا كمسجد الرضوان
وارت للرجال كيف تشيد المجد ـ ان شاءت ـ ناعمات البنان !

*

حدثني الجيل عن مآثرك الغر وقص روائع الامجاد
حدثني عن مواكب العلم تسعى زاحفات الى سناك الهادي
تتهاوى الى رحابك كالسيل لتروي منها النفوس الصوادي
وجدت فيك بنت يعرب حصنا مشمخرا يصد عنها العوادي
ورات في رحابك الفيح ما لم تره في حلقات بغداد !
يوم لا موئلا تلوذ به الضاد ولا حافظا لمجد البلاد
يوم ان كنت معقلا لانطلاق الشعب يهتز من رصاص الاعادي
تحضن الشعب وهو كالموج ، يغلي حقده من حماية الاوغاد
وحراب الدخيل تحوك تومي زاحفات الى مقر الجهاد
كم اريقت من الدماء على بابك يا مذبح الفداء الصادي
كنت نورا ، فكيف صرت على الغاصب نارا يا ملتقى الاضداد ؟ !
ذاق منك المرائر السود احقابا والبسته ثياب الحداد !
ان تكوني قد حاربتك فرنسا وتجرعت ظلمها في عناد
وتخلفت في الطريق عن الركب لفرط العناء والاجهاد
فاطمئني فقد اظلك عهد ذهبي ممطر الابراد
قد طردنا الدخيل وهو مهين وتولى الاحرار حكم البلاد
سوف يبنون ما اضاعت فرنسا واضاعت عناصر الافساد
ذكرى من نسوك انك ام برة رغم جفوة الاولاد

*

اترى ينكرون فضلك وهو الشمس ؟ او ينكرون ذاك البلاء ؟
اتراهم يعمون عنك وقد فتحت منهم بصائر عمياء ؟
ورفعت العقال عن السن خرس ولولاك لم تزل خرساء ؟
وهديت المختار منهم الى الله وقد كان ناقة عشواء !

لا تهوني اذا الزمان تحداك بشر ونازعيه البقاء
لا تخافي ان يستحيل ثناء القوم او عطفهم عليك رثاء
ان في عهدك المجيد وفي الحاضر عزا يهزنا خيلاء

*

عيدك اليوم للعروبة والضاد وللمومنين اكبر عيد
عيدك اليوم فاصل بين عهد مكفهر وبين فجر وليد
قصة العلم والبطولة في شعب عريق في العلم ، شهم مجيد
نظمتها يد الحياة عقودا ثم حلت بهن اكرم جيد
لو تغنى الزمان يوما لكانت في ركاب الزمان احلى نشيد
حوم الشعر في سمائك نشوان رخيم الانغام والتغريد
قابسا من سناك اقدس لحن انت طغراؤه وبيت القصيد
فاسلمي للاسلام حصنا ، وللضاد ملاذا ، وابقى لعمر مديد

على المومن ان يؤدي حق ربه ، وحق نفسه ، وحق اهله

روى البخاري قول سلمان لابي الدرداء ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولاهلك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم « صدق سلمان »

يا ابن شعبي

للشاعر الجزائري :
صالح أبي عبد الله

حي في « الاطلس » الاشم رجالا   بهم صال في الكفاح وجالا

صنعتهم يد الظلوم ، وقدما   صنع الظلم قادة أبطالا

ثورة في الظلام اعلنها الشعب   فباتت بها الليالي حبالى

ومواليدها مواقف احرار تفا   نوا بسالة ونضالا

بايعت صاحب البلاد وعقت   اجنبيا أقام داء عضالا

تصبغ الفجر كل مطلع فجر   بدم في الفلا اريق وسالا

مقلة الافق كلما انتبه الافق   تلقت من البرود اكتحالا

كم معم ومخول افقدته   سطوة المعتدين عما وخالا

ودع البيت قائما وابا شيخا   واما دموعها تتلالا

وجد البيت حين عاد يواسي   والديه ـ عليهما اطلالا

اين امي ؟ ابي ! اجبني الهي   اي صوت يجيب هذا السؤالا

فاجابت جبال « اطلس » عنه   برصاص يحطم الانذالا

وستبقى تجيب حتى تراها   في اعتزاز سهولها والتلالا

ذبذبت ساسة الفرنسيين حتى   ورثوا نوبة بها وخبالا

سيق هذا الى السجون ، وذاك   اغتيل غدرا بها وذاك استقالا

وبنفط الفلاة جنوا فهلا   جرعوا سمه فينووا ارتحالا

فانابيبه افاع ترامت   ويح من غره السراب فمالا

فالافاعي تمج ان مسها الذل   لعابا يقطع الاوصالا

واقاموا الحدود بين بلاد   وقلوب توحدت آمالا

او تخشى الاسلاك كهربها النور   لتقصى عن (الجزائر) آلا

وعروق الاباة اسلاك نار   كهربتها حمية لن تنالا

كان قطرا على الخريطة ميتا   فتجلى دما بها يتلالا

ذرة كان في الفضا وهباء ... فارتمى فوق وجنة المجد خالا

وترامى يتيمة في نحور الصحف ... ميزت نفاسة وجمالا

وسوار بمعصم الشرق امسى ... وبرجل الطغاة امسى عقالا

اي طرس بحسنه ما تحلى ... وكتاب ما صاغ منه مقالا

وعلى الالسن الجزائر ، كانت ... عثرة في بيانها لن تقالا

ثم امست فصاحة وبيانا ... وجرت في الشفاه ماء زلالا

ساجلت صاحب القصيد ففنى ... وتملى بها الخطيب فقالا

يا ابن شعبي .. يد الينا ترامت ... تقتدينا شجاعة ونوالا

حيها يا فتى الجزائر بالباس ... وحيي الجميل منها نضالا

(نيل مصر) لو استطاع لجاب البيد ... شوقا اليك يغزو الرمالا

علـه بالنمير يطفي غليلا ... في يتامى ورضع وثكالى

و (حليبا) ينساب في فم طفل ... حرم الثدي فاستمات هزالا

برعم القطن كم يحن لتضميد ... جروح تشكت الاغلالا

و « ابو الهول » لو يطيق حراكا ... كان هولا على العدا ووبالا

ان يكن جاثما فما جثمت مصر ... وقد عززتك روحا ومالا

أطلس « المغرب » الابي لو ارتد ... خداعا فحاد عنك ومالا

يا ابن شعبي .. وجدت أطلس (خوفو) ... مستطيرا اليك يبغي انتقالا

(بردى) كم يحن ان لو تراه ... احمرا من دما عدوك سالا

سال شهدا على شفاهك يا شعبي ... وصابا على الطغاة استحالا

وخرير (الفرات) رجع حنين ... ليتيم بكى ابا مقتالا

كم تمنت ثلوج (لبنان) لو تخضب ... من جرحك الزكي قذالا

وعلى « الكعبة » الحرام دعاء ... يا ابن شعبي بنصرنا قد تعالى

وهتافات انفس طاهرات ... يا ابن شعبي بنصرنا تتوالى

انت قلب (مراكش) و « الخضرا » ... ضلوع ترد عنك النصالا

واستعن (ليبيا) تجبك بشعب ... قطع العهد في فداك وآلى

هذه يا جزائري وثبة الاحرار ... تطوي لنصرك الاميالا

وتخطي اخا هنا عربيا ... تجدي الكون اقرباء وآلا

تجدي آسيا تمد وافريقيا بعون ... منحت فيه اكتمالا

يوم نصر كأنه فلك الصبح ولو ... ظنه الدخيل خيالا

انت عذراء انجبت خير جيل ... خاض حربا فكان فيه مثالا

وصـديق الجميـع انـت ببـاس	يهـز القلـب منهـم فـاستمـالا
بنـت حـواء فى هـواك تفانـت	ليتها فى هواك حازت مجـالا
وتفانت على (جميلـة) عطفـا	وهـي تشكو من الطغاة نكـالا
يا ابـن شعبي ، اليك مني قصيدا	يـورث العزم حدة وصقـالا
ان طـربنـا فنشـوة برصـاص	رن فى مسمع الظلام (مـوالا)
ان بسمنـا فـللفـد المترجـى	بسمـة فى القلـوب تبعث فـالا
واصل الحرب يا ابن شعبي بعشـق	لـذة العشق ان يكـون وصـالا
قـد سالنا الاله عونا فكان العـون	عـزمـا يقلقـل الاجيـال
وسـالنـا فى الحـروب نصيـرا	فمشـى نحونـا الوجـود امتثـالا
لو تخلى الوجود عنا حمانـا اللـه	منـه بقـوة لـن تنـالا

فـي الترمذي عن معاذ بن جبل قال : كنت مع رسـول الله (ص) فى سفـر فاصبحت يوما قريبا منه وانا اسير فقال : الا ادلك على أبواب الخير ، الصوم جنـة والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل شعـار الصالحيـن . ثم تـلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجـع يدعـون ربهم خوفا وطمعـا ومـمـا رزقنـاهـم ينفقـون .

من وحي الرسالة المحمدية الخالدة :



للشاعر المدني الحمراوي

تبارك من اضفى مواهبه الغرا ... على الارض لما ارسل الرحمة الكبرى
فاورق غصن الحق بعد ذبوله ... بمبعث من احيى العدالة والخيرا
بمبعثه الاسمى طوى الله ليلة ... واطلع من اسرار حكمته الفجرا
فكان على الدنيا سلاما ورحمة ... ونورا وامنا جاء فى موكب البشرى
وتم به للناس هدى فاسرعوا ... الى قبس التوحيد واستقبحوا الكفرا
فقام بامر الله دين محمد ... يخط لهذا الكون تاريخه الحرا
رسالته الغراء خير تحية ... الى عصبة الاحرار شدت لهم ازرا

❋

نبي الهدى مالي بمدحك طاقة ... ولكنني ارجو قبولك والسترا
اذا خلصت من سر قلبي محبة ... فليس على جسمي ان يعبر البحرا
وما مدحك الميمون الا وسيلة ... يصيب بها ذو الحب عاقبة الاخرى
لقد رامت الدنيا مديحك فانثنت ... وقد قطع التقصير من قولها الظهرا
وكيف يروم المرء ما لا يطيقه ... وتسهل الحمياء ان تحكي الدرا ؟
اذا حبر الرحمن مدحك جامعا ... فما لجهود الخلق ان تبلغ القمرا
وعذر بني الانسان حب وانهم ... حسوا من رحيق الحب ما يفضح الخمرا
وانك رائد الانام ونورهم ... ونجم الهدى اضاء فى افق الغبرا

❋

هتفت بصوت الحق والجور راسخ ... وجئت بشرع الله لا تبتغي الاجرا
تلوت حكيم « الذكر » فى العرب داعيا ... الى السمحة الغراء والثورة الكبرى
فكان لحزب الشرك سخط وضجة ... يخاف على اصنامه الهون والكسرا
ولكنك الهادي الامين فلم تلن ... وقد اعلن الاشراك جملته النكرا

فصابرت واستسهلت كل كريهة   واعلنت ان الحق لا يرهب القهرا
وان بني الانسان فى الحق اخوة   فليس يفوق البيض سودا ولا حمرا
وليس لغير الله جاه وسطوة   وحسب الورى ان ينشدوا الحق والخيرا
وكل امرىء ياتي الحياة محررا   وان ضلت الاقوام فاستعبدوا الحرا
وناديت ان الفقر ليس جريمة   وان على المثرين ان يصلحوا الفقرا

❋

وليس بغير العقل والعلم عبرة   وان زور الاقوام من طمع نكرا
ازحت عن النسوان هضما وذلة   فصرن عيونا ترسل الرفق والطهرا
وقد كن – للاجرام – دهرا – ضحية   فاصبحن فى عز وفى نعم تترى
مددت الى الاقوام كف مسالم   ولكن حزب الشرك قد آثروا الشرا
وما جئت هذا الكون الا مسالما   تسوق اليه الطهر والنبل والخيرا
فآمن قوم ان بعثك نعمة   فقالوا : اطعنا الله وامتثلوا الامرا
وذادوا عن الاسلام كل مراوغ   فكانوا لجند الحق قدوته الكبرى
وقد بذلوا لله مالا ومهجة   ولم يسلموا المختار فى الوقعة الحرى
فدوك بما لا يفتدي المرء نفسه   به فى سبيل الحق واستسهلوا الوعرا
اولئك اهل الحق من خير امة   اولئك جند الله اعظم بهم قدرا
اولئك من والوك فى وقت شدة   اولئك من آووك فى طيبة الزهرا
وهم صحبك الاخيار والعصبة التي   اتاحت لدين الله ان يحرز النصرا
فكسرت الاصنام فى كل بقعة   وحطمت الاغلال واجتاحت الكفرا
اذا ما مشوا تحت اللواء تهللت   وجوههم البيضاء والتمعت بشرا
سراعا الى الرحمن دون تريث   قلوبهمو تهوى الشهادة والاخرى
اولئك احباب النبي محمد   مهاجرهم والناصرون حووا فخرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم   يلقننا صبرا وينفحنا عطرا
فيالهمو للدين والحق والهدى   وقد صير التبديل معروفها نكرا
وغير جيش الملحدين منارها   وبدل يسر الله من شرعه عسرا
وقالوا : حدود الله اصر وغلظة   واهواؤهم اهدى ونحلتهم احرى
وقالوا : لسان العرب فيه ركاكة   تقصر عن تبليغ ما يملأ الصدرا
وان لسان العجم ابين منطقا   واسلوبه اجلى وتبيانه ادرى
وقد كشفوا النسوان حتى تمايلت   على الطرق من ابدت لنا الظهر والنحرا
وصالت بحسن قد تجرد باديا   نرى الجيد والاعضاد والسوق والشعرا

ولم يستر الافخاذ غير غلائل   رقاق تحد الشيء او تفضح السرا
فياضيعة الاسلام بعد كماله   وقد اخمد الاعداء ما كان قد اورى
وسرهمو ان ينكر الدين اهله   وان يطرحوا القرآن والسنة الغرا

❊

فيا سيد الارسال هذه حالنا   تضرم في الاحشاء من وقعها جمرا
فسل خالق الاكوان تفريج كربنا   وكن شافعا يا خير من يجبر الكسرا
فانت حبيب الله صفوة خلقه   وانت على الرحمن اكرمهم طرا
وانت امان الله نور جماله   وانت سراج الكون والرحمة الكبرى
وانت الذي اوتيت كل كرامة   وكل كمال جاوز الحد والحصرا
وانت من الرحمن قبضة نوره   وسيد اهل الارض والقبة الخضرا
ومعدن اسرار الحقيقة والهدى   وبحر هبات الله اعظم به بحرا
ومنفجر العرفان والعلم والتقى   ومنبجس الاحسان عم الدرى برا
ومنبلج الاشراق عم ضياءه   وطبق هذا الكون بحره والبرا
ودائرة الاخلاق والبرزخ الذي   اليه انتهت آمال من ينشد الطهرا
وحامل بند الحمد في كل موطن   ومعقد آمال الورى ان اتوا حشرا

❊

خرقت الطباق السبع نورا مجسما   فاشرقت الافلاك في ليلة الاسرا
وعطرت ذاك الكون والارض كلها   ونلت الذي تبغي فتمت لك البشرى
تشرفت بالتقريب من حضرة الرضى   وخضت بحار النور تستمع الامرا
تلقيت من رب الجلال بلاغه   فجئت به تتلوه في خلقه ذكرا
كتاب من الرحمن فصل حكمه   عهودا من الرحمن لا تقبل البترا
تضمن للانسان خير هداية   فمن حاد عن هدى الكتاب يجد عسرا
شريعته يسر ونور وحكمة   فلا حرج يعلي نفوس الورى قسرا
شفاء لامراض القلوب وعصمة   وسيف صقيل يحسم الشر والجورا
بآياته جاء الامين محمد   فداوى به الارواح واستنهض الصحرا
فوحد اهواء الجزيرة وانبرى   يسددها بالوحي حتى استوت قطرا
توحد بالايمان والعدل اهله   فسادوا وشادوا العز وامتلكوا الفخرا
بنوا دولة القرآن والعرب حسرة   موطدة فوق السماكين والشعرى
اشاعت على الغبراء هدي محمد   فلا فدفدا ابقت ولا اغفلت بحرا

بها ادرك التمدين شأوكما لـــه ... واثبت سيل العلم فى الانفس الزهرا
فاشرقت الدنيا بعـدل وحكمــة ... وفاض معين العيش مـترسلا ثـرا
ورنت مثاني الفـن فى عرصاتهـا ... وابدع عقل العرب ما ادهش الفكرا
مآثر مـن غـرس النبي محمــد ... ومعجزة عصماء احيى بها القفـرا
فشيد صرحا للعروبـة خالــدا ... على اسس القرآن يصطحب الدهرا
ولولا رسول اللـه جـاء بحكمــة ... من الله للانـسان ما احكم الامـرا
ولا كان ذاك المجد للعـرب بغتــة ... ولا اسرعوا فى مهيع العزة السيـرا
وكيف وهـم اوزاع كـل ضلالــة ... وجهل وتبديل يحملهم اصـرا
فتلـك لعمـر اللـه منة احمــد ... ونعمة رب العرش تستوجب الشكرا
واعجوبة القـرآن فى هدى امــة ... توزعها التفريق فانخذلت عصـرا
فيا امة الاسلام عـودي رشيــدة ... الى شرعة القرآن تسترجعي الفخرا
وحيدي عن الاهواء فهي ضلالــة ... وبلبلة توحي الهزائـم والفكـرا
ووحـي الـه العالميـن مؤيــد ... بعصمته من سار فى ظلـه فـورا
وما لمريد الهدى من غيـر نـوره ... نجاح وان غطت حجا فله البحـرا

❋

فجـازى الـه العاليـن حبيبــه ... فقد نال اهل الارض من هديه ذخرا
وبلـغ ديـن اللـه غير مقصــر ... فمد بـه ظـلا وحـط بـه وزرا
وقوض صرح الشرك فى خير بقعـة ... وشيد للاخلاق هيكلها النضـرا
فطاب رسول الله روحا وهيكـلا ... ومن طيبه مسك الورى اخذ العطـرا

❋

تحيـر فكـري فى مديـح محمــد ... فلم يحص من معناه شفعا ولا وتـرا
وكل لسان الشعر فيه فلم يجــد ... من النفس المأمول بيتا ولا شطـرا
ولكـن جهـد الخلـق دون كمالــه ... وفى القلب ما يستنفد الشعر والنثرا
وما مدحـه الا رحيـق مختــم ... يبدد شجوا فى الفؤاد قد استشرى
ويغمر ارواح المحبين نشــوة ... واعماقهم نـورا وانفسهـم طهـرا
ويستوجب الالطاف والفتح والرضى ... من الحضرة العليا ويستوجب البشرى
مديحك يا نور الوجـود سعــادة ... فطوبى لمن فى مدحكم قطع العمـرا
فيا مصطفى الرحمن من خير خلقـه ... اليك اسوق المدح من مقولي شعـرا
تقبل ثنائـي وهـو نزر مقصــر ... فكل مديح فيك لا يبلـغ القـدرا

كفى ان قلبي بالمحبة عامر ... وان بحور الشعر لا تطفىء الجمرا
فانعش زهور الشوق منك بنظرة ... تروح قلبا لم يجد عنكمو صبرا
وتعصمني من كل زيغ ومحنة ... وتملأ صدري من حقيقتكم خبرا
وتكلأني من كل داء وذلة ... وهول عصيب الروع يستوعب الحشرا
وتنهلني كأسا من الحوض حلوة ... دهاقا فلا اشكو أواما ولا حسرا
وتشفع لي فى موقف الفصل ان دعا ... حساب فلا القى نقاشا ولا عسرا
فيا احمد المحمود فى كل موطن ... تدارك محبا مد يمناه واليسرى
وحل يا رسول الله بين شؤونه ... وبين الذي يبغي بها الكيد والمكرا
ويارب بالمختار ثبت عقيدتي ... واكرم لقائي ان حللت غدا قبرا
ولا تخزني يا رب فى اي موقف ... وجاوز عن المحجوج واقبل له عذرا
وحطني من الارزاء وانشر سكينة ... علي وهب لي العون والحفظ والسترا
ووفق الى الاصلاح امة احمد ... وصن حومة الاسلام واكتب له النصرا
وصل على قطب السلام محمد ... صلاة تفوق الكيف والكم والحصرا
وآله والاصحاب والعترة التي ... رفعت لها فى « ذكرك » المجتبى ذكرا
ووال عليهم من سلامك نفحة ... الهية الانفاس تستنفد الدهرا
وقدس مدى الآباد فى الخلد رفعة ... سنا بضعة المختار فاطمة الزهرا

فـي الترمذي عن ابى هريرة عن النبي (ص) قال : السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل .



للأستاذ
أحمد سعيد النازي

فوق الذرى عبر التلال الزاهيه ... وعلى ترى تلك الروابى العاليه

فى بسمة الافق البعيد الحالم ... وعلى اديم سما الوجود الصافيه

فى يقظة الالهام فى شط الهوى ... حيث الملائك والبلابل شاديه

فى جنة بين الظلال الراقصا ... ت على الجداول والمياه الجاريه

فى دوحة الامل الوليد المنتقى ... حيث المسرة والمباهج باديه

فى مهبط الانغام فى روض الوجو ... د من الهضاب الشامخات الراقيه

فى موجة الطود الممدد فى الفضا ... فى منتهى دنيا الخيال النائيه

فى حمرة الشفق الجميل المرتدى ... ثوب الغزالة والورود القانيه

فى روضة الفردوس عبر تموج الـ ... ـافراح فى مرآى الجنان الزاهيه

فى ملتقى ربا الزهور المائدا ... ت وبين موجات الغصون الدانيه

ولد الجمال فمرحبا بنهاره ... بضيائه بشموسه المتواليه

بوداعة له صفقت ايدى المنى ... وشدت برنات الفؤاد الرايه

يسنى ويلمع فى الورى كاهلة ... سكرى تضيء سما الليالى الداجيه

يخطو فيترك فى الانام رواية ... لاتنمحى ابد الدهور الماضيه

يبدو على خد السنين كطائر ... يشدو ويكتب فى القلوب معانيه

يتلو على سمع الزمان رسالة ... والاذن ما بين الاحبة صاغيه

يمضى برونقه الوسيم بلحظه الـ ... ـساحر الذى ملك النفوس الساجيه

متنقلا مثل الفراشة سحره ... يجرى ويلفظ فى الجنان اغانيه

ومتى اصيب بسهمه يوما غدا ... ياسى ويرسل فى الخدود سواقيه

محراب هاتيك النفوس وقبلة ... لذوى الصبابة والجراح الداميه

لولاه ما نشد الغريب ولا قفا ... اثر المحبة فى الاراضى الخاليه

لولاه ما بزغ الحنان ولا سرى ... ضوء المودة فى القلوب القاسيه

لولاه ما برع الاديب ولا شدا   ولما تالقت العقول الواعيه

لولاه ما عرف الضياء من الدجى   ولما بنى حب عليه أمانيه

حتام والانسان يعبد لحنه   وفنونه وزهوره المتباهيه

ويرتل الانغام فى الجو الوضيـ   ـىء مرددا شعر الطيور الناغيه

يصغى لاغنية الحياة لرقصة الـ   ـحب المفرد فى الصدور الذاويه

ولنغمة الاوتار حين تراقصت   امواجها بين النجود الراسيه

يا آية الخلد الموشح بالهوى   وبنور بسمة فجره المترائيه

انثر على صبح الوجود لآلئا   وابعث مفاتن فوره المتعاليه

ابل المتيم واستمع لندائه   حتى يحقق فى الحياة مساعيه

افرغ كؤوس مرارة العيش السحيـ   ـق من الصدور من الجفون الباكيه

واكتب على لوح القلوب حكاية   نمضى وتبقى مدى العصور الآتيه

وانفخ بروحك فى العرائس نغمة   تحيى هوى تلك الامانى الغاليه

ايقظ بمنطقك الجميل بروحك النـ   ـشوى الزهور الذاويات الفانيه

اطفىء حرارة انفس ولهيبها   وادفن مدامع حبها المتراميه

سكن شظا يا منى الحياة وشعلة الـ   ـحب المصفق كالرعود الداويه

فى القلب فى الانفاس فى مهج الصدو   ر الباكيات النادبات الناديه

واضمد كلوم صدى القلوب النائحا   ت من الاسى ومن الشجون الضاريه

وابسط رداءك للذى ظل يبتغى   روض الرؤى وطيوره المتناجيه

الى الشباب القوي

للشاعر: المدني الحمراوي

يا شباب البلاد مهلا فاني   قد رايت الشباب في استهتار

لا ارى نجحكم اذا لم تصونوا   شر فالنفس من فسوق وعار

قد راينا جموعكم تتهاوى   في حياض الخنى بدون اصطبار

فاستطابت من الهوى كل لون   يتنافى مع الحيا والوقار

واستحلت من الفجور صنوفا   حرمتها « شرائع » الكفار

كم راينا على الطريق شبابا   قتل العرض جهرة في نهار

فاذا ليم قال: حرا اراني   اين فحش من عفة الاحرار ؟

انما الحر من يصون عفافا   ويجافي مخازي الفجار

انما الحر من تحرر ـ حقا ـ   قلبه من قبائح الاوزار

فاعد ايها الشباب صوابا   كاد يفني في غمرة التيار

وتعلم من الحياة دروسا   تنذر المرء ان لها باندحار

انما هذه الحياة صراع   لا يرى الفوز فيه غير الخيار

※

ويح من غره الشباب فامسى   يتلف العمر بين حان و « بار »

يرشف « السم » من شفاه مراض   ويضيع الرشاد حول القمار

فاذا ادبر الشباب توالى   غمه بين علة وافتقار

※

يا شباب البلاد مهلا فهذي   ادمع « القطر » كالسيول الغزار

قد بكى اذ راى الشباب طريحا   تحت اقدام منكرات كبار

يتلهى عن المعالي بلهو   لم يزل في قيوده والاسار

يحسب العيش شهوة وانطلاقا   وهو بالجد واجتناب الشنار

فاذا ما دعاه فرض توانى   ثم ولاه جانب الادبار

يـا شبـاب البـلاد هـذا زمـان لا يعيـر الغـواة اي اعتبـار

بـش النـاس كـل ارض وطـاروا ثـم غاصـوا في مظلمـات البحـار

وتقصـوا عجائـب الفكـر حتـى صـار كالشمـس مبهـم الاسـرار

وتحـدوا طبيعـة الكـون حتـى سخـروهـا بثاقـب الافكـار

ادركـوا بالعلـوم والجـد مجـدا دونـه كـل رفعـة وفخـار



هكـذا ايهـا الشبـاب فكونـوا مثـل شبـان ناهـض الاقطـار

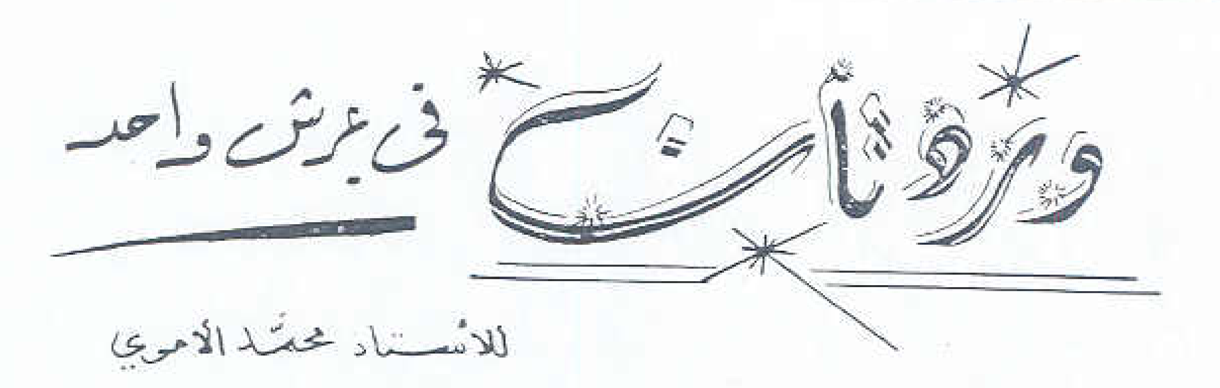
وارفعـوا شـان قطركـم بالمعالـي انـه في تحـرق وانتظـار

انمـا تنهض الشعـوب وتسمـو بمـزايـا شبـانهـا الابـرار

عمـر بـن عبـد العـزيـز يعـظ

كـان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول في خطبته : ايها الناس انكم لـم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه ، للحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التـى عرضها السماوات والارض وانما يكون الأمان غـدا لمن خـاف الله تعالـى واتقـى وبـاع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، الا ترون انكم في أصلاب الهالكيـن وسيخلفكم الباقون ، الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقطع املـه فتضعونه في بطن صدع مـن الارض غيـر موسد ولا ممهد قـد خلـع الاسبـاب وفـارق الاحبـاب وواجـه الحسـاب .

قصة العدد



للاستاذ محمد الاموي

يا الهي انها الخناجر تمعن في تمزيق
اعدي ، ساعدني على الاضطجاع قليلا ، فقد مللت
جلوس . . آه ، بارك الله فيك . . انك لا تتصور
دار فرحي عندما ياتي دورك في الحراسة الليلة ،
لك تقضي معي شطرا من الليل تخفف عني باحاديثك
طيفة ، اما المرض الآخر فلا تفتر شفتاه عن
سامة ، وليلته اعدها بالعشرات تطول وتتثاقل ،
ان الثانية ساعة ، ابيت اجتر آلامي مرات ومرات ،
تدحرج بين الام الجسم وعذاب الروح والقلب ،
نات المعطوبين مثلي تبيت الليل كله تخترق سمعي
شمثل لي المأساة من جديد .

— تابع قصتك ، فحكاية مكنونات الصدور تخفف
ض العبء ، وانت كمعلم لا شك انك علمت ذلك في
م النفس .

— نعم اعرفه ، ولا اخال الامر صحيحا
نسبة لي .

— لا تقل هذا فينا يكمن الداء ، لان شقاء
نسان يتضاعف عندما يخال انه اكبر الاشقياء تابع
ستك ، واذكر دائما انك اسعد من كثيرين .

— آه . . بل سترى اني لست مجازفا . . ماذا
ت اقول ؟

— ذكرت انها لم تجبك عن رسالة البشرى
طيتها في العطلة القريبة المقبلة .

— نعم لم تجبني عزيزة عن رسالة البشرى
درت انها ضاعت بالبريد ، فارسلت اليها رسالة
رى بالبريد المضمون ، ومر اسبوع ولا جواب ،
وترت واتهمتها بالخيانة ، وتخيلتها مرتمية بين احضان
غيري من ذوي الحطام او الجاه ، قد يكون قائدا
ممتازا او ضابطا للشرطة او الجيش ففتياتنا اصبحن
يهمن بذوي السيارات المجنحة الفخمة والبدلات
الرسمية . ومر اسبوع آخر وفي نهايته جاء الجواب ،
لكنه كان هذه المرة بخط غريب عني ان الغلاف يحمل
طابع بريد مكناس ، وفضضته رفقا باعصابي ، وبنفس
الخط الغريب قرات ما اذهلني واشاع الحزن والخيبة
في نفسي . . . انها الرسالة التي احفظها عن ظهر
قلب .

عزيزي حسين :

لن اكون لك بعد اليوم ، فابحث عن فتاة غيري
تستطيع اسعادك اما انا فلم اعد لك ولم يعد بوسعي
ان اسعدك لانني اصبحت لغيرك ، نعم لغيرك ، نعم
لغيرك يا حسين ، وليس لي اختيار في ذلك ، واقسم
لك باغلظ الايمان على انني مرغمة يا حسين ، لقد
اصبحت لغيرك ، وغيرك هذا اصبح جزءا من كياني
لاينفصل عني طرفة عين ، انه الجسم والروح والقلب
انه يستمتع به كما يشاء وانا المسكينة لا املك ان
اعترض ، وكل رجائي ان تملك اعصابك وتتحمل
الصدمة في شجاعة فانتم الرجال تمتازون علينا برباطة
الجاش كما تزعمون ، ورجائي ان تذكر شيئا واحدا
هو انني لا ازال احبك بالرغم من كل ما حدث ، ومع
ذلك لا املك ان اتزوجك ، لاتذهب بك الظنون بعيدا
فمائلتي لا يد لها في الامر وعندما ترجع الى مكناس
في العطلة التي لن يتاتى لك ان تخطبني فيها ستعرف
كل شيء وارجو لك كل ازدهار وسعادة .

تلك رسالتها لم اذهل عن حرف واحد منها ، فلقد قراتها عشرات المرات . ولن استطيع ان اصور لك وقع الصدمة في نفسي ، لقد كانت عنيفة افقدتني الرشد ، وجعلت مني ذلك المحزون الذي فقد ثقته بكل شيء ، وتحرك في نفسي ذلك المارد الذي لايعرف طريقه الى الخير . انتقم لشرفك . . لرجولتك . . لكبريائك التي مرغتها في التراب . . وكتبت اليها يدفعني المارد الخفي : « انتظري الجزاء ايتها الخائنة اللعوب . . سوف اخنقك وانت بين احضانه . . سوف اخنقكما معا واشرب نخب الانتقام لشرفي الجريح » .

— آه ساعدني على الجلوس مرة اخرى . . الله . . الله . . لقد قدر علي ان انتشل من بين الانقاض لاعاني كل هذا العذاب ، لماذا لم اكن بين الذين استراحوا الى الابد ؟ استراحوا من عبث الحياة ، الا تومن معي بان الحياة عبث ، واننا في هذا العبث تافهون نفايات . . آه ليتني ما حييت .

— دعني اساعدك على الجلوس . . سوف تكون هكذا افضل . . انها الجراح تلتئم وسوف تغادر المستشفى في اتم صحة ، وسوف يحتفي بك الربيع وتستقبلك الخطاطيف . . فاستعد يا صاحبي لتملأ رئتيك من هواء الربيع ولتستنشق اريج الازاهير . . ان الحياة جميلة ، ويجب الا نقلق اذا ماعاكستنا ذات يوم علينا ان نقبلها على علاتها وحينئذ سندرك اننا سعداء .

— ذكرتني بخطاطيف « ارسطيس » لقد كنت اؤمن بذلك في زمن مضى . . لا علينا ناولني سيجارة وسأتم لك قصتي . . وحلت العطلة فعدت من اكادير الى مسقط راسي بمكناس لانتقم ، وهناك عرفت كل شيء ، وادركت حقيقة مرة ، ادركت انني لن يكون بوسعي ان اخنقها وصاحبها . . ادركت انني عاجز عن ذلك وانني مشفق عليها وان كنت خانقا على صاحبها . . وتحدثتني عندما زرتها بالمستشفى ، فقالت : اراك لم تقدم بعد على تنفيذ تهديدك ، فانت لم تخنقني بعد الا تراه يضاجعني ؟ ماذا تنتظر لتخنقه وقد صممت العزم على ذلك من قبل ؟ ارايت انك لا تستطيع ، لقد عجز جميع نطاسيي الدنيا عن خنقه وانتشالي من بين احضانه . . ها انت ترى انامل متقلصة . . متشنجة . . انك امام عزيزة الكسيحة احدى ضحايا الداء الذي اخترعناه بانفسنا وعجزنا وعجز معنا اطباء الارض عن علاجه . . هكذا انا كما ترى ضجيعة الحزن وقد امتلك مني كل شيء ، وانتزع منك كل شيء ، ومع ذلك اريد منك ان تسعد ، وسوف اسعد بسعادتك .

— اذا فانت تجردينني من كل عاطفة انسانية فضلا عن حبي اياك . . تصمينني بالانانية والنرجسية.

— اننا نغالط انفسنا عند ما ننكر ان فينا شيئا — قل او كثر — من الانانية والنرجسية ، ان احدنا عند ما يحب انما يرضي انانيته ونرجسيته ، لماذا ثرت اذن عند ما كتبت اليك بانني بين احضان غيرك وقررت ان تخنقني وضجيعي ؟ اليس ذلك انني طعنت انانيتك ونرجسيتك ؟ . . لقد ذوى عودي وانا في العنفوان ، فلم اعد عزيزة الجميلة التي فتنك جمالها ذات يوم ، ولا تلك الرشيقة التي كانت تستطيع ان تجاريك في خطواتك السريعة عندما تؤذن صفارة حارس الحديقة باغلاق الابواب وتخف لتلقي بعض الدروس المسائية ، ولا عزيزة التي قطفت بانامليها ذات مساء وردتين في عرش واحد ، ولا تلك التي كان يحلو لها ان تمر بانامليها على شعرك الاملس الفاحم انها لن تقوى على فعل كل ذلك الآن . . لان تلك الانامل . . تقلصت . . تشنجت . . عقدتها انامل الغش والتزييف . . وقيل عنا مزيفون غشاشون . . نهمون . . واصبحنا ميدانا لتجربة العبقرية الاوربية وقد اكتشفنا لها ميدانا للتجربة . .

— ثقي ياعزيزة انني ساكون ذلك المخلص الذي لاتغيره الايام . . سابقى وفيا لحبك رغم كل ماحدث.

قلت لها ذلك وانا اودعها عند ما اعلنت احدى الممرضات انتهاء وقت الزيارة ، هكذا انهارت آمالي العذبة . . واصبحت انسانا بلا امل . . وحينئذ فقط آمنت بعبث الحياة وقسوتها . . انها مدمرة . . صاعقة تسحق كل من تجد في طريقها ، انها لاترحم ؛ وليتنا جميعا ادركنا هذه الحقيقة لكي نوفر على بعضنا المآسي التي يسببها فريق منا للبعض الآخر ، ولكننا نعينها علينا ، فهي تدمر من جهة ونحن ندمر من جهات وفي كلتا الحالتين نحن الضحايا اليس كذلك يا عباس ؟ .

ـ هذا صحيح ومع ذلك فتغيير الحياة مستحيل قد يستطيع الانسان ان يخفف عنه من اعبائها ، ولكنه لن يقوى ابدا على تركها بدون مصاعب ، اما نحن فيسعنا ان نغير انفسنا ، ان نوفر عليها كيد بعضنا للبعض الآخر . علينا فقط ان يمارس احدنا حريته في نطاقها المحدود وسوف تنتهي المشكلة عندما تدرك هذه الحقيقة ، وتصير عادة راسخة فينا ، وطالما لم ننضج الى هذا الحد فسوف لايجدي الجزاء ، ستحكم المحكمة على بعض مخترعي الداء ـ بتعبير عزيزة ـ بالاعدام وآخرين بالاشغال الشاقة ، فهل تعتقد ان هذه الاحكام ـ ان وقع تنفيذها ـ ستضع حدا للمشكلة . . مشكلة الحاق الاذى بالآخرين ؟ انني اشك في ذلك كثيرا ، لاننا هنا لم نستطع بعد ان نربي انفسنا على ممارستنا حرياتنا في نطاقها المحدود .

ابنتي زينب ، ولدي سعيد ، اريد ان اراهما . . دعوني ابحث عنهما ولامت بعد ذلك .

ـ اطمئن بالا ، سوف تراهما ، وسيزورانك صحبة امهما ، لاتتحرك من مكانك ، ان ذلك يؤذيك كثيرا ، خذ هذه القرص وتم لتستريح .

ـ هو هكذا لايكاد يفيق من غشيته حتى يبحث عن ابنته زينب وولده سعيد .

ـ وكذلك الآف غيره رجالا ونساء ، لقد كانت نكبة حقا وما اسعد امثالك من الذين قدر لهم البقاء .

ـ بل ما اشقاهم ، لقد استراح اولئك من عبء الحياة الى الابد ، اما نحن فيبدو اننا ندفع ثمن راحتهم ببقائنا ، خذ لك مثلا اغنياء اصبحوا فقراء واصحاء غدوا معطوبين ، وابناء مدللين صاروا بين عشية وضحاها يتامى .

ـ ومع ذلك فسوف يشقون طريقهم الى الحياة ، وسوف يسعدون بلحظات سعيدة ينسون معها انهم نكبوا ذات يوم ، كل واحد منا لاشك انه فقد اثيرا الى قلبه . فكانت الصدمة عنيفة في نفسه ، وخيل اليه ان الفرح سوف لايعرف من يومها سبيلا اليه ، ولم تمض ايام حتى الفى نفسه يضحك بملء فيه مع الضاحكين كأن شيئا لم يحدث وكان الامر على مايرام .

ـ تلك حقيقة مرة يبدو ان الدنيا في غنى عن اي واحد منا مهما يكن شأنه فيها ، فالشمس والقمر لا يغيران شيئا من نظامهما ، وكل شيء يسير كالمعتاد .

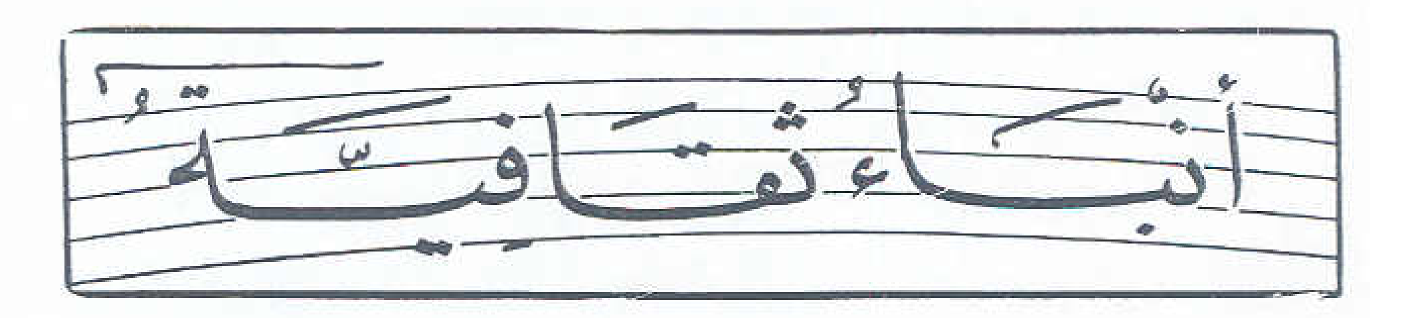
ـ وماذا يضيرنا من ذلك ؟ علينا ان نمارس حياتنا بما فيها من الوان ، فاذا انتهينا فليكن ما يكون . . . .

ـ هذا صحيح . . لكن . . ماذا كنت اريد ان اقول . . نعم ارجوك ان تكتب ما امليه عليك ، فهي لم تعلم بعد فيما اذا كنت نجوت من الزلزال .

ـ ارجو الا يكون فيما ستمليه شيء من التشاؤم ، فهي بحاجة الى ما يخفف عنها وقع الصدمة .

ـ ساحاول ذلك اكتب . . . « عزيزتي لقد وحد الحب قلبينا وها هو الألم يوحدهما مرة اخرى ، لقد وقعت ومعك عشرة الآف ضحية فقدان الامانة وطغيان الزيف ووقعت مع عدد اضخم ضحية قدر خفي ، واياً كان مصدر المنا فقد اصبحنا ومعنا غيرنا كثير في عداد المعطوبين ، فهل يخفف من المنا اننا لسنا وحدنا في النكبة ؟ وهل يقوى الأمل في نفوسنا ان يصلح الانسان ما افسد الانسان ، وان يبسم القدر بعد ان عبس ؟ انني لم افقد الأمل بعد ، وعباس الممرض الذي يسهر علينا بالليل وبخطه تقرئين هذه الرسالة يزيد من تقوية هذا الأمل في نفسي ، سنلتقي ياعزيزتي ونحن على اتم صحة ، وسنحقق املنا العذب بعد ان نكون انتصرنا على زيف الانسان وثورة الطبيعة . انا بمستشفى ابن سينا بالرباط فكاتبيني ، والى اللقاء على مشرق الأمل الباسم .

« حبيبك الدائم حسين »



* بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع لطلبة العرب في جامعة هاورد بواشنطن ، والذي انتهى من اعماله بتاريخ 3 شتنبر الماضي ، بعث صاحب الجلالة محمد الخامس رسالة الى هذا المؤتمر هذا نصها : « نحيي بمزيد الغبطة والسرور المؤتمر التاسع لمنظمة الطلبة العرب في أميركا، معتقدين أن اختياره موضوع « العالم العربي في العهد الحديث » ليكون محور مداولاته لهذه السنة لما يضفي عليه اهمية حسنة ويضاف الى ما هو جدير به من الاعتبار ، اذ ان الامة العربية جاهدة لتعزيز استقلالها وتدعيم كيانها غير مدخرة وسعا لبلوغ اقصى الغايات في حياة العزة والكرامة والسعادة » . والجدير بالذكر أن قضية موريطانيا كانت موضوع بحث هذا المؤتمر . وسيقوم الطلبة العرب ببث الدعاوة لهذه القضية في مختلف الجامعات الاميركية .

* من بين الاتفاقات التي عقدت مؤخرا بين المغرب والفيتنام اتفاقية ثقافية تنص على تبادل الاساتذة والطلبة والعلماء والفنيين بين البلدين .

* في منتصف شهر شتمبر الماضي اقيم مهرجان كبير لموسم مولاي ادريس الذي حج اليه عدد كبير من الزوار والسياح شاهدوا فيه العاب الفروسية والرقصات الشعبية لسكان القبائل المجاورة لضريح المولى ادريس .

* يعكف الاستاذ سيدي الحسن بن عبد الوهاب على مراجعة مخطوطته « المذكرة القضائية » ليقدمها للطبع وتشتمل على مذكراته أيام عمله الذي مارسه عند ما كان مفتشا للعدلية بتطوان .

* وصل الى المغرب اخيرا وفد من الاتحاد العام لطلبة ج . ع . م . وآخر من شبيبة الاتحاد السوفياتي وقد اقام الوفدان مدة طويلة في المغرب تعرفا فيها على أهم مرافق الحياة .

* في اواخر الشهر الماضي زارت المغرب شخصيات علمية ثقافية تنتمي الى جمعية « اصدقاء الشرق الاوسط » في الولايات المتحدة برئاسة الدكتور فليب حتي . وقامت بجولة عبر المدن المغربية الكبيرة . والقى الدكتور حتي محاضرة قيمة في كلية العلوم بالرباط عن « الطلبة العرب في الولايات المتحدة » .

* اصدرت دار « الكتاب اللبناني» للطباعة والنشر ببيروت الطبعة الثانية لكتاب « اللهاث الجريح » لمؤلفه محمد الصباغ .

* من المعلوم أن الدورة الاولى للجان الاقليمية التابعة لمنظمة اليونيسكو قد انعقدت بمدينة فاس سنة 1958 . وقد عقدت الدورة الثانية لهذا المؤتمر في بيروت في اواخر شهر غشت . ومثل المغرب فيها عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي .

* عقد بتاريخ 7 اكتوبر الماضي بباريس مؤتمر المنظمة العالمية للصحة . وشارك فيه باسم المغرب الدكتور احمد فرج . وكان موضوع المؤتمر « داء السل في الاقطار العربية »

* غادرت المغرب بعثة ثقافية مغربية متوجهة الى جمهورية الصين الشعبية للقيام بزيارة دراسية بدعوة من حكومة بكين . ويضم هذا الوفد السادة : الدكتور محمد عزيز الحبابي الذي يراس الوفد، وابا بكر القادري ومحمد الفباني ، وعبد الكريم حجي . وسيدرس اعضاء الوفد اثناء اقامتهم في الصين الشعبية النظم والوسائل هناك في ميدان التعليم والثقافة .

* قام اعضاء رابطة كتاب المغرب العربي بنشاط كبير خلال الصيف ، فعقدوا اجتماعات تدارسوا فيها شتى شؤون الرابطة ، وقاموا باتصالات مع رجال القلم في

المغرب العربي ، ومع المسؤولين فيها ، وقدموا قانونهم الى رجال السلطة ، وسيعلنون اخيرا عن موعد مؤتمرهم العام الذي سيعقد بالرباط .

* توالي لجنة التاليف والترجمة المغربية نشاطها بترجمة واعداد كتب مغربية للنشر .

* تبرع نادي النساء الاميركيات فى الرباط بمبلغ مالي لمنكوبي زلزال اكادير قدره اكثر من نصف مليون فرنك ، بالاضافة الى مليون فرنك سبق للنادي المذكور ان تبرع به فى شهر يونيو الماضي لبناء دار حضانة خاصة بالاطفال الذين نكبوا من جراء الزلزال .

* فى منتصف الشهر الماضي غادر الرباط متوجها الى موسكو وفد من المغاربة يتكون من السيد محمد السرغيني مدير مدرسة المهندسين الاعدادية ، والسيد محمد الحلو مدير المدرسة الفلاحية ، وذلك تحت اشراف قسم العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية السوفياتية ، وبناء على دعوة وجهها مجلس الدولة السوفياتية للتعليم المهني والفني . وسيقوم الوفد بجولة دراسية فى المعاهد المختلفة بالاتحاد السوفياتي . كما توجه كذلك الى موسكو وفد ثقافي آخر استجابة لدعوة تلقتها الحكومة من لجنة العلاقات الثقافية مع الخارج فى الحكومة الروسية .

* جاء فى بيان سمو ولي العهد ان الاحصائيات الاخيرة اثبتت ان سكان المغرب المحرر يبلغون أحد عشر مليونا وستمائة الف نسمة . ولا يدخل فى هذا العدد سكان طرفاية ، ولا المناطق الغير المحررة من المغرب .

* صدر فى الدار البيضاء فى الايام الاخيرة العدد الاول من جريدة « الفن » التي تعنى بشؤون السينما والفن على العموم .

* صدرت فى المغرب اخيرا الكتب الاتية : « سوس العالمة » للاستاذ العالم السيد المختار السوسي و «الطب والاطباء بالمغرب » للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله و « القصة والرواية فى المغرب » للاستاذ الحسن السائح. نرجو لهذه المؤلفات الازدهار والرواج .

* قامت دار « الكتاب اللبناني » ببيروت باعادة طبع سلسلة الذكريات لمشاهير رجال المغرب لمؤلفها الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون. وقد وصلت بعض حلقاتها الى المغرب فنهنىء مؤلفها الجليل ، ونرجو لسلسلته ما هي اهل له من بعد الصدى والانتشار .

* سيعقد قريبا مؤتمر عام للفنانين المغاربة . وسيضم جميع عناصر الفن الموجودة فى بلادنا من كتاب وموسيقيين وممثلين ورسامين .

* بتاريخ 18 و 19 من الشهر الماضي عقد بنزل بالما بالرباط مؤتمر علماء المغرب تدارسوا فيه شؤون البلاد بصفة عامة والمشاكل الاجتماعية بصفة خاصة . ومن بين من تكلم فيه من العلماء السادة : الرحالي الفاروقي ، عبد الله كنون ، التهامي الوزاني .

* يقوم السيد كويطو رئيس ديوان السيد فيرونيز المدير العام لمنظمة اليونيسكو بجولة عبر الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال . ويهدف من وراء هذه الرحلة تلقين هذه الدول الجديدة اجراءات انخراطها فى اليونيسكو ، والقيام مع الحكومات الافريقية باقرار برنامج للمساعدة التقنية الممنوحة من طرف هذه المنظمة، وعلى الخصوص فى ميدان التعليم .

* تاسست فى بحر الشهر المنصرم فى غانا هيئة نسوية جديدة تحمل اسم « المجلس الوطني لنساء غانا»

* سيعقد قريبا فى كوناكري مؤتمر للشبيبة الافريقية .

* صدر كتاب « الشعراء الغاوون » للناقد السوداني منير صالح عبد القادر .

* ستصدر الندوة الادبية فى ام درمان كتاب « الشعر الشعبي فى السودان » محتويا على جزئين .

* صدرت فى القاهرة مؤخرا رواية سودانية كتبها الاستاذ خليل عبد الله الحاج من السودان بعنوان : « انهم بشر » .

* أحدث كتاب صدر للاستاذ محمود كامل المحامي هو « لوحات وظلال » .

* صدرت فى القاهرة المؤلفات الاتية : « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » المعروف بتاريخ الجبرتي تعليق وشرح حسن جوهر وعبد الفتاح السرنجاوي والسيد ابراهيم سالم . « الديناميكا الهندسية »

للدكتورين ابراهيم رفعت وحماد يوسف حماد الاستاذين بجامعة الاسكندرية . « الدواجن » للدكتور حسين الابياري استاذ انتاج الدواجن بجامعة الاسكندرية « سواحل البحر الاحمر » للدكتور جلال يحيى . « العلاقات الانسانية فى حياة الصغير ومشكلاته اليومية » للدكتورة رمزية الغريب . « ثلاث تمثيليات للتليفزيون » تاليف بادي تشايفسكي وترجمة صلاح عز الدين . « جبة يسوع المسيح » للاب لويس . « تحت لواء العروبة » مجموعة شعرية لعامر محمد بحيري « القصة السيكولوجية » تاليف ليون ايدل وترجمة محمود السمرة . « حياة محمد » تاليف واشنطون ارفنج وترجمة الدكتور حسني الخربوطلي . « المذهب العقلي فى الادب » لمحمد مصطفى عطا . « الشخصية العربية فى الادب والتاريخ » لانور الجندي . « البحث عن اليقين » تاليف جون ديوي وترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهواني

* فى اوائل هذا الشهر ظهرت نتائج مسابقة « نادي القصة » بالقاهرة . وكان عدد المشتركين فيها يقرب من 650 مشاركا .

* قررت البلدان السكندينافية ارسال بعثة الى مصر للعمل مع علماء الابحاث الاثرية الاجانب على سلامة آثار وادي النيل عند بناء سد اسوان .

* يقوم الدكتور شوقي السكري بترجمة « نظرية الادب » لرينيه .

* تشتغل الدكتورة نعمات فؤاد باعداد تراجم دباء القرن العشرين بتكليف من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .

* ابتداء من هذا الموسم الدراسي تقرر توحيد لزي بين طلبة الجامعات وطالباتها فى الجمهورية العربية لمتحدة . وقد روعي فى اختيار الزي الموحد ان يليق الجامعيين .

* اجاب العقاد حينما سئل عن جائزة نوبيل مناسبة فوزه بجائزة الدولة بما ياتي : « ان اللجنة لشرفة على جائزة نوبيل فى استكولهم تخضع النفوذ لصهيوني فى تلك البلاد التي تحتفل كل سنة بذكرى يام دولة اسرائيل . فكيف تتوقع ان يلتفتوا الى اي نتاج عربي ليمنحوه جائزة نوبيل » .

* قدم للطبع الاستاذ اسماعيل مظهر كتابا مصورا يشتمل على دراسات لمائة وخمسين شخصية علمية من بينها خمسون شخصية عربية .

* صدر للدكتور زكي المحاسني كتابا نقديا بعنوان « نظرات فى ادبنا المعاصر » .

* سيصدر للشاعر حسن كامل الصيرفي مجموعة دواوينه المخطوطة فى مجلد واحد باسم « صدى ، ونور ، ودموع » .

* « وطني وحبي » عنوان ديوان جديد للدكتور عفيفي محمود يشتمل على نماذج من شعره التقليدي وتجاربه الجديدة فى مختلف الاتجاهات الوجدانية والوطنية .

* تركت وفاة الشاعر المصري احمد فتحي أسى عميقا فى قلوب المعجبين بشعره الرقيق ، ودماثة اخلاقه

* أصدر الاستاذ عبد العزيز الدسوقي كتابا بعنوان « جماعة ابولو واثر ابي شادي فيها » بتقديم الدكتور محمد مندور .

* صدر قرار جمهوري بتعيين الدكتور يحيى الخشاب مديرا للادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

* تقوم احدى مؤسسات الاخراج السينمائي العربية فى الوقت الحاضر باخراج بعض روايات الكاتب المصري عبد القادر المازني .

* الدكتورة سهير القلماوي ستظهر على الشاشة فى فلم يروي قصة حياتها .

* اصدر الدكتور طه حسين كتابا بعنوان « من ادب التمثيل العربي » ويضم 16 تمثيلية حديثة منها « مدرسة ابناء الخمسين » و « كارل وانا » ، و « كنت انتظرك » ، و « لم نبق بعد ابطالا » .

* ذكرت جرائد القاهرة أن الاستاذ العقاد استقال من عضوية المجلس الاعلى للآداب والعلوم والفنون .

* نعت القاهرة الكاتب المصري المعروف شهدي عطية الشافعي .

❊ تقوم دار المعارف بالقاهرة باعادة طبع ديوان « أصداء النيل » للشاعر السوداني عبد الله الطيب .

❊ صدر بالقاهرة للدكتور مصطفى سويفا مدرس علم النفس بكلية الآداب بالقاهرة كتاب بعنوان « العبقرية والفنية » .

❊ صادرت وزارة التعليم اللبنانية كتاب «التعايش السلمي » لمؤلفيه كارل ريمين وسان يوادي وقد تولت تعريبه دار الفكر الحديث ببيروت .

❊ دعت الجمعية اللبنانية للعلوم والسياسة الى عقد مؤتمرها الثاني ببيروت فى منتصف شهر يناير من السنة القادمة ستبحث فيه موضوع « التمثيل الشعبي والانظمة الانتخابية » .

❊ يعد الشاعر فؤاد الخشن ديوانا للطبع سيصدر ي بيروت .

❊ طبعة جديدة صدرت لديوان « رندلي » للشاعر الرمزي اللبناني الاستاذ سعيد عقل ، كما ستصدر طبعة مماثلة لديوانه « المجدلية » وزيادة على الديوانين المذكورين فقد صدر للشاعر « قدموس » و « بنت فتاح » و « لو حكى لبنان » .

❊ مثل للطبع الاستاذ فؤاد كنعان رواية تحت نوان « نفوس من تراب » .

❊ اصدر الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك كتاب ولي من لبنان » يروي فيه سيرة العارف بالله الامير سيد جمال الدين عبد الله التنوخي وصدر فى بيروت .

❊ صدر للشاعر الاردني حكمت العتيلي فى بيروت وان شعر بعنوان « عيون النساء والليل » .

❊ قدم للطبع الشاعر خليل الخوري مجموعة عرية بعنوان « شهوة » .

❊ « النهر العريض » مجموعة قصص جديدة درت للاستاذ جان الكسان .

❊ خصصت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ا محترما فى كل شهر تقدمه للشاعر اللبناني القومي سيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي .

❊ صدر للشاعر اللبناني المهاجر شفيق معلوف ديوان جديد بعنوان « عيناك مهرجان » ويعد هذا الشاعر من فحول شعراء المهجر الاميركي . فقد صدر له حتى الآن الدواوين الآتية « الاحلام » . « عبقر » « لكل زهرة عبير » . « نداء المجاذيف » . وله عدة كتب مخطوطة .

❊ كان للمهرجان الموسيقي الذي اقيم فى اواخر هذا الصيف فى بيروت نجاح كبير ، فقد قصده اكثر من 50.000 نسمة من شتى الاقطار العربية والاوروبية .

❊ صدرت للدكتور شكيب الجابري رواية جديدة بعنوان « وداعا يا افاميا » وسيمثل للطبع رواية أخرى بعنوان « ثلاث قارات صغيرة » .

❊ اصبحت قصيدة الشاعر نزار قباني « العودة » التي لحنها عبد الوهاب وتغنيها نجاة الصغيرة موضع نقد واستنكار الاوساط النسائية فى الشرق العربي ، باعتبارها قصيدة تصور المراة بصورة الخنوع والتذلل للرجل . فجاء الشاعر اللبناني ادوار ابو حمد يناقض موضوع الشاعر نزار ، ويقول بان العكس هو الواقع .. ان الرجل هو الذي يتذلل امام المراة ، ويظهر بمظهر الخنوع مهما اساءت اليه او فعلت به ، وقد عبر ابو حمد عن رأيه بقصيدة عنوانها « ماذا جنيت » راعى فيها الوزن والقافية اللذين اعتمدهما نزار فى قصيدته .

❊ سيصدر قريبا ببيروت للدكتور احسان عباس كتاب « تاريخ الادب الاندلسي »

❊ « قال الراوي » مجموعة قصصية صدرت للاستاذ عبد الرحمن فهمي تضم بعض انتاجه فى مجال القصة القصيرة .

❊ ينوي الشاعر خليل فرحات اصدار ديوان باسم « من الاعماق » .

❊ فى سلسلة الفنون الادبية عند العرب صدر كتاب « فن الهجاء » لايليا حاوي ؛ كما صدر عن نفس الدار كتاب « خلاصة العالم » للكاتب الغربي المعاصر تيبور ماني .

❊ ستقوم مديرية السياحة بسوريا بتشييد ضريح ضخم للخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان الذي جعل

من دمشق عاصمة لدولة عربية كبرى، ومركزا للحضارة العربية .

❊ اصدر الشاعر القومي المعروف سليمان العيسى مؤلف « رسائل مؤرخة » والكتاب عبارة عن رسائل يبلغ عددها ما يقرب من عشرين رسالة .

❊ روعت الاندية الادبية السورية بحادثة انتحار الشاعر السوري عبد الباسط صوفي .

❊ كتاب جديد صدر لمطاع صفدي بعنوان «العربي الثوري » يتحدث عن الرجال الثوريين عبر التاريخ .

❊ « المواطن » اسم جريدة يومية مسائية صدرت مؤخرا فى بغداد يقوم برئاسة تحريرها الاستاذ عبد الله عباس .

❊ يقوم الدكتور ناصر الحاني الاديب العراقي بجمع وتحقيق ديوان الراعي النميري الذي عاش فى القرن الثاني للهجرة فى البصرة . وقد جمع الحاني زهاء ستمائة بيت لهذا الشاعر الذي كان له تأثير كبير فى الشاعر ذي الرمة . ويجدر بالذكر ان كتب الادب القديم لم تشر الى الشاعر النميري . وسيقدم الدكتور الحاني هذه الدراسة الى المجمع العلمي العراقي لاخراجها فى كتاب .

❊ أصدرت جامعة الملك سعود العدد الاول من السنة الثانية من مجلتها الدورية التي تصدرها كل عام وقد اشتمل هذا العدد على مجموعة من الدراسات والمحاضرات القيمة .

❊ يوجد فى الباكستان 31 كلية لتعليم الفتيات فى البلاد وان هناك 12 الف مدرسة وعددها فى ازدياد مستمر كل عام بينما الحاجة تدعو الى 22 الف و 500 مدرسة .

❊ فى العاصمة الجديدة لباكستان « اسلام أباد » تقرر انشاء كلية للمناجم لتخريج المهندسين فى المناجم وعلماء طبقات الارض .

❊ أصدر رئيس الجمهورية الهندية مرسوما يقضي بتعميم اللغة الهندية وجعلها اللغة الرسمية لجميع الدوائر الحكومية فى البلاد بدلا من اللغة الانجليزية التي كانت تطغى على جميع مرافق الدولة .

❊ من الروايات الكبيرة التي صدرت مؤخرا فى الصين الشعبية رواية « الشعب المر » للكاتب فنغ تيه هواي ، وهو قائد سرب جوي عمره 24 عاما . وقد لقيت هذه الرواية انتشارا واسعا فى الصين ، وتدور احداثها حول نضال الشعب الصيني ضد العدوان الياباني .

❊ احتفلت الجامعة اليابانية فى طوكيو احتفالا كبيرا بالشاعر والفيلسوف الباكستاني الدكتور محمد اقبال

❊ فرغ الدكتور اكرم فاضل من ترجمة عدة قصائد الى العربية لرئيس الفيتنام هوشي منه .

❊ ان عددا كبيرا من الرسوم المنقوشة فى الصخور والتي يعود تاريخها الى القرنين السابع والثالث قبل الميلاد قد وجدت فى جبال كونغي الاتاو القريبة من شاطىء بحيرة اسيك فى اواسط آسيا ، ويعتقد الخبراء ان الصور ترجع الى فترة كانت فيها القبائل المعروفة بقبائل ساكاس تعيش فى تلك المنطقة على تربية المواشي ، وهذه الرسوم هي رابع اكتشاف من نوعه من حيث الاهمية يعثر عليها فى قيرفيزيا وهي جمهورية فى اواسط آسيا .

❊ اشترك مائة عالم فى اعمال فرع التاريخ العربي فى المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للاستشراق فى موسكو وقد تراس فرع البلاد العربية لويس ماسينيون وقدم العالم المصري امين الخولي الخبير فى المخطوطات العربية والاستاذ فى جامعة القاهرة تقريرا عن العلاقات بين النيل ونهر الفولغا .

❊ بدعوة من اتحاد الكتاب الروسيين سافر الاستاذ محمود تيمور الى روسيا وبقي فيها 15 يوما القى خلالها عدة محاضرات عن الادب والفن العربيين .

❊ قامت مؤخرا دار منشورات الادب الاجنبي فى موسكو باصدار مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم باللغة الروسية .

❊ توفي فى نيويورك الاديب النمساوي أريني ليز عن 61 سنة . وكان قد التجأ الى اميركا هاربا من النازية .

❊ بمناسبة انعقاد مؤتمر العلماء النفسانيين السادس عشر ، منحت مؤسسة « علم النفس الالمانية » ميدالية « ويلهلم فوفت » للعالم النفساني النمسوي البروفسور كارلي بولر . وتعتبر هذه الميدالية اعلى ميدالية تمنحها هذه المؤسسة . ولم تمنحها الا مرة واحدة منذ الحرب العالمية الثانية .

❊ صدر في الولايات المتحدة طابع بريدي تذكاري تكريما للموسيقي البولوني انيياس جان باديريفسكي والطابع من وضع الفنان تيفاستيكا .

❊ صدر في ليدن – هولندة كتاب عن العراق وضعه فريق من الاساتذة الجامعيين العراقيين .

❊ مات في مدينة مونيخ اشهر طباخ اوربي، ويدعى الفريد ولتريل ، وخلف مكتبة تعد باكثر من ثلاثة آلاف كتاب تتحدث كلها عن الطعام وانواع الاطباق الفاخرة.

❊ عقد بجامعة ماربوغ ما بين 11 و 17 من الشهر المنصرم المؤتمر الدولي لتاريخ الديانة ، شارك فيه 500 عالم يمثلون تقريبا جميع الجامعات الدينية الهامة بالعالم .

❊ تاسست مؤخرا بفرانكفورت جمعية « الفن الحديث » وتنوي القيام باحياء الفن المعاصر من فنون جميلة ومعمار ورقص وموسيقى . وسيقوم الفنانون الناشئون بتنظيم معارض فنية ومحاضرات ومهرجانات اخرى .

❊ بدات جل الجامعات الالمانية تدريس اللغات الافريقية والاسيوية الى جانب اللغات الاخرى .

❊ في اوائل هذا الشهر افتتح في « دار الفن » بمونيخ « المعرض الكبير لفن 1960 » حيث عرضت فيه 756 لوحة لـ 473 فنانا .

❊ عقدت جمعية القانون الدولي مؤتمرا كبيرا في همبورج اخيرا بحضور 750 مندوبا يمثلون 37 بلدا من بينها عدد من البلدان الاسيوية والافريقية وثلاث دول من الكتلة الشرقية . وتضمن جدول اعمال المؤتمر الذي دام ستة ايام مناقشة المسائل القانونية المتعلقة بسيادة الدول في عالم الفضاء والوضع القانوني لها في هذا المجال .

❊ في الصيف المنصرم انهى « معهد الابحاث للاتحاد السوفياتي » بمونيخ عشر سنين من حياته . ويشتمل هذا المعهد على نسخ هامة من وثائق المكتبات الروسية بالاضافة الى انه يصدر 16 مجلة بعدة لغات .

❊ احتفلت في شهر شتمبر الماضي الاوساط الثقافية بفرانكفورت بعيد الكتاب .

❊ ذكر مكتب الاحصائيات الاتحادي بانه خلال نصف السنة الدراسية الشتوية المنصرم بلغ عدد المسجلين من الطلبة في المدارس العلمية العالية في الجمهورية الاتحادية الالمانية 202 الف طالب منهم 18.800 من الطلاب الاجانب وهناك 6516 طالبا اجنبيا حجزوا المقاعد لاستماع مختلف المحاضرات و 8048 طالبا منهم 862 اجنبيا يدرسون في 42 معهدا عاليا للفنون الجميلة والموسيقى وفي معهد الرياضة العالي في كولون . وبالمقارنة مع نصف السنة الدراسية الشتوية لسنة 1958 – 1959 ازداد عدد الطلبة بمقدار 16156 طالبا اي بنسبة 3 و 4 بالمائة .

❊ اصدر الناقد المعروف ج . اس . ريس كتابا بعنوان «التفكير السياسي للرومنتيقيين الالمان» ويبحث الكتاب في مؤلفات ونتاج اقطاب الادب الرومانسي الالماني .

❊ اجتذبت مدينة ماربوغ الجامعية الادباء البورمين لدراسة المخطوطات البوذية باللغة البالية . وكانت هذه المخطوطات محفوظة فيما سبق في مكتبة الدولة البروسية في برلين قبل نقلها الى المكتبة الالمانية الغربية في ماربوغ . هذا وسيبحث مدير المكتبة مع الضيوف البورمين امكانيات الشروع في تبادل الكتب العلمية والادبية بانتظام بين بورما والمانيا .

❊ يقوم عدد كبير من المستشرقين الالمان بوضع ((قاموس العربية الفصحى)) وساعدتهم على وضعه من الناحية المادية منظمة اليونيسكو . ومن بين هؤلاء المستشرقين ((شبيتالر)) و ((كريمر)) و ((جاتجي)) . ويقع القاموس في عدة مجلدات . وهذا العمل هو استئناف للمشروع الذي كان قد بدأ به المستشرق

الالماني الشهير « اوغشت فيشر » الذي توفي بعد الحرب العالمية الاخيرة . وتوجد المواد التي كان قد اعدها هذا المستشرق في المجمع اللغوي بالقاهرة. وكان فيشر عضوا فيه ويزود المجمع المذكور .

* اصدرت مصلحة سك النقود الاميرية في شتوتجارت ميدالية ذهبية وفضية بمناسبة مرور 100 عام على وفاة فريدريش زيلشر الموسيقي الالماني الذي اشتهر بتأليف الاغاني الالمانية الشعبية .

* اخرجت احدى الشركات الدنمركية فيلما موضوعه « ستة جنود في غزة » .

* منعت الحكومة السويسرية طبع وبيع جريدة « المجاهد » الجزائرية الناطقة بلسان جبهة التحرير الوطني الجزائري في جميع انحاء البلاد السويسرية .

* وقع مائة وعشرون جامعيا من كتاب فرنسا واساتذتها وفنانيها تصريحا حول حق عدم الاستسلام في الجزائر . وهذا مما جاء في التصريح « ان المعركة القائمة الآن سواء بالوسائل العسكرية او الدبلوماسية لا لبس فيها ولا غموض بالنسبة للجزائريين . انها حرب من اجل الاستقلال الوطني . اننا نحترم ونقر الحق في رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري . ان قضية الشعب الجزائري التي تساهم في الاطاحة بالنظام الاستعماري لهي قضية جميع الرجال الاحرار » ومن الاسماء الموقعة على هذا التصريح يوجد اسم الكاتب الفرنسي الحر جان بول سارتر .

* يعمل الفيلسوف والكاتب المسرحي الفرنسي سارتر على اعداد سيناريو لفيلم سينمائي يتضمن هجوما على فرويد .

* ترجم السيد خالد السلام مسرحية «المتوحشة» للغة العربية لمؤلفها الكاتب الفرنسي جان انوي .

* بيعت مجموعة ضخمة من المخطوطات القديمة واللوحات في معرض شاربنتيه بباريس ، وقد اشترت المكتبة الملكية البلجيكية كتابا عن حياة المسيح بمبلغ 64 الف دولار ويرجع عهده الى سنة 1461 ؛ واشترت المكتبة الفرنسية كتابا عن تاريخ الكون فيه 23 صفحة فقط بمبلغ 12 الف دولار ؛ ويرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر .

* آخر ما صدر للكاتبة العربية التي تكتب بالفرنسية اندرية شديد رواية باسم « اليوم السادس » وقد صدرت لهذه الكاتبة روايتان « التحرر من الناس» و « جاناتان » .

* سيعقد في روما في 14 يناير المقبل المؤتمر الدولي العاشر للخدمة الاجتماعية .

* ظهرت في لندن الكتب الآتية : « حدود الله » لمارتين ديسكالزو . « مؤامرة في السكون » لجيمس ليزور « هذا الذي ركب النهر » للكاتب الهندي بهباني باتشاريا . « مصير فرنسا » لجاك فوقيه .

* اعلنت جامعة مانشستر انه توجد خمس مخطوطات تامة عن البحر الميت معروضة للبيع عند جماعة من البدو الاردنيين . والملاحظ ان العلماء اكتشفوا لحد الآن تسع مخطوطات كاملة ، وما يقرب من 500 مخطوط غير كاملة .

* سيصدر قريبا في لندن كتاب بحجم طابع البريد وهو عبارة عن «ميكروفيلم» ويحتاج القاريء الى مجهر خاص لقراءة هذا الكتاب الذي تطوى صفحاته بصورة آلية فور الضغط على زر .

* ستصدر في لندن مجلة جديدة بعنوان « عصر الآلة » تضم جميع الاختراعات التي تنجز في العالم ، وستكون بلغات عديدة وستوزع منها 50.000 نسخة مجانا على المهندسين والمختصين في حقل العلم .

* احتفل في ايرلندا في الايام الاخيرة بالاسبوع المسرحي الدولي للاطفال حضرته عشر دول اوربية .

* **اصدر المركز الاسلامي بلندن العدد الاول من مجلة « لاتيتيود » باللغة الانجليزية ، وقد تولى رئاسة تحريرها الاستاذ علي عبد القادر مدير المركز الاسلامي ، وتصدر عن كل ثلاثة اشهر .**

❊ من المقرر ان تصدر صحيفة الديلي تلغراف في اوائل العام المقبل صحيفة جديدة تصدر يوم الاحد يطلق عليها اسم « صند اي تلغراف » .

❊ **اصدر الكاتب الايرلندي ارسكين شيلدرز مؤخراكتابا عن العرب ، يعتبر من احسن الكتب التي عرضت لتاريخ الدول العربية ، ولمشكلة فلسطين عرضا عادلامنصفا . وارشكين . شيلدرز هو ابن الثائر ارشكين شيلدرز الذي أعدمه الانجليز عام 1918 لانه كان من الثوار الايرلنديين ضد الحكومة الانجليزية . ونشأ ارشكين الابن وفي عروقه تجري الكراهية للاستعمار والسيطرة ، ولذلك كانت كتبه كلها فيها عدل وانصاف .**

❊ اصدر الكاتب الانجليزي المعروف مالكولم كارلي كتابا جديدا بعنوان « الوضع الادبي » وهو عرض تاريخي اجتماعي لظروف الكتاب الاميركيين المعاصرين وطبيعة مجتمعهم الحالي ، ويتعرض الكاتب الى الاتجاهات الادبية الحديثة مثل القصص التي تعمل على تهيئة الاذهان للحروب العدوانية ، وكتب الاثارة الجنسية ، والمؤلفات الواقعية النزعة .

❊ **اكتشفت فضيحة جامعية كبيرة في نيويورك اذ اعترف 25 طالبا بانهم اشتروا الاطروحات التي قدموها باثمان بلغت في بعض الاحيان 3.000 دولار . وقد امر النائب العام باعتقال اربعة رجال وامرأتين كانت تستخدمهم احدى « الوكالات » لكتابة الاطروحات . ومثل هذه الوكالات منتشرة في البلدان الاوربية والاميركية التي تكثر فيها الجامعات .**

❊ **عين العالم الاثري الدكتور سليم حسن عضوا في اكاديمية العلوم بنيويورك .**

❊ انتهى الكاتب فرج جبران من ترجمة مذكرات « آدم وحواء » للكاتب الاميركي الساخر مارك توين .

❊ سيعقد من 15 الى 22 سبتمبر المقبل مؤتمر دولي لبحث الآثار الاجتماعية للتصنيع وذلك في شيكاغو .

❊ منذ ايام القى الفيلسوف الفرنسي — سارتر محاضرة بعاصمة البرازيل شبه فيها الوضع الجزائري كالوضع في كوبا . وقال ان النظام الاستعماري الذي استقر في البلدين يحمل في طياته نص الحكم عليه فهو في المنطقتين اعتنى خاصة بتنمية الاستثمار الاقتصادي موسعا الشقة بين المستعمر والاهالي جاعلا الاصطدام بينهما عنيفا حتما . وختم المحاضرة قائلا « يجب على الراي العام أن يساهم مساهمة فعالة في مقاومة الاستعمار . وهذا ما جعلني انا الفرنسي أحدثكم عن عيب قومي لاينبغي ان نسكت عنه . واذا كنا نحن الاوربيين نريد ان نحافظ على صداقة القوميات فيجب علينا ان نسترجع تقاليد القومية الدولية بينما يجب على البلدان الحديثة العهد بالقومية ان تعزز قوميتها قبل كل شيء .

فهرس العدد الاول - السنة الرابعة

الصفحة